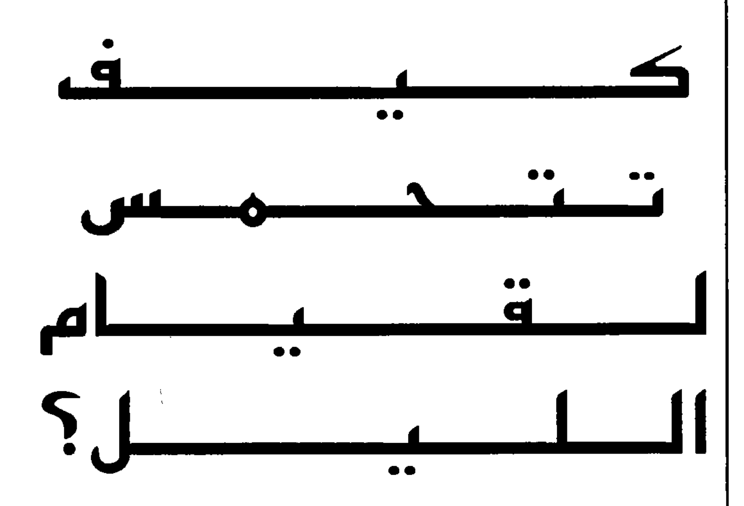


أكثر من (١٠٠) طريقة للتحمس لقيام الليل

بقلم الفقير إلى ربه :

أبي القعقاع : محمد بن صالح آل عبدالله .

الطبعة الأولى

جمادى الأول ١٤١٩هـ

ⓒ محمد صالح آل عبد الله إسحاق ، ١٤١٩هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

إسحاق ، محمد صالح آل عبد الله

كيف تتحمس لقيام الليل - خميس مشيط .

٢٧٤ ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك : ٦ - ٠٧٤ - ٣٥ - ٩٩٦٠

١- قيام الليل أ- العنوان

ديوي ٢٩ ، ٢٥٢ ١٩/١٧١٧

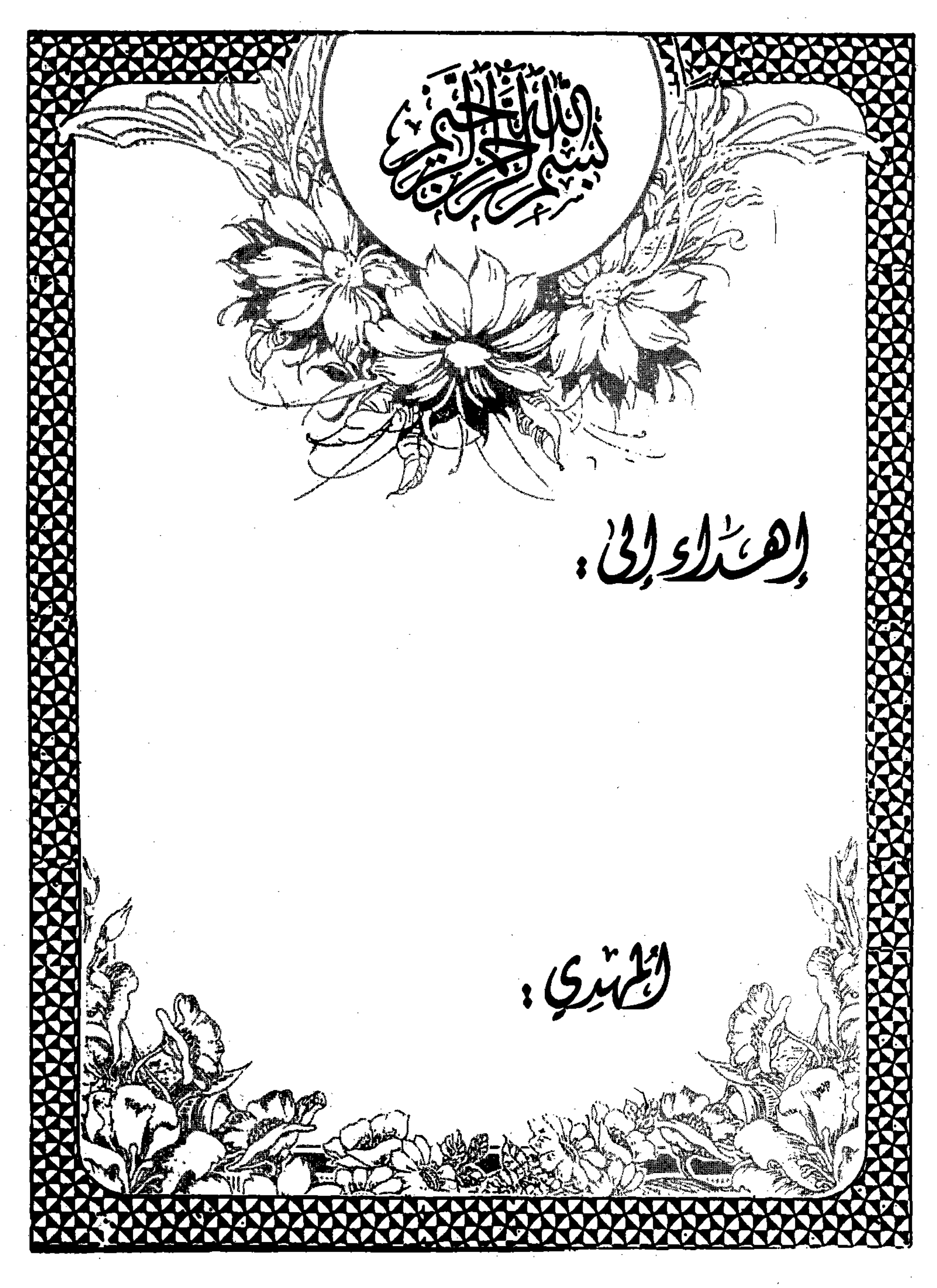
رقم الايداع ١٩/١٧١٧

ردمك : ٦ - ٠٧٤ - ٣٥ - ٩٩٦٠

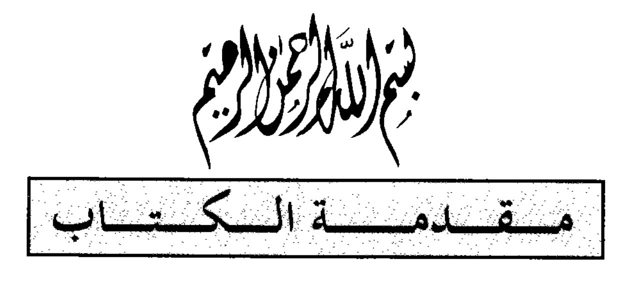
* **خصم خاص لكميات التوزيع الخيري.**

ومـا مـن كـاتب إلا سـيـفنى ... ويُبـقي الله مـا كـتـبتْ يداهُ

فـلا تكتب بكفِّك غيـر شيءٍ ... يسـرك في القـيامـة أن تراهُ



تهادوا ... تحابوا



مقدمة الكتاب

الحمد لله المتره عن الأشباه في الأسماء والأوصاف، القائم بالقسط والحق والإنصاف، خضعت لعزته الأكوان وأقرت عن اعتراف، وانقادت له القلوب وهي في انقيادها تخاف ، كشف للمتقين اليقين فشهدوا، وأقامهم في الليل فسهروا وتهجدوا، وأراهم عيب الدنيا فرفضوها وزهدوا، وقالوا: نحن أضياف!! أحمده على ستر الخطايا والاقتراف، وأصلي على رسوله محمد الذي أنزل عليه{ ق}، وعلى آله وأتباعه الذين ساروا على الصراط المستقيم بلا ميل ولا انحراف،، بل دأبهم التقوى وعن المحارم العفاف ، وبعد :

فإن قيام الليل شريعة ربانية ، وسنة محكمة نبوية ، وخصلة حميدة سلفية ، ومدرسة تربوية إيمانية ، وخلوة برب البرية ، وروضة هنية ندية ، وسعادة نفسية روحية ، ونشاط وقوة جسمانية ، وشوق وتعلق بالجنان العلية ، ودموع وعبرات قلبية ، وآهات وزفرات شجية .

ومع كل هذه الخصال الحميدة ، والصفات المجيدة ، التي تميز بها القيام ، فإن هذه الشعيرة الجليلة ، أعرض عنها أكثر الناس ، وفرطوا فيها وقصروا عنها ، حتى كادت أن تندرس فيما بيننا ، وحتى أوشكت أن تندثر في بيوتنا ، فأين عباد الله في هذه الأعصار؟!! وأين رهبان الليل وفرسان النهار ؟!! وأين قراء القرآن الأبرار ؟!! وأين المستغفرون بالأسحار ؟!! وأين المتلذذون بمناجاة اللطيف القهار ؟!! وأين من يسكبون العبرات في الظلام على الذنوب والأوزار ؟!! وأين من يتركون فضول المنام ليقفوا بين يدي الملك العلام ؟!! بانوا والله وكأن القوم ما كانوا :

وقدكانوا إذا عدوا قليلا .... فقد صاروا أقل من القليل .

فلما كانت الحال على ما ذكرنا آنفا ، كان لا بد لعلماء الاسلام ودعاته ، وأهل التوجيه والإرشاد أن يحيوا هذه الشعيرة في القلوب ، وأن يبعثوها في الناس من جديد بعد أن أوشك النسيان أن يمحو معالمها ويطمس منائرها .

ولست أدعي أنني أكتب في موضوع لم يسبقني أحد في الكتابة عنه ، بل أقول: إنه قد كتبت كتب متعددة حول هذا الموضوع ، في القديم والحديث ، ولعل من أوسعها في القديم كتاب "قيام الليل " لمحمد بن نصر المروزي ، ومختصره للمقريزي ، وفي عصرنا الحاضر يعتبر كتاب"رهبان الليل " للعفاني من أوسع ما اطلعت عليه في هذا الباب ، ومع كل ذلك فإن لكل كاتب طريقته الخاصة في العرض والتصنيف والتبويب وترتيب المعلومات، وكيفية توظيفها لخدمة فكرة معينة ،وهذه العناصر مجتمعة تبرز من خلالها شخصية الكاتب ومقدرته العلمية ، وفي هذا يختلف المؤلفون والكتاب ويتفاوتون عن بعضهم البعض ، ثم إنني بكتابي هذا لم أقصد الحديث عن فقه القيام والتهجد والأحكام المتعلقة به، وإنما كان مقصودي مخاطبة القلب والوجدان ، ليستيقظ من رقدته ويتنبه من غفلته ، ويفيق من سكرته ، ويقبل على مناجاة مولاه السلام ، في جنح الظلام والناس نيام .

فإن وفقت إلى مقصودي ومبتغاي فالفضل والمنة لله وحده ، وإن كان غير ذلك من القصور والزلل فمني ومن نفسي الخاطئة ومن الشيطان والله تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام منه بريئان .

وفي الختام أسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم ، صوابا على سنة سيد المرسلين عليه الصلاة والسلام ،وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وكتبه الفقير إلى ربه تعالى:

محمد بن صالح عبدالله الصيعري .

خميس مشيط – ص.ب ١٤٤٢ هاتف: ٠٧٢٢٣٩٠٩٠ جوال: ٠٥٤٧٤٩٤٥٢

١ الإخلاص لله في القيام

"يا نفسُ أخلصي تتخلصي" شعار أطلقه السلف الأبرار لأنفسهم ، ولا عجب في ذلك، فإن الإخلاص لله تعالى هو روح الطاعات ، ولبُّ القربات ، ومفتاحٌ لقبول الباقيات الصالحات ، وسببٌ لمعونة وتوفيق ربّ الكائنات، وعلى قدر النية والإخلاص والصدق مع الله ، في العزم وفي إرادة الخير تكون معونة الله لعبده المؤمن:

*وقد أمرنا الله جلّ جلاله بإخلاص العمل له وحده دون سواه، فقال تعالى:{ وما أُمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفآء} [سورة البينة الآية (٥)].

* وحذّرنا مولانا ـــ تقدست أسماؤه ـــ من العاقبة الوخيمة التي ستحلُّ بمن عمل الطاعات لغير وجه ربّ الأرض والسماوات ، كأن يريد بها مدحا أو ثناءً أو جاهاً أو سمعةً أو منزلةً عند الناس ، فقال سبحانه:{ولقد أوحي إليكَ وإلى الذين مِنْ قبلك لئن أشركتَ ليحبطنَّ عملكَ ولتكوننَّ من الخاسرين} [سورة الزمر الآية(٦٥)] .

- وقد أخبرنا الرسول ﷺ بالعقوبة الفظيعة التي تنتظر مَنْ عمل الطاعات طلبا للدنيا أو للرياء والسمعة:

* عن"أبي هريرة" رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:"مَنْ تعلَّم علما مما يُبتغى به وجه الله ، لا يتعلمه إلا ليُصيب به عرضاً من الدنيا، لم يجد عَرْفَ الجنة (أي رائحتها) يوم القيامة " [رواه أحمد وأبو داود، وصححه "الألباني" في"صحيح الجامع" برقم (٦١٥٩)] .

* عن"أُبيِّ بن كعب" رضي الله عنه أن النبيﷺ قال:"بشر هذه الأمة بالسناء والدين والرفعة والنصر والتمكين في الأرض فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له

في الآخرة من نصيب" [رواه أحمد والحاكم ، والحديث صححه"الألباني" في"صحيح الجامع" برقم (٢٨٢٥)].

- وقد كان سلفنا الأبرار يحثون على إخلاص الأعمال لله وحده، ويُرغّبون في ذلك:

* قال"مطرف بن الشخير" رحمه الله:"صلاح العمل بصلاح القلب، وصلاح القلب بصلاح النية، ومن صفّى صُفّيَ له، ومن خلّط خُلّط عليه" [نقلا عن كتاب"الزهد" للإمام أحمد].

* قال"ابن القيم" رحمه الله:"الإخلاص هو ما لا يعلمه مَلَكٌ فيكتبه، ولا عدو فيُفسده، ولا يُعجَب به صاحبه فيُبطله" [نقلا عن كتاب" الفوائد" لابن القيم].

* قال"أبو علي الروذباري"رحمه الله:"العلم موقوف على العمل ، والعمل موقوف على الإخلاص، والإخلاص لله يُورث الفهم عن الله عزَّ وجلّ" [نقلا عن كتاب"رهبان الليل" للعفاني (٢/٤٧٠)].

* قال"ابن القيم"رحمه الله:"أنفع العمل أن تغيب فيه عن الناس بالإخلاص ، وعن نفسك بشهود المنَّة، فلا ترى فيه نفسك، ولا ترى الخلق" [نقلا عن كتاب "الفوائد" لابن القيم].

* قال"الفضيل"رحمه الله:"ترك العمل من أجل الناس رياء، والعمل من أجل الناس شرك، والإخلاص ان يُعافيك الله منهما" [نقلا عن كتاب" سير أعلام النبلاء " للذهبي (٨/٣٧٧)].

* قال"سفيان الثوري"رحمه الله:"ما عالجتُ شيئا أشدَّ عليَّ من نيتي !!" [نقلا عن كتاب" الجامع لأخلاق الراوي" للخطيب البغدادي (١/٣١٧)].

* قال"ابن القيم ":"وعلى قدر نية العبد وهمته ومراده ورغبته في ذلك (أي في فعل الحسنات وترك السيئات) يكون توفيقه سبحانه وإعانته، فالمعونة من الله تنزل على العباد على قدر هممهم ونيَّاهم ورغبتهم ورهبتهم، والخذلان يترل عليهم على حسب ذلك، فالله سبحانه أحكم الحاكمين وأعلم العالمين، يضع التوفيقَ في مواضعه اللائقة به، والخذلان في مواضعه اللائقة به، وهو العليم الحكيم" [نقلا عن كتاب"الفوائد" لابن القيم].

- وقد كان سلفنا الكرام حريصين على أن تكون طاعاهم خالصة لوجه الله، لا رياء فيها ولا سمعة ، ومن ذلك قيام الليل :

* سأل رجل"تميم الداري"رضي الله عنه فقال له: كيف صلاتك بالليل ؟!! فغضب

"تميم" غـضبا شديدا، ثم قال: والله لركعـةٌ أُصليها في جـوف الليل في السرِّ أحـبُّ إليَّ من أن أُصلي الليل كله ثم أقصَّه على الناس!!" [نقلا عن كتاب"الزهد" للإمام أحمد].

* قال"محمد بن أعين":"كـنتُ مع"عـبدالله بن الـمبارك" رحمه الله في غـزاة بـأرض الروم، فلما صلينا العشاء الآخرة، وضع "ابن المبارك" رأسه ليريني أنه قد نـام، قـال: فقلتُ أنا برمحي في يدي فقبضت عليه ووضعت رأسي على الرمح كأني أنام كذلـك!! قال: فظنَّ "ابن المبارك" أني قد نمتُ ، فتسلل خفية حتى لا يسمعه أحد من الجيش وقـام يصلي لله حتى طلع الفجر!! فلما طلع الفجر جاء ليوقظني وظنَّ أني نائم وقال: يا محمـد قم !! فقلتُ له: إني لم أنم !! قال:فلما سمعها "ابن المبارك" مني وعرف أني قـد رأيـت صلاته البارحة ما رأيته بعد ذلك يكلمني ولا ينبسط إليَّ في شيء من غزواته كلـها !! كأنه لم يُعجبه ذلك مني لـمَّا فطنتُ إلى صلاته بالليل، فلم أزل أعرفها في وجـه"ابـن المبارك" حتى مات!! ولم أرَ رجلا أسرَّ بالخير منه" [راجع كتاب"الجرح والتعديل" لابـن أبي حـاتم" (٢٦٦/١)].

* كان"أيوب السختياني" رحمه الله يقوم الليل كله، فإذا قرُب الفجر رجع فـاضطجع في فراشه ، فإذا طلع الصبح رفع صوته كأنه قد قام تلك الساعة!! " [نقلا عـن كتـاب"حليـة الأولياء" لأبي نعيم (٨/٣)].

* قال"محمد بن المنكدر" رحمه الله:"كنت ذات ليلة مواجها لهذا المنبر(يعني منبر الرسـول عليـه الصلاة والسلام في المسجد النبوي) أُصلي وأدعو في جوف الليل، وإذا بإنسان عند اسطوانة مـن اسطوانات المسجد مُقنِّعاً رأسه ، يصلي ويدعو ويقول:أيْ ربِّ:إنَّ القحط قد اشتد على عبادك!! وإني مقسمٌ عليك يا ربِّ إلا سقيتهم!! قال: فما كان إلا ساعة وإذا سحابة قد أقبلت ثم أرسلت الماء الغزير!! وكان عزيزا على"ابن المنكدر" أن يخفى عليه أحد مـن أهل الخير ، فقال: هذا بالمدينة ولا أعرفه!! فلما سلَّم الرجل من صلاتـه تبعـه "ابـن المنكدر" فعرف داره، فلما كان من الغد أتاه "ابن المنكدر" فدخل عليه فسـلَّم عليـه وأخبره بما سمعه منه البارحة من إقسامه على الله أن يُنزل الغيث على عبـاده !! فتغـير وجه الرجل واضطرب لذلك!! فقال له"ابن المنكدر":هل تقبل مني نفقة ومالاً تُعينـك

على طاعة الله وتُفرغك للآخرة؟!! فقال الرجل: لا أريد منك شيئا،ولكن لا تذكـــرني لأحد!! ولا تذكر ما رأيت البارحة لأحد حتى أموت!! ولا تأتني يا ابن المنكدر فإنك إنْ أتيتني شهرتني للناس!! فقال"ابن المنكدر": إني أحب أن ألقاك!! فقال الرجل: تلقـلني في المسجد !! فلما كان بعد ذلك غادر الرجل تلك الدار واختفى فلم يُعرف لـــه خـــبر!! فكان أصحاب الدار يقولون: الله بيننا وبين ابن المنكدر!! أخرج عنا الرجل الصـــالح"

[نقلا عن كتاب" سير أعلام النبلاء" للذهبي (٥/٣٥٦)].

* قال"ابن الجوزي"رحمه الله:الصدق الصدق به تسلم!! الجدّ الجدَّ به تغنـــم !! البـــدار البدار قبل أن تندم، هذا هو الدواء النافع، {تتجافى جنوبهم عن المضـــاجع}" [نقـلا عـن كتاب"التبصرة" لابن الجوزي (٢/٣٢٤)].

* أخي: اعلم أنه" لا تنتصر الدعوة إلا حين لا يكون في عقود الدعاة معها ومع ربهـــا للشيطان نصيب،...،لسان حالهم يقول:" لأعقدنَّ (أي مع الله تعالى) عقداً لا يكون للشيطان فيه نصيب!! فربَّ عملٍ صغير تُعظّمه النية، وربَّ عملٍ كبير تُصغِّره النية" [نقلا عن كتاب " الرقائق" للراشد].

* أخي:أصْلح نيتك لربك، واقصد بأفعالك وأقوالك ثواب مولاك، وناجِ ربك بلســـان حالك ومقالك قائلا:

سهر العيون لغير وجهك باطلُ .... وبكاؤهن لغير فقدك ضائعُ.

* ولله درُّ"محمد بن علي الحصكفي المقدسي"رحمه الله حين يقول:

اجـــعل شعـــارك حيثما كنت التقى ... قد فاز مَنْ جـــعـــل التقى إشـــعـــاره
واسلك طـــريق الحق مصطـــحبا به ... إخلاص قـــلبك حـــــارســـا إســـراره
وإذ أردتَ القـــرب من خير الورى ... يـــــوم الـــقـــيامـــة فاتـــبّـــع آثاره

[نقلا عن كتاب"الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع" للسخاوي (٨/٢٢٢)].

٢ استشعار أنّ ربك الجليل يـــدعوك لـــلـــقـــيـــام

وخصلةٌ أخرى تدعوك أيها الحبيب إلى التحمس للقيام ومناجاة الرحمن

في ظُلم الليالي، ألا وهي أن تستشعر وتستحضر بقلبك وفكــرك أنَّ ربــك ومــولاك وسيدك الجليل العظيم يدعوك ويُناديك ــ وهو الغني عن طاعاتك سبحانه ــ إلى القيام بين يديه، واللجوء إليه والتلذذ بمناجاته في ظلام الليل ، فهلاَّ أجبتَ نداء الســـماء؟!! وناجيتَ ربك في الظلماء ؟!! لتكون في الدنيا والآخرة من السعداء!!.

● قال الله تعالى آمرا نبيهﷺ وأصحابه وأمته بقيام الليل: { يا أيها المزمل ۞ قــم الليل إلا قليلا ۞ نصفه أو انقص منه قليلا ۞ أو زد عليه ورتِّل القــرآن ترتيــلا } [سورة المزمل الآيات(١ ــــ٤)].

* قال"سعد بن هشام بن عامر" لعــائشة رضي الله عنها: أنبئيني عن قــيــام رســول اللهﷺ ؟!! فقالت: ألست تقرأ:{ يا أيها المزمل} قلت: بلى، فقالت: إن الله عزَّ وجــلَّ افترض قيام الليل في أول هذه السورة فقام النبيﷺ وأصحابه حــولا، وأمســك الله خاتمتها اثني عشر شهرا في السماء حتى أنزل الله في آخر هذه السورة التخفيف، فصــار قيام الليل تطوعا بعد فريضة" [رواه مسلم في صحيحه].

* عن"أبي عبد الرحمن السلمي" رحمه الله قال:"لما نزلت{ يا أيها المزمل۞ قم الليــل إلا قليلا}، قام رسول اللهﷺ وأصحابه حولاً حتى انتفخت أقدامهم وسُــوقُهم!! حــتى نزلت:{ إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا....... الآيات} [نقلا عن كتاب" قيــام الليل" لمحمد بن نصر المروزي].

* قال"السهيلي" وفي خطابه(أي عليه الصلاة والسلام) بهذا الإسم (أي المزمل) فائدتان: أحداهمـــا الملاطفة،....، والفائدة الثانية: التنبيه لكل متزملٍ راقدٍ ليله لينتبه إلى قيام الليل وذكــر الله تعالى فيه" [نقلا عن كتاب" تفسير القرطبي (١٠ /٦٨٢٥)].

● قال الأُستاذ"سيد قطب"رحمه الله تعــليقا على آية المزمل:"{يا أيها المزمل، قم}:إنها دعوة السماء.. وصوت الكبير المتعال، قــم للأمر العــظيم الذي ينتظرك،...، قم للجهد والتعب والكد والتعبد ، قم فقد مضى عهد النوم والراحة ،... ، قم فتهيأ

للأمر واستعـــد" [نقلا عن كتاب" في ظلال القرآن" لسيد قطب (١٦٨/٦)].

* **وقال الله تعالى مخاطبا نبيه عليه الصلاة والسلام وأمته تبعٌ له في هذا الخطاب:{ومـــن الليل فتهجَّد به نافلةً لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً }** [سورة الإسراء الآية (٧٩)].

* **قال"القرطبي" في"تفسيره":{ومن الليل} "مِنْ " للتبعيض، { فتهجَّد} أي قم فتهجد به أي بالقرآن"** [نقلا عن تفسير القرطبي (١٩٩/١٠)].

* **قال الأُستاذ" سيد قطب" تعليقا على الآية المتقدمة:"{عسى أن يبعثك ربـــك مقامـــاً محمودا} بهذه الصلاة وبهذا القرآن والتهجد به، وبهذه الصلة الدائمة بالله، فـــهذا هـــو الطريق المؤدي إلى المقام المحمود،وإذا كان الرسولﷺ يُؤمر بالصلاة والتهجد والقرآن ليبعثه ربه المقام المحمود المأذون له به، وهو المصطفى المختار، فما أحوج الآخريــــن إلى هذه الوسائل لينالوا المقام المأذون لهم به في درجاهم، فهذا هو الطريق وهـــذا هـــو زاد الطريق"** [نقلا عن كتاب" في ظلال القرآن" لسيد قطب (١٦٨/٦)].

* **وقال الله تعالى مُرغّباً لنبينا عليه الصلاة والسلام ولأمته في قيام الليل:{ومـــن الليـــل فاسجد له وسبِّحه ليلاً طويلاً}** [سورة الإنسان الآية (٢٦)].

* **قال"القاسمي" في تفسيره:" { ومن الليل فاسجد له } أي بالتهجد فيه،{ وسبِّحه ليـــلا طويلا} أي مقدارا طويلا ، نصفه أو زيادة علـــيه، وفي هـــذه الأوامـــر مع الأمـــر في أول " المزمل" وأمثالها ما يدل على العناية بقيام الليل والحرص عليه"** [نقلا عن كتاب" محاســن التأويل" للقاسمي].

* **وقال المولى جلَّ في علاه داعياً لنا للقيام والمناجاة:{ فإذا فرغت فانصب ❋ وإلى ربك فارغب}** [سورة"الشرح" الآيتان(٧،٨)].

* **قال"ابن مسعود" رضي الله عنه في تأويل هاتين الآيتين:"إذا فرغـــت مـــن المكتوبـــة فانصب في قيام الليل"** [نقلا عن كتاب"قيام الليل" للمروزي].

* **وقال الربُّ تعالى حاثاً لنا على قيام الليل:{ ومِنْ الليل فسبِّحه وإدبار النجوم }** [ســورة الطور الآية (٤٩)].

* قال"القاسمي" في تفسيره:" أي اذكره واعبده بالتلاوة والصلاة بالليل" [نقلا عن كتاب"محاسن التأويل" للقاسمي].

* وقد أخبرنا الرسولﷺ أن ربنا ومولانا العظيم الجليل مالك الملك يدعونا ويُنادينا في كل ليلة ــ وهو الغنيُّ عنا سبحانه ــ إلى مناجاته والقيام بين يديه :

* عن"أبي هريرة" رضي الله عنه أن النبيﷺ قال:"يتنزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: مَن يدعوني فاستجيب له؟!! مَن يسألني فأعطيه؟!! مَن يستغفرني فأغفر له؟!! " [رواه البخاري ومسلم].

* وعن"أبي هريرة" رضي الله عنه أن النبيﷺ قال:" ينزل الله عزَّ وجلَّ إلى سماء الدنيا كل ليلة حين يمضي ثلث الليل الأول فيقول: أنا الملك أنا الملك، مَن ذا الذي يدعوني فاستجيب له؟!! مَن ذا الذي يسألني فأعطيه ؟!! مَن ذا الذي يستغفرني فأغفر له؟!! فلا يزال كذلك حتى يُضيء الفجر " [رواه مسلم في صحيحه].

- إخواني:"إذا جنَّ الليل فسيروا في بوادي الدجى ، وأنيخوا بوادي الذل(أي لله تعالى)، واجلسوا في كسر الانكسار ، فإذا فُتح الباب للواصلين ، دونكم فاهجموا هجوم الكذابين ، وابسطوا كفَّ:{وتصدَّق علينا} ، لعل هاتف القبول يقول:{لا تثريب عليكم اليوم} "[نقلا عن كتاب"المدهش" لابن الجوزي].

٣ الرسولﷺ يدعوك إلى قيام الليل

ومما يزيدك تحمسا لقيام الليل، وحرصاً على مناجاة الله تعالى والوقوف بين يديه في ذلك الوقت ، أن تعلم أن رسولك العظيم محمد عليه الصلاة والسلام يحثك على القيام، ويُرغِّبك ويُوصيك بمناجاة الملك العلاَّم ، في الليل والناس نيام ، لتفوز بمجاورته في دار السلام ، مع النبيين والصالحين والأئمة الأعلام:

* عن"أبي هريرة" رضي الله عنه أن النبيﷺ قال:"أفضل الصلاة بعد الصلاة المكتوبة الصلاة في جوف الليل، وأفضل الصيام بعد شهر رمضان صيام شهر الله المحرم" [رواه مسلم].

* عن" عبد الله بن سلام" رضي الله عنه قال: لما قدم الرسولﷺ المدينة انجفل الناس إليه (أي أسرعوا ومضوا إليه)، فلما استبنته عرفتُ أنه ليس بوجه كذاب، قال: فكان أول ما سمعتُ من كلامه أنه قال: أيها الناس :أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصِلوا الأرحام، وصَلُّوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام" [رواه أحمد والترمذي وقال: حديث حسن صحيح، ورواه الحاكم وقال: صحيحٌ على شرط الشيخين"].

* عن"عبد الله بن عمرو" رضي الله عنهما أن النبيﷺ قال:" أحب الصلاة إلى الله صلاة داود، وأحب الصيام إلى الله صيام داود، كان ينام نصف الليل، ويقوم ثلثه، وينام سدسه ، ويصوم يوما ويفطر يوما" [متفق عليه].

* عن"عمرو بن عبسة" رضي الله عنه أن النبيﷺ قال:"أقرب ما يكون الربُّ من العبد في جوف الليل الآخر، فإنْ استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكُن" [رواه الترمذي وصححه،والنسائي والحاكم وقال:هو على شرط مسلم، وأقره على ذلك الذهبي].

* عن"بلال"رضي الله عنه أن النبيﷺ قال:"عليكم بقيام الليل، فإنه دأب الصالحين قبلكم، وقُربةٌ إلى الله تعالى، ومنهاةٌ عن الإثم،وتكفيرٌ للسيئات،ومَطْرَدةٌ للداء عن الجسد"[رواه الترمذي والبيهقي والحاكم وصححه وقال: على شرط البخاري،وأقره على ذلك الذهبي].

بل لقد كان الرسولﷺ يُرشد مَن سأله عن أحب أعمال الخير إلى الله، يرشده الى أعمالٍ منها قيام الليل:

* عن" معاذ بن جبل"رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله أخبرني بعمل يُدخلني

الجنة ويُباعدني عن النار؟ فقال: لقد سألتني عن عظيم، وإنه ليسيرٌ على مَن يسَّره الله عليه، تعبد الله لا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤتي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان، وتحج البيت، ألا أدلك على أبو اب الخير؟!! الصوم جُنَّة(أي وقاية من النار)، والصدقة تطفيء الخطيئة كما يطفيء الماء النار، وصلاة الرجل في جوف الليل ثم قرأ:{ تتجافى جنوبهم عن المضاجع....} الآية،...." [رواه الترمذي وقال:"حديث حسن صحيح، ورواه الحاكم في المستدرك وقال: صحيح على شرط الشيخين ووافقه على ذلك الذهبي].

● بل لقد جعل النبيﷺ قيام الليل من أول صفات الأبرار:

* عن"أنس" رضي الله عنه أن النبيﷺ قال:"جعل الله عليكم صلاة قومٍ (أي دعاء قوم) أبرار، يقومون الليل ويصومون النهار، ليسوا بأثمةٍ ولا فجّار) [رواه" عبد بن حميد" والمقدسي" في" الأحاديث الجياد المختارة" وصححه "الألباني" في" صحيح الجامع" برقم(٣٠٩٢)].

● بل لقد وصف النبيﷺ من يواظب على قيام الليل بأنه نِعْمَ الرجل ، وهذه منقبةٌ عظيمة ومزيةٌ جسيمة ، ينبغي لكل مؤمن أن يحرص عليها:

* عن"ابن عمر"رضي الله عنهما قال : قال الرسولﷺ :"نِعْمَ الرجل عبد الله(أي عبد الله بن عمر) لو كان يصلي من الليل!! قال" سالم": فكان عبد الله بعد ذلك لا ينام من الليل إلا قليلا "، وفي رواية أنه عليه الصلاة والسلام قال:" إن عبد الله رجلٌ صالحٌ لو كان يُكثر الصلاة من الليل" [متفق عليه].

* قال الحافظ"ابن حجر"وشاهد الترجمة قوله" نِعمَ الرجل عبدالله لو كان يصلي من الليل" ، فمقتضاه أنَّ مَن كان يصلي من الليل يوصف بكونه نِعْمَ الرجل" [نقلا عن" فتح الباري" لابن حجر(٣//٩)].

* أخي: قف في ظلام الليل ونادِ: يا ديار المتهجدين أين سكانك؟!! يا مرابع المستغفرين أين روّادك؟!! يا مواطن التائبين أين قُطّانك ؟!! يا عيون المذنبين أين عبراتك؟!!وآ أسفاً للمتقاعد عنهم !! وآ حسرةً للبعيد منهم !! .

* أخي: تجوَّل في وادي المتهجدين ، وتنقَّل بين أنَّات المذنبين وتسبيح المتهجدين وتضرع السائلين!! وأبْصِرهم:فهذا يُعاتب نفسه على التقصير !! وهذا يتفكر في هول المصير !! وهذا يخاف حساب الناقد البصير !! وذاك يتعوذ بالله من عذاب يوم عسير !! .

٤ معرفة مدى تلذذ السلف بقيام الليل

لا يستطيع المرء أن يتذوق حلاوة الصلاة ولذة المناجاة ، وأُنس الخلوة بالله ،وينهمك فيها ، ما لم تحتل الصلاة محل الدواء من قلبه، ويصل إلى درجة تصبح الصلاة فيها قرةً لعينه ومسرةً لروحه وانشراحاً لصدره وشفاءً لسقمه وزوالاً لهمِّه وكشفاً لكربه وأنيساً لنفسه ، ومن ذاق عرف ، وكذا كان حال سلفنا الكرام مع الصلاة ،فقد كانوا يتلذذون بقيام الليل أعظم التلذذ ، ويفرحون به أشد الفرح ، فاسمع أخبارهم يا بطَّال ، يا مَن همَّته في القيل والقال ، والأكل والشرب والنعال:

* قال"عبدالله بن وهب"رحمه الله:"كل ملذوذ(أي من لذات الدنيا) إنما له لذة واحدة، إلا العبادة ، فإن لها ثلاث لذات: إذا كنتُ فيها، وإذا تذكرتُها ، وإذا أُعطيتُ ثوابها!!(أي في الآخرة) " [نقلا عن كتاب"الصلاة والتهجد" لابن الخراط].

* قال"مسلم بن يسار" رحمه الله:"ما تلذذ المتلذذون بمثل الخلوة بمناجاة الله عزَّ وجلَّ، وكان "مسلم" يدخل الكعبة فيصلي ركعتين بين العمودين المقدَّمين ويسجد ويبكي حتى يبلَّ المرمر، ويقول:اغفر لي ذنوبي وما قدمته يداي، وكان يقول في سجوده:متى ألقاك وأنت عني راضٍ؟!! " [نقلا عن كتاب"حلية الأولياء" لأبي نعيم (٢/٢٩٠)].

* قال"محمد بن المنكدر"رحمه الله:" ما بقي من لذات الدنيا إلا ثلاث: قيام الليل، ولقاء الإخوان ، والصلاة في جماعة " [نقلا عن كتاب"مختصر قيام الليل"للمقريزي]، .

* اشترى "الربيع بن خيثم" رحمه الله فرسا بثلاثين ألفا فغزا عليها، ثم أرسل غلامه "يسار" يحتشّ(أي يبحث عن حشيش) وقام هو يصلي لله، وربط فرسه بجواره، وبعد قليل

رجع" يسار" فلم يجد الفرس، فقال للربيع لما انتهى من صلاته: أين الفرس؟!! فقال الربيع: سُرقت يا يسار!! فقال: وأنت تنظر إليها؟!!، فقال: نعم يا يسار!! إني كنتُ أُناجي ربي عزَّ وجلَّ فلم يشغلني عن مناجاة ربي شيء!!، اللهم إنه (أي اللص) سرقني ولم أكن لأسرقه!! اللهم إن كان غنيا فاهده!! وإن كان فقيرا فأغنه!! قالها ثلاث مرات " [نقلا عن كتاب"الزهد" للإمام أحمد].

* قال"ثابت البناني" رحمه الله:"ما شيءٌ أجده في قلبي الذَّ عندي من قيام الليل" [نقلا عن كتاب" تنبيه المغترين" للشعراني].

* قال"أبو سليمان الداراني"رحمه الله:" لأَهْلُ الطاعة في ليلهم ألذُّ من أهل اللهو في لهوهم!! " [نقلا عن كتاب" حلية الأولياء" لأبي نعيم (١٠/١٥)].

* قال"معضد العجلي" رحمه الله:"لولا ثلاث :ظمأ الهواجر وطول ليل الشتاء ولذاذة التهجد بكتاب الله عزَّ وجلَّ ما باليتُ أن أكون يعسوباً(وهو ذكرُ النحل) !!" [نقلا عن كتاب"حلية الأولياء" لأبي نعيم (٤/١٥٩)].

* قال"يزيد الرقاشي" رحمه الله:"ما أعلم شيئا أقرَّ لعيون العابدين في الدنيا من التهجد في ظلمة الليل، وما أعلم شيئا من نعيم الجنة وسرورها ألذَّ عند العابدين ولا أقرَّ لعيونهم من النظر إلى ذي الكبرياء العظيم إذا رُفعت تلك الحُجب وتجلى لهم الكريم" [نقلا عن كتاب"رهبان الليل" للعفاني (١/٥٢٧)].

* وما أجمل ما قاله الشاعر في وصف هذه اللذة:

بكى الباكون للرحمن ليلاً... وباتوا دمعهم لا يسأمونا

بقاع الأرض من شوقٍ إليهم ... تحنُّ متى عليها يسجدونا .

* قال بعض الصالحين:" قيام الليل والتملق للحبيب(وهو الله تعالى) والمناجاة للقريب في الدنيا ، ليس من الدنيا، هو من الجنة، أُظهرَ لأهل الله تعالى في الدنيا لا يعرفه إلا هم، ولا يجدون سواه رَوْحاً(أي سعادة وراحة) لقلوبهم"[نقلا عن " مختصر قيام الليل" للمقريزي].

* قيل"لعبد العزيز الراسبي" رحمه الله:ما بقي مما يُتلذذ به؟!! فقال: سردابٌ أخلو بربي فيه" [نقلا عن كتاب" استنشاق نسيم الأنس" لابن رجب].

* **قال"مسلم العابد"رحمه الله:"ما يجد المطيعون لله لذة في الدنيا أحلى من الخلوة بمناجاة سيدهم، ولا أحبَّ لهم في الآخرة من عظيم الثواب،وأكبر في صدورهم وألذ في قلوبهم من النظر إلى الله عزَّ وجلَّ"** [نقلا عن نفس المصدر السابق].

* **قال أحد الصالحين مناجيا لربه:"إذا سئم البطَّالون من بطالتهم ، فلن يسأم محبُّوك من مناجاتك وذكرك!!"** [نقلا عن نفس المصدر السابق].

* **قال عابدٌ من أهل اليمن:"سرور المؤمن ولذته في الخلوة بمناجاة سيده"** [نقلا عن نفس المصدر السابق].

* **قال"يزيد بن أبان الرقاشي" رحمه الله:"بطول التهجد تقرُّ عيون العابدين، وبطول الظمأ**(أي صيام الهواجر) **تفرح قلوبهم عند لقاء الله"** [نقلا عن كتاب"مختصر قيام الليل" للمقريزي].

* **كان"عمر بن المنكدر"رحمه الله يقوم الليل يصلي لربه، فكانت أمه تقول له:إني لأشتهي أن اراك نائما!! فيقول لها: يا أمَّاه والله إن الليل ليردُ عليَّ فيهولني فينقضي عني وما قضيت منه أربي!!**(أي ما شبعتُ من صلاة الليل) **!! "** [نقلا عن كتاب"مختصر قيام الليل" للمقريزي].

* **قال"أبو سليمان الداراني" رحمه الله:"لو عَوَّض الله أهل الليل من ثواب أعمالهم ما يجدونه من اللذة** (أي حين يناجون ربهم في قيام الليل) **لكان ذلك أكثر من ثواب أعمالهم!!"** [نقلا عن كتاب" إحياء علوم الدين" للغزالي].

* **قال"بعض الصالحين":" ليس في الدنيا وقت يُشبه نعيم أهل الجنة إلا ما يجده أهل التملق**(أي الانكسار والتذلل لله تعالى) **في قلوبهم بالليل من حلاوة المناجاة"** [نقلا عن كتاب" رهبان الليل" للعفاني (١/٥٢٧)].

* **قال"الفضيل بن عياض"رحمه الله:"إني لأستقبل الليل من أوله فيهولني طوله، فأفتتح القرآن فأُصبح وما قضيتُ همتي**(أي ما شبعتُ من القرآن والصلاة) **"** [نقلا عن كتاب"إحياء علوم الدين" للغزالي (١/٤٢٠)].

* **وما أجمل ما قاله العبد الصالح"أبو سليمان الداراني"رحمه الله حيث يقول:"لو لم يبكِ الغافل باقي عمرهَ إلا على ما فاته من لذة الطاعة فيما مضى من عمره، لكان ينبغي أن يبكي على ذلك حتى يخرج من الدنيا"** [نقلا عن كتاب" الصلاة والتهجد" لابن الخراط].

* وسترد معنا قصة الصحابي الجليل"عمار بن ياسر" رضي الله عنه لما شغلته لذة مناجاة الله في قيام الليل عن ألم ثلاثة أسهم أصابته في بطنه !! فراجعها في الطريقة رقم (٤٢).

* وسترد معنا قصة التابعي الجليل"صلة بن أشيم العدوي"رحمه الله لما شغلته لذة القرآن والقيام عن الاهتمام بالأسد المفترس الذي كان بجواره يريد أن يفترسه!! فراجعها في الطريقة رقم (٤٢).

٥ النوم على الجانب الأيمن

ومما يُعين على التحمس لقيام الليل أن ينام المرء على شقّه الأيمن، اقتداء بفعل الرسول عليه الصلاة والسلام، وتيمناً بالنوم على الشق الأيمن ، ولأن ذلك أعونُ على سرعة الاستيقاظ ، وأبعدُ عن الاستغراق في النوم.

● وقد كان النبيﷺ يرشد أمته إلى النوم على الجانب الأيمن:

* عن"أبي هريرة" رضي الله عنه قال:قال الرسول عليه الصلاة والسلام:"إذا أوى أحدكم إلى فراشه فلينفضه بداخلة إزاره (أي بباطن الإزار)،فإنه لا يدري ما خَلَفَهُ عليه!!(أي لا يدري ما أصابه بعده من الدواب والهوام)،ثم ليضطجع على شقه الأيمن، ثم ليقل:باسمك ربي وضعتُ جنبي، وبك أرفعه، إنْ أمسكت نفسي فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين" [رواه البخاري ومسلم وأبو داود] .

* وعن"البراء بن عازب"رضي الله عنهما أن النبي عليه الصلاة والسلام قال:"إذا أتيت مضجعك ، فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن،....." [متفق عليه].

* وعن"حفصة" رضي الله عنها قالت:"كان النبيﷺ إذا أخذ مضجعه جعل يده اليمنى تحت خده الأيمن" [رواه الطبراني في"المعجم الكبير"، وصححه الألباني في" صحيح الجامع" برقم(٤٥٢٣)].

* واستمع إلى طبيب القلوب العلامة"ابن القيم" وهو يوضح لنا الحكمة من استحباب

الشارع النوم على الجانب الأيمن ، فيقول:"وفي اضطجاعه ﷺ على شقه الأيمن سرّ، وهو أن القلب معلّق في الجانب الأيسر، فإذا نام على شقه الأيسر استثقل نوماً،لأنه (أي القلب) يكون في دعةٍ واستراحة فيثقل نومه، فإذا نام على شقه الأيمن فإنه يقلق ولا يستغرق في النوم ، لقلق القلب وطلبه مستقره (أي في الجهة اليسرى) وميله إليه،ولهذا استحب الأطباء النوم على الجانب الأيسر لكمال الراحة وطيب المنام، وصاحب الشرع يستحب النوم على الجانب الأيمن لئلا يثقل نومه، فينام عن قيام الليل،فالنوم على الجانب الأيمن أنفع للقلب، وعلى الجانب الأيسر أنفع للبدن، والله أعلم" [نقلا عن كتاب"زاد المعاد" لابن القيم (١/٣٢١)] .

* إخواني: اغتنموا هذه الساعات (أي أوقات القيام بالليل) التي يُفتح فيها الباب، ويُقرَّب فيها الأحباب، ويُسمع الخطاب ويُرد الجواب ويُعطى للعاملين أجزل الثواب.

هي ليالٍ ذاهبة عنكم بأفعالكم!! وقادمة عليكم غدا بأعمالكم!! فيا ليت شعري ماذا أودعتموها وبأيِّ الأعمال ودّعتموها ؟!! أتُراها ترحل حامدةً لصنيعكم أم ذامَّةً لتضييعكم ؟!! هي ليالي عتقٍ(أي من النار) ومباهاة !! وأوقات أُنسٍ ومناجاة !! وساعات قربٍ ومصافاة، فيا ليالي المتهجدين اشهدي !! ويا ألسنة السائلين جِدِّي في المسألة واجتهدي.

* ولله درُّ القائل:

عرِّج على الدار لا شطَّتْ بك الدارُ ... هناك خيَّمَ أحبارٌ ورهبانُ

وانظر هناك رجالاتٍ كأنهمُ ... خيل الرهان جرى بهنَّ مضمارُ

شدُّوا الحزيم وأرخوا أعنَّتهم ... وساعدهم على المطلوب أقدارُ

قاموا ونمتَ وأرزاق الورى قِسَمٌ .... وفي المقادير إيرادٌ وإصدارُ .

٦ إدراك أنَّ القيام سببٌ لطرد الغفلة عن القلب

الغفلة داء خطير ومرضٌ عضال ، يُصاب به القلب إذا توسَّع في المباحات ،وتكاسل

عن الطاعات، وانغمس في الملذات،،وقصَّر في مناجاة فاطر الأرض والسموات، وحينئذٍ يكون الدواء الناجع بإذن الله هو قيام الليل :

●وقد قرر لنا رسولنا عليه الصلاة والسلام أن قيام الليل يطرد الغفلة عن القلب:

* عن" عبد الله بن عمرو بن العاص"رضي الله عنهما أن النبيﷺ قال:"مَنْ قام بعشر آيات لم يُكتب من الغافلين، ومن قام بمئة آية كُتب من القانتين، ومَن قام بألف آية كُتب من المقنطرين" [رواه أبو داود وابن خزيمة في صحيحه، ورواه " ابن حبان" في صحيحه، وحسنه " الألباني" في" صحيح الترغيب والترهيب" برقم (٦٣٥)].

*وعن"أبي هريرة"رضي الله عنه أن النبيﷺ قال:" مَن حافظ على هؤلاء الصلوات المكتوبات لم يكن من الغافلين، ومن قرأ في ليلة مائة آية لم يُكتب من الغافلين، أو كُتب من القانتين" [رواه الحاكم وابن خزيمة وصححه، وصححه الألباني في"السلسلة الصحيحة" برقم (٦٤٣)].

*وعن"أبي هريرة"رضي الله عنه أن النبيﷺ قال:"مَن صلّى في ليلةٍ بمائة آية لم يُكتب من الغافلين، ومَن صلّى في ليلةٍ بمائتي آية فإنه يُكتب من القانتين المخلصين" [رواه الحاكم في" المستدرك" وقال: صحيح على شرط مسلم، وأقره على ذلك الذهبي].

● بل لقد أخبرنا رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام أن النوم عن قيام الليل غفلةٌ من المؤمن ، يقتنصها الشيطان ليستخفَّ بهذا النائم ويستحوذ عليه ويبول في أُذنيه:

* فعن"عبدالله بن مسعود" رضي الله عنه قال:ذُكر عند النبيﷺ رجل نام ليلةً حتى أصبح(أي أنه ترك قيام الليل) ، فقال عليه الصلاة والسلام: ذاك رجل بال الشيطان في أذنه، أو قال: في أذنيه!!" [متفق عليه].

* قال"الحافظ"ابن حجر" تعقيبا على الحديث:"واختُلف في بول الشيطان ــ وساق عدة أقوال في تفسيره ــ ثم قال:وقيل معناه أن الشيطان استولى عليه واستخفَّ به حتى اتخذه كالكنيف المعدِّ للبول، إذ مِن عادة المستَخِفِّ بالشيء أن يبول عليه، وقيل هو مثلٌ

مضروب للغافل عن القيام بثقل النوم " [نقلا عن كتاب" فتح الباري" لابن حجر ، ج٣].

*قال"يحي بن معاذ الرازي" رحمه الله:"دواء القلب خمسة أشياء: قراءة القرآن بالتفكر، وخلاء البطن (أي عدم الإكثار من الطعام) ، وقيام الليل، والتضرع عند السحر، ومجالسةالصالحين" [نقلا عن كتاب" صفة الصفوة" لابن الجوزي (٩٢/٤)].

* قال" شاه ولي الله الدهلوي"رحمه الله مبينا أثر السهر والتهجد في تليين القلب وطرد القسوة عنه:"...، وأيضا فللسهر خاصية عجيبة في إضعاف البهيمية (أي صفات الحيوان التي في الإنسان من التعلق بالدنيا والركض وراء الشهوات والملذات والكبر والفخر وغيرها)، وهو بمنزلة الترياق (أي المصل الواقي)، ولذلك جرت عادة طوائف الناس أنهم إذا أرادو تسخير السباع وتعليمها الصيد لم يستطيعوه إلا مِنْ قِبَل السهر والجوع، ولذا كانت العناية بصلاة التهجد أكثر، فبين النبيﷺ فضائلها وضبط آدابها وأذكارها" [نقلا عن كتاب" حجة الله البالغة" للدهلوي (١٦/٢)].

* ورحم الله الشاعر حين قال :

أيقظانٌ أنت اليوم أم أنت نائمُ؟!..... وكيف يُطق النوم حيران هائمُ
فلو كنتَ يقظان الغداة لحرَّقت .... محاجر عينيك الدموع السَّواجم
بل أصبحتَ في النوم الطويل وقد دنت ... إليك أمورٌ مُفظّعات عظائمُ
نهارك يا مغرور سهوٌ وغفلةٌ ..... وليلُك نومٌ والردى لك لازمُ
يغرُّك ما يبلى ، وتُشغلُ بالهوى .... كما غُرَّ باللذات في النوم حالمُ
وتُشغَل فيما سوف تكرهُ غبَّهُ ... كذلك في الدنيا تعيش البهائمُ

[نقلا عن كتاب" حلية الأولياء" لأبي نعيم (٣١٩/٥)].

٧ استشعار أن الله يرى ويسمع صلاتك له بالليل

أخي الحبيب:إنَّ مما يُسهل عليك القيام لصلاة الليل ، أن تستشعر وتستحضر بقلبك حين تقوم للصلاة ،أنَّ ربك ومولاك الجليل المتعال ينظر إليك في ذلك الوقت ، ويرى

ويسمع صلاتك وقيامك ومناجاتك ، فإن العبد الذليل الفقير إذا أحسَّ بأن سيده ومولاه يُبصر تعبه واجتهاده في طاعته ويراه ، هان عليه العسير ، وبادر إلى تدارك التفريط والتقصير ، طلبا لرضا مولاه اللطيف الكبير:

* وقد أخبرنا المولى سبحانه عن هذه الحقيقة بقوله:{وتوكَّل على العزيز الرحيم❋ الذي يراك حين تقوم❋ وتقلبك في الساجدين❋ إنه هو السميع العليم} [سورة الشعراء الآيات(٢١٧ ــ ٢٢٠)].

*وقال ربنا الرحمن مقررا ذلك:{إنَّ ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفةٌ من الذين معك} [سورة المزمل" الآية (٢٠)].

* يقول الأُستاذ"سيد قطب"رحمه الله مُعقباً على هذه الآية:"وفي الحديث (أي في الآيات) مودةٌ وتطمينٌ (أي للمؤمنين): {إنَّ ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفةٌ من الذين معك} إنه رآك...، قيامك وصلاتك،أنت وطائفة من الذين معك قبلت في ميزان الله،...، إن ربك يعلم أنك وهم تجافت جنوبكم عن المضاجع وتركت دفء الفراش في الليلة القارسة، ولم تسمع نداء المضاجع (أي الفُرُش) المغري وسمعتْ نداء الله "[نقلا عن كتاب"في ظلال القرآن"لسيد قطب (١٧٧/٦)].

*وعن"ابن مسعود" رضي الله عنه أن النبيﷺ قال:"عَجِبَ ربنا من رجلين:رجلٍ ثار (أي قام) عن وِطائه(أي فراشه) ولحافه، مِنْ بين أهله وحِبِّه (أي أحبابه) إلى صلاته (أي قيام الليل)،فيقول الله جل وعلا: أيا ملائكتي:انظروا إلى عبدي ثار (أي نهض ووثب بهمَّة ونشاط) عن فراشه ووطائه من بين حِبِّه وأهله إلى صلاته رغبة فيما عندي وشفقة مما عندي!! ورجلٌ غزا في سبيل الله، وانهزم أصحابه وعلم ما عليه في الانهزام، وما له (أي من الأجر والثواب) في الرجوع، فرجع حتى يُهريق دمه،فيقول الله لملائكته:انظروا إلى عبدي رجع رجاءً فيما عندي، وشفقةً مما عندي حتى يُهريق دمه" [رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني، وابن حبان في صحيحه عن" ابن مسعود"، وحسَّنه الألباني في"صحيح الترغيب والترهيب" (٢٥٨/١)] .

*أخي: قم في ظلام ليلك، واستغفر ربك من تقصيرك وكثرة نومك،واسكب دموع الانكسار، وقل بلسان الذل والافتقار:"يا غيوم الغفلة عن القلوب تقشّعي، ويا شموس التقوى والإيمان اطلعي ، ويا صحائف أعمال الصالحين ارتفعي ، ويا قلوب المتهجدين اخشعي ، ويا أقدام التائبين اسجدي لربكِ واركعي ، ويا عيون المذنبين لا هجعي، ويا ذنوب التائبين لا ترجعي ، ويا أرض الهوى ابلعي ماءكِ ويا سماء النفوس أقلعي، ويا خواطر العارفين ارتعي، ويا همم المحبين بغير الله لا تقنعي ، فها هيَ موائد الإنعام قد مُدَّت في جنح الظلام فما منكم أحد إلا ولها قد دُعي {يا قومنا اجيبوا داعي الله} ، فيا همم المؤمنين أسرعي،فطوبى لمن أجاب فأصاب،وويل لمن طُرد عن الباب وما دُعي.

٨ معرفة مدى اجتهاد الرسول ﷺ في القيام

لقد أدرك الحبيب عليه الصلاة والسلام أهمية قيام الليل، وثوابه العظيم عند الله ، فكان يجتهد في القيام اجتهادا شديدا، بل كان يحرص ويُواظب عليه، وكأنه بذلك يدعو أمته إلى المحافظة على القيام والمواظبة عليه، وعدم التكاسل عنه.

* عن"المغيرة بن شعبة" رضي الله عنه أن النبيﷺ صلى(أي بالليل) حتى انتفخت قدماه !! فقيل له: أتُكلّف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟!! فقال: أفلا أكون عبدا شكورا" [متفق عليه].

* وعن"عائشة"رضي الله عنها قالت:" كان رسول اللهﷺ إذا صلى قام حتى تفطَّر رجلاه!!(أي تتشقق)، قالت عائشة: يا رسول الله :أتصنع هذا وقد غُفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟!! فقال:يا عائشة أفلا أكون عبدا شكورا" [متفق عليه].

*قال"ابن بطال" تعقيبا على الحديث المتقدم:"وفي هذا الحديث أخذُ الإنسان نفسه بالشدة في العبادة، وإنْ أضرَّ ذلك ببدنه ، لأنهﷺ إذا فعل ذلك (أي القيام حتى تتورم قدماه)

مع علمه بما سبق له (أي من المغفرة والثواب عند الله) **فكيف بمن لم يعلم بذلك فضلا عمن لم يأمن أنه استحق النار"** [نقلا عن كتاب"فتح الباري" لابن حجر].

* **وعن"أبي هريرة" رضي الله عنه قال:" كان رسول الله ﷺ يُصلي حتى تزلع قدماه** (أي تتشقق) **"** [رواه النسائي في سننه ، وهو صحيح].

* **أخي:تعلّق بالليل فهو شافعٌ مُشفَّع ، تمسك بالبكاء فهو رفيق صالح ، ادخل في زمرة المتهجدين على وجه التطفل ، وانطرح في فلوات الخلوات على بساط التذلل والانكسار.**

* **أخي: يا ثقيل النوم!! أمَّا تنبهك المزعجات؟!! الجنة فوقك تُزخرف ، والنار تحتك توقد ، والقبر إلى جنبك يُحفر !! وربما يكون الكفن قد غُزل!! فإلى متى الغفلة؟!! .**

* **أخي: اعلم أنه من لازم المنام لم يرَ إلا الأحلام .**

٩ التأمل في وصف المتهجدين بالليل

وخصلةٌ أخرى تزيدك أخي الحبيب تحمسا لقيام الليل وتشوقا لمناجاة الرحمن ، ألا وهي التأمل في وصف المتهجدين بالليل ، والتفكر في حالهم حين يقومون لمناجاة ربهم ، فإن الحكم على الشيء فرعٌ عن تصوره، ومن ذاق عرف .

* **قال الله تعالى واصفا عباده الأبرار:{ والذين يبيتون لربهم سُجَّدا وقياماً}** [سورة الفرقان الآية (٦٤)].

* **قال الأُستاذ" سيد قطب" في ظلال هذه الآية:" يُبرز الله عباده، عباد الرحمن بصفاتهم المميزة ومقوماتهم الخاصة، وكأنهم خلاصة البشرية في نهاية المعركة الطويلة بين الهدى والضلال،......{والذين يبيتون لربهم سجدا وقياماً} والتعبير يُبرز من الصلاة السجود والقيام لتصوير حركة عباد الرحمن في جنح الليل والناس نيام، ...، فهؤلاء قوم يبيتون لربهم سجدا وقيأمًا، يتوجهون لربهم وحده ويقومون له وحده، ويسجدون له وحده،**

هؤلاء قوم مشغولون عن النوم المريح اللذيذ بما هو أروح منه وأمتع، مشغولون بالتوجه إلى ربهم، وتعليق أرواحهم وجوارحهم به، ينام الناس وهم قائمون ساجدون، ويخلد الناس إلى الأرض وهم يتطلعون إلى عرش الرحمن ذي الجلال والإكرام" [نقلا عن كتاب" في ظلال القرآن" لسيد قطب (٣/٥٥)].

• وقال تعالى واصفا عباده المتهجدين بالليل:{ كانوا قليلا من الليل ما يهجعون ❁ وبالأسحار هم يستغفرون} [سورة الذاريات الآيتان (١٧ ، ١٨)].

* قال"الأحنف بن قيس" رحمه الله:" عرضت عملي على أعمال أهل الجنة فإذا قوم قد باينونا (أي خالفونا) بونا بعيدا ، لا نبلغ أعمالهم!! ثم قرأ:{ كانوا قليلا من الليل ما يهجعون}" [نقلا عن كتاب" تفسير القرطبي" (١٧/٢٧)].

* قال"الحسن البصري" عن هذه الآية:"لا ينامون من الليل إلا أقله، كابدوا قيام الليل"[نقلا عن نفس المصدر السابق].

* قال"الرازي"رحمه الله تعليقا على قوله تعالى:{ وبالأسحار هم يستغفرون}:" في الآية إشارة إلى أنهم كانوا يتهجدون ويجتهدون ثم يريدون أن يكون عملهم أكثر من ذلك وأخلص منه فيستغفرون من التقصير، وهذه سيرة الكريم: يأتي بأبلغ وجوه الكرم ويستقله ويعتذر من التقصير، واللئيم يأتي بالقليل ويستكثره ويمن به" [نقلا عن كتاب"محاسن التأويل" للقاسمي].

• وقال المولى تعالى واصفا عباده الصالحين:{ تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون❁ فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون} [سورة السجدة الايتان(١٦،١٧)].

* قال"الحسن البصري" في هذه الآية:"هو قيام الليل.

* وقال"ابن زيد"رحمه الله:"هؤلاء المتهجدون لصلاة الليل" ، وكذا قال"مجاهد" رحمه الله" [نقلا عن كتاب" تفسير الطبري"لابن جرير الطبري (٢١/٩٩)].

• وقال الله تعالى:{أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون} [سورة الزمر الآية (٩)].

*قال الأُستاذ"سيد قطب" تعليقا على هذه الآية:" هي صورة مشـــرقة مرهفـــة،.....، فالقنوت والطاعة والتوجه وهو ساجد قائم، وهذه الحساسية المرهفة وهو يحذر الآخـــرة ويرجو رحمة ربه، وهذا الصفاء وهذه الشفافية التي تفتح البصيرة، وتمنح القلب نعمــــة الرؤية والالتقاط والتلقي، هذه كلها ترسم صورة مشرقة وضيئة من البشر" [نقـــلا عـــن كتاب" في ظلال القرآن" لسيد قطب (٥/٣٠٤٢)].

*واستمع إلى العالم الرباني"ابن القيم"رحمه الله وهو يصف لك حال السلف الأبـــــرار في قيامهم بالليل فيقول:

الـــقانتون المـــخبـــتون لربـــهــــــم ... النـــاطـــقون بأصـــدق الأقـــوال

يُحـــيـــون ليلهـــمُ بطاعـــة ربـــهم ... بتـــلاوةٍ، وتـــضـــــرعٍ، وســـؤالِ

وعيونهم تجـــري بـــفيضِ دموعـــهم ... مـــثل انـــهـــمـــال الوابل الهـــطَّال

في الليل رهـــبانٌ وعند جـــهـــادهم ... لعـــدوهـــم مـــن أشـــجع الأبطال

بوجـــوهـــهم أثر السجـــود لربهم ... وبهـــا أشـــعـــــة نـــوره المـــتلالي

ولقد أبان لك الكـــتاب صفـــاتهم ... في ســـــورة الفـــتـــح المـــبين العالي

وبرابع السبع الطـــوال صفـــاتهم ... قـــومٌ يـــحـــبهـــــم ذوو إدلال

وبراءةٍ والحشرِ فيـــها وصفـــهم ... وبـــهـــل أتـــى وبـــســـورة الأنـــفال

[نقلا عن كتاب"إغاثة اللهفان" لابن القيم].

*وقال الربُّ تعالى واصفا أولياءه الصادقين: {كانوا قليلا من الليل مـــا يـــهجعون ❋ وبالأسحار هم يستغفرون}[سورة الذاريات الآيتان(١٧،١٨)].

* يقول"سيد قطب" تعقيبا على الآية:"على هذه الصفة يرتسم مشهد لفريقٍ مســـتيقن لا يخرص، تقي لا يتبجح،مستيقظ يعبد ويستغفر ولا يقضي العمر في غمرة وذهول،هــــذا الفريق فريق المتقين الأيقاظ،....،الشديدي الحساسية برقابـــة الله لهـــم.... ورقابتـــهم لأنفسهم،{كانوا قليلا من الليل ما يهجعون} فهم الأيقاظ في جنـــح الليـــل والنـــاس نيام،....،المتوجهون إلى ربهم بالاستغفار والاسترحام، لايطعمون الكـــرى (أي النـــوم) إلا قليلا، ولا يهجعون في ليلهم إلا يسيرا، يأنسون بربهم في جوف الليل فتتجافي جنوبهـــم

عن المضاجع، ويخف بهم التطلع فلا يثقلهم المنام"[نقلا عن كتاب"في ظلال القـــرآن"لسـيد قطـب (١١/٦)] .

* قال"علي بن أبي طالب" رضي الله يصف أهل قيام الليل:"ألا إن لله عبادا كمـــن رأى أهل الجنة في الجنة مخلدين، وأهل النار في النار معذبين، شرورهم مأمونـــة، وقلوبهـــم محزونة، وأنفسهم عفيفة، وحوائجهم خفيفة، صبروا أياما قليلة، لعقبى راحة طويلة،أمـــا الليل فصافون أقدامهم تجري دموعهم على خدودهم، يجأرون إلى الله في فكاك رقـــابهم، وأما النهار فعلماء حلماء، بررة أتقياء،كأهم القداح،ينظر إليهم الناظر ويقول:مرضـــى! وما بالقوم من مرض، أو خولطوا ولقد خالط القوم من ذكر الآخرة أمر عظيم"[نقلا عـــن كتاب"البداية النهاية"لابن كثير (٧/٨)] .

* وصلى"علي بن أبي طالب" رضي الله عنه صلاة الفجر في آخر حياته،فلما سلم انفتـــل عن يمينه (أي نصرف) ثم مكث(أي في مصلاه يذكر الله) كأن عليه كآبة حتى إذا كانت الشـــمس على حائط المسجد قيد رمح،قلب يده وقال:لقد رأيت أثرا من أصحاب محمـــد عليـــه الصلاة والسلام ، فما أرى أحدا يشبههم!! والله إن كانوا ليصبحون شعثا غبرا صفـــوا، بين أعينهم أمثال ركب المعزى(أي من كثرة البكاء من خشية الله)، قد باتوا يتلـــون كتـــاب الله يراوحون بين أقدامهم وجباههم، فإذا ذكروا الله مادوا كما تميد الشجر في يوم الريـــح، فانهملت أعينهم (أي بالدموع) حتى تبل والله ثيابهم، والله لكأن القوم باتوا غافلين"[نقلا عـــن كتاب"حلية الأولياء" لأبي نعيم جـــ ١]. .

* قال الشاعر واصفا من قام الليل لمناجاة ربه ومولاه:

باشر المـــحراب يـــشكـــو بـــثـــه ... وأمـــام الله مـــولاه وقـــــــف
قـــائـــم قـــدامـــه مـــنـــتـــصـــبا ... لهـــجا يـــتلو بآيـــات الصحف
راكـــعـــا طـــورا وطـــورا ساجدا ... باكـــيا والدمـــع في الأرض يكف
أورد الـــقـــلب عـــلى حب الذي ... فيـــه حب الله حـــقـــا فـــعـــرف

[نقلا عن كتاب" استنشاق نسيم الأنس" لابن رجب الحنبلي].

*قال"ذو النون المصري"رحمه الله يصف أهل الليل : "فيا حسنهم والليل قد أقبل بحنادس

ظلمته، وهدأت عنهم أصوات خليقته، وقاموا إلى سيدهم الذي له يأملون،فلو رأيت أيها البطال أحدهم وقد قام إلى صلاته وقراءته، فلما وقف في محرابه واستفتح كلام سيده، خطر على قلبه أن ذلك المقام هو المقام الذي يقوم فيه الناس لرب العالمين، فانخلع قلبه وذهل عقله !! فقلوبهم في ملكوت السموات معلقة،....، فما ظنك بقوم خيار أبرار وقد خرجوا من رق الغفلة ، واستراحوا من وثائق الفترة ، وأنسوا بيقين المعرفة، وسكنوا إلى روح الجهاد والمراقبة، بلغنا الله وإياكم هذه الدرجة"[نقلا عن كتاب"حلية الأولياء"لأبي نعيم (٩/٣٣٩)] .

* قال"شميط بن عجلان"رحمه الله يصف أهل الليل:"أتاهم من الله أمر وقذهم (أي منعهم وصرفهم) عن الباطل ، فأسهروا العيون (أي بالقيام والمناجاة الله في ظلام الليل) وأجاعوا البطون وأظمأوا الأكباد (أي بالصيام لربهم في ظمأ الهواجر) ، وأنصبوا البدان، واهتضموا الطارف(أي المال الذي كسبه المرء بكده وتعبه) والتالد(أي المال الذي ورثه المرء عن غيره) ، باتوا على تصون، أتاهم وعيد من الله فناموا على خوف" [نقلا عن كتاب"حلية الأولياء" لأبي نعيم (٣/١٢٦)].

* قال"الحسن البصري" رحمه الله واصفا المتهجدين بالليل:"والله لقد أدركت أقواما (يعني بهم الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم) وصحبت طوائف منهم، ما كانوا يفرحون بشيء من الدنيا أقبل ، ولا يتأسفون على شيء منها أدبر ، ولهي كانت في أعينهم أهون من هذا التراب،كان أحدهم يعيش خمسين سنة لم يطو له ثوب قط،ولا نصب له قدر،....، فإذا كان الليل فقيام على أطرافهم يفترشون وجوههم ، تجري دموعهم على خدودهم ، يناجون ربهم في فكاك رقابهم ،كانوا إذا عملوا الحسنة دأبو ا في شكرها، وسألوا الله أن يقبلها ، وإذا عملوا السيئة أحزنتهم وسألوا الله أن يغفرها ، فما زالوا كذلك على ذلك ،......، وإنكم أصبحتم في أجل منقوص، والعمل محفوظ، والموت والله في رقابكم ، والنار بين أيديكم ، فتوقعوا قضاء الله عز وجل في كل ليلة " [نقلا عن كتاب"الزهد" للإمام "أحمد"] .

*وقال"ذو النون" يصف أهل الليل:"إن لله عبادا أسكنهم دار السلام ، فأخمصوا البطون عن مطاعم الحرام، وأغمضوا الجفون عن مناظر الآثام ، وقيدوا الجوارح عن فضول

الكلام ، وطووا الفرش وقاموا في جوف الظلام ، وطلبوا الحور الحسان من الحي الـذي لا ينام ، فلم يزالوا في نهارهم صياما، وفي ليلهم قياما، حتى أتاهم ملك المـوت عليـه السلام ، قد هد أجسامهم الوعيد، وغير ألوانهم السهر الشـديد، يتلـذذون بكـلام الرحمن، ينـوحون به على أنفسهم نوح الحمام ، فرحين في خلواتهم ،...." [نقـلا عـن كتاب"حلية لأولياء"لأبي نعيم (٩/٣٦٠)].

* قال" أحد الصالحين"مخاطبا أهل التهجد بالأسحار:"بأبي وأمي قوم يراعون الظـلام بالنهار، كما يراعي الراعي الشفيق غنمه ، ويحنـون(أي يشتاقون) إلى غروب الشمس كما تحن الطير إلى أوكارها بعد الغروب ، فإذا جنهم الليل(أي أقبل عليهم) واختلط الظـلام ، وفرشت الفرش ، ونصبت الأسرة، وخلا كل حبيب بحبيبـه، نصبـوا لله أقدامـهم ، وافترشوا له وجوههم ، وناجوه بكلامه ، وتملقوا له بإنعامه ، فبين صارخ وباك، ومتأوه وشاك، وبين قائم وقاعد ، وبين راكع وساجد ، بعيني مولاهم ما يتحملـون لأجلـه ، وبسمعه ما يشتكون من حبه "[نقلا عن كتاب"رهبان الليل" للعفاني (٥٢٨/١)].

* قال"الحسن البصري" يصف أهل القيام والتهجد والتعبد:"لقد صحبت أقواما (أي مـن الصحابة وأكابر التابعين) يبيتون لربهم في سواد هذا الليل سجدا وقياما ، يقومون هذا الليـل على أطرافهم ، تسيل دموعهم على خدودهم ، فمرة ركعا، ومرة سجدا، يناجون ربهم في فكاك رقابهم ، لـم يـملوا طول السهر لما خالط قلوبهم من حسن الرجاء في يـوم المرجع ، فأصبح القوم لما أصابو ا من النصب لله في أبدانهم فرحين ، وبما يـأملون مـن حسن ثوابه مستبشرين ، فرحم الله امرءا نافسهم في مثل هذه الأعمـال ، ولم يـرض لنفسه من نفسه بالتقصير في أمره ، واليسير من فعله ، فإن الدنيا عن أهلها منقطعـة ، والأعمال على أهلها مردودة ، ثم بكى رحمه الله حتى بلت دموعه لحيتـه " [نقـلا عـن كتاب"مختصر قيام الليل" للمقريزي] .

* وما أجمل ما قاله العبد الصالح "الربيع بن عبد الرحمن"رحمه الله وهو يصف أهل الصيام والقيام ومناجاة الملك العلام : "إن لله عبادا أخمصوا البطون(أي صانوها ومنعوها) عن مطـعم الحرام ، وغضوا له الجفون عن مناظر الآثام ، وأهملوا له العيون (أي سكبوا الدموع) لـما

اختلط عليهم الظلام ، رجاء أن ينير لهم ذلك ظلمة قبورهم ، إذا تضمنتهم الأرض بين أطباقها، فهم في الدنيا مكتتبون (أي معددون من الأحياء) ، وإلى الآخرة متطلعون ،.... ، فهم الذين لا راحة لهم في الدنيا ، وهم الذين تقر أعينهم غدا بطلعة ملك الموت عليهم !! ثم بكى حتى بل لحيته بالدموع "[نقلا عن كتاب"مختصر قيام الليل"للمقريزي] .

*واسمع إلى"ابن الجوزي" رحمه الله ، وهو يرسم لنا صورة مشرقة عن أهل التهجد والقيام فيقول: :"مالت بالقوم ريح السحر ميل الشجرة بالأغصان ، فهز منهم الخوف أفنان القلوب ، فانتثرت الأفنان ، فاللسان يتضرع والعين تدمع والوقت بستان، خلوتهم بالحبيب (أي الرب تعالى) تشغلهم عن نعم ونعمان، سورهم (أي سور القرآن التي يتلونها في صلاتهم) أساورهم والخشوع تيجان ، خضوعهم حلاهم فما در ولا مرجان ،أين أنت منهم ؟! كم بينك وبينهم ؟!!" [نقلا عن كتاب"التبصرة"لابن الجوزي (٢/٣٢٥)] .

* وخذها كلمات بديعة ومحكمة على لسان العبد الصالح"عمر بن ذر" رحمه الله، حيث يصف أهل الليل بقوله :" لما رأى العابدون الليل قد هجم عليهم ، ونظروا إلى أهل الغفلة قد سكنوا إلى فرشهم ، ورجعوا إلى ملاذهم من النوم ، قاموا إلى الله فرحين مستبشرين بما قد وهب لهم من حسن عادة السهر وطول التهجد ، فاستقبلوا الليل بأبدانهم وباشروا الأرض بصفاح وجوههم ، فانقضى عنهم الليل وما انقضت عنهم لذتهم من التلاوة، ولا ملت أبدانهم من طول العبادة ، فأصبح الفريقان وقد ولى عنهم الليل بربح وغبن (أي خسارة) ، أصبح هؤلاء(أي أهل النوم والكسل والبطالة) قد ملوا النوم والراحة ، وأصبح هؤلاء متطلعين إلى مجيء الليل للعادة (أي لقيام الليل الذي تعودوه) ، شتان ما بين الفريقين " [نقلا عن كتاب"مختصر قيام الليل"للمقريزي] .

* وهذا "الحسن البصري" يقول واصفا أهل قيام الليل:" قال تعالى{وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما*والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما}[سورة الفرقان الآيتان(٦٣ ــ ٦٤)]، الذين يمشون على الأرض يالوقار والسكينة ، حلماء لا يجهلون ،.... ، ذلت والله الأبدان والأبصار حتى حسبهم الجاهل مرضى ،

والله ما بالقوم من مرض وإنهم لأصحاء القلوب، ولكن دخلهم من الخوف ما لم يدخل غيرهم ، ومنع منهم الدنيا علمهم بالآخرة ، هذه أخلاقهم التي انتشروا بها في الناس ، وهم الذين يبيتون لربهم سجدا وقياما ، أسهروا والله الأعين، وهضموا في الآخرة كل شيء، والله لقد كابدوا في الدنيا أحزانا شديدة وخوفا شديدا، والله ما أحزنهم من أحزان الناس شيء، أبكاهم الخوف من النار، وإن الله لن يجمع على المؤمن خوف الدنيا وخوف الآخرة ، فعجلوا الخوف حتى تلقوا ربكم !! ثم قال:"ذكر ليلهم خير ليل،....، ينتصبون لله على أقدامهم ، ويفترشون وجوههم سجدا لربهم ، تجري دموعهم على خدودهم فرقا من ربهم (أي خوفا من عذابه) ، لأمر ما سهروا ليلهم ، ولأمر ما خشعوا نهارهم ، صدق القوم والله الذي لا إله إلا هو فعملوا ، وأنتم تتمنون !! فإياكم وهذه الأماني رحمكم الله،.... " [نقلا عن كتاب"مختصر قيام الليل"للمقريزي] .

* وما أجمل ما قاله"القشيري" في تصنيف أهل قيام الليل، حيث يقول:"الليل (أي قيام الليل) لأحد أقوام:لطالبي النجاة وهم العاصون من جنح منهم إلى التوبة ، أو لأصحاب الدرجات وهم الذين يجدون في الطاعات ويسارعون في الخيرات، أو لأصحاب المناجلة مع المحبوب عندما يكون الناس فيما هم فيه من الغفلة،....، ويقال: الليل لأحد رجلين، للمطيع والعاصي : هذا في احتيال أعماله ، وهذا في اعتذاره عن قبيح أفعاله " [نقلا عن كتاب"لطائف الإشارات" للقشيري (٤/٣٦)].

١٠ دعاء الله أن ييسر لك القيام

التوفيق لقيام الليل ، هبة ربانية ، وعطية رحمانية ،يمن الله بها على من كان مستحقا لها من عباده ، ومؤهلا للخلوة به سبحانه ومناجاته ، فالجأ إلى ربك ومولاك ، وانطرح بين يديه ، وتوجه بقلبك وقالبك إليه ، واعتمد وتوكل عليه ، واسأله وهو العزيز القهار المهيمن الجبار ، بلسان الذل والافتقار ، أن يوفقك لقيام الأسحار، وأن يمن عليك فيها بالدموع والخشوع والانكسار ، وأن يحشرك مع الأبرار.

- وقد أمرنا الرب تعالى بدعائه واللجوء إليه في كل وقت وحين:

* قال الله تعالى:{وقال ربكم ادعوني استجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين} [سورة غافر الآية (٦٠)].

* وقد وعدنا المولى جل في علاه أن يستجيب دعاءنا وسؤالنا وتضرعنا وتملقنا له:

* قال الله تعالى:{ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان} [سورة البقرة الآية(١٨٦)].

- وقد أرشدنا الرسول عليه الصلاة والسلام إلى الاكثار من دعاء الله والتضرع إليه:

* عن"ابن عمر" رضي الله عنهما أن النبيﷺ قال:"الدعاء ينفع مما نزل ومما لم يترل ، فعليكم عباد الله بالدعاء " [رواه الحاكم في"المستدرك" وحسنه "الألباني" في"صحيح الجامع" برقم (٣٤٠٩)].

- وقد بشرنا الرسولﷺ بأن الله تعالى يستحي أن يرد الداعي صفر اليدين خائبا:

* "عن"سلمان الفارسي" رضي الله عنه أن النبيﷺ قال:"إن الله تعالى حيي كريم ، يستحي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفرا خائبتين " [رواه أحمد وابن حبان وصححه ، والحاكم وصححه ، والترمذي وحسنه].

- وقد بين لنا سلفنا الكرام أهمية الدعاء ومترلته وفضله ، وقد كانوا ـ رحمهم الله ـ يفزعون إليه عند اشتداد الكربات ، أو تعسر الحاجات :

* قال"ابن القيم"رحمه الله :"لما رأى المتيقظون سطوة الدنيا بأهلها ، وخداع الأمل لأربابه، وتملك الشيطان لقياد النفوس، ورأوا الدولة(أي الغلبة والنصر) للنفس الأمارة، لجأوا إلى حصن التضرع والالتجاء" [نقلا عن كتاب"الفوائد" لابن القيم].

*قال"قتادة بن دعامة السدوسي" رحمه الله:"يا ابن آدم: إن كنت لا تريد أن تأتي الخير إلا بنشاط، فإن نفسك إلى السآمة وإلى الفترة وإلى الملل أميل، ولكن المؤمن هو المتحامل (أي الذي يحمل على نفسه ويكرهها على الطاعة ولو نفرت منها)، والمؤمن المتقوي ، وإن

المؤمنين هم العجاجون إلى الله بالليل والنهار (أي الذين يدعونه في كل وقت) ، **وما زال المؤمنون يقولون:ربنا ربنا !! في السر والعلانية حتى استجاب** " [نقلا عن كتاب" حلية الأولياء" لأبي نعيم (٣٣٦/٢)].

* **قال"ابن القيم":" أساس كل خير أن تعلم أن ما شاء الله كان وما لم يشاء لم يكن، فتتيقن حينئذ أن الحسنات من نعمه فتشكره عليها ، وتتضرع إليه ألا يقطعها عنك ، وأن السيئات من خذلانه وعقوبته ، فتبتهل إليه أن يحول بينك وبينها، ولا يكلك في فعل الحسنات وترك السيئات إلى نفسك،...، فإذا كان كل خير فأصله التوفيق وهو بيد الله ، لا بيد العبد، فمفتاحه الدعاء والافتقار وصدق اللجأ والرغبة والرهبة إليه ، فمتى أعطى** (أي الله) **العبد هذا المفتاح فقد أراد أن يفتح له ، ومتى أضله عن المفتاح بقى باب الخير مرتجا دونه** (أي مغلقا أمامه) .

* **قال" عمر بن الخطاب"رضي الله عنه:" إني لا أحمل هم الإجابة !! ولكن هم الدعاء!! فإذا ألهمت الدعاء فإن الإجابة معه** " [نقلا عن كتاب"الفوائد" لابن القيم].

* **كان العبد الصالح" همام بن الحارث النخعي"رحمه الله يدعو فيقول:" اللهم اشفني من النوم باليسير!! وارزقني سهرا في طاعتك !!" فكان لا ينام إلا هنيهة وهو قاعد!!** " [نقلا عن كتاب"حلية الأولياء" لأبي نعيم (١٧٨/٤)].

* **وهذا الإمام " ابن القيم" يقول:"وما أتي من أتي** (أي هلك من هلك) **إلا من قبل إضاعة الشكر وإهمال الافتقار والدعاء ، ولا ظفر من ظفر بمشيئة الله وعونه إلا بقيامه بالشكر وصدق الافتقار والدعاء** " [نقلا عن" الفوائد" لابن القيم].

* **كان"معضد العجلي"رحمه الله يقول في سجوده:"اللهم اشفني من النوم باليسير!! "** [نقلا عن كتاب"حلية الأولياء" لأبي نعيم (١٥٩/٤)].

* **وخذها بديعة من الإمام"ابن القيم" حين يقول :" العجب ممن تعرض له حاجة** (أي من حاجات الدنيا ومتاعها) **فيصرف رغبته وهمته فيها إلى الله ليقضيها له ، ولا يتصدى للسؤال** (أي للدعاء) **لحياة قلبه من موت الجهل والإعراض وشفائه من الشهوات والشبهات ، ولكن إذا مات القلب لم يشعر بمعصيته** " [نقلا عن" الفوائد" لابن القيم].

* ولله در الشاعر حين قال:

إذا كثرت منك الذنوب فداوها .... برفع يد في الليل والليل مظلم

ولا تقنطن من رحمة الله إنما ... قنوطك منها من خطاياك أعظم

فرحمته للمحسنين كرامة .... ورحمته للمسرفين تكرم

[نقلا عن كتاب"التبصرة" لابن الجوزي (١/١٩٧)].

١١ النوم على طهارة

وخصلة أخرى تزيدك تحمسا لقيام الليل وحرصا عليه ، ألا وهي أن تنام على طهارة قلبية وبدنية ، فأما القلبية فأن تطهر قلبك من الغل والحقد والغش للمسلمين ، وأما البدنية فأن تطهر جسدك بالوضوء.

* وقد حثنا الرسول ﷺ على النوم على طهارة وبين لنا الأجر العظيم ، والثواب الجزيل، المترتب على ذلك:

* عن" ابن عباس" رضي الله عنهما أن الرسول ﷺ قال:" **طهروا هذه الأجساد طهركم الله ، فإنه ليس عبد يبيت طاهرا إلا بات معه في شعاره** (والشعار هو الثوب الذي يلي البدن مباشرة) **ملك، لا يتقلب ساعة من الليل إلا قال** (أي الملك) **: اللهم اغفر لعبدك ، فإنه بات طاهرا"** [رواه الطبراني في" الأوسط" ورواه" أبو الشيخ" عن" ابن عمر" وقال الهيثمي:" أرجو أنه حسن الإسناد"، وقال المنذري: إسناده جيد، والحديث حسنه " الألباني" في" صحيح الجامع" برقم (٣٨٣١)].

* وعن"معاذ بن جبل"رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: " **ما من مسلم يبيت على ذكر طاهرا فيتعار من الليل** (أي يستيقظ من نومه ذاكرا لله) **، فيسأل الله خيرا من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه** " [رواه " أبو داود" والنسائي في" عمل اليوم والليلة" وأحمد في المسند، والحديث" صححه" الألباني في" صحيح الجامع" برقم (٥٧٥٤)].

* قال "المناوي"رحمه الله تعقيبا على هذا الحديث" : " والطهارة عند النوم قسمان: طهارة الظاهر وهي المعروفة (أي الوضوء)، وطهارة الباطن وهي بالتوبة ، وهي آكد من الظاهرة فربما مات في نومه وهو متلوث بأوساخ الذنوب، فيتعين عليه التوبة وأن يزيل من قلبه كل غش وحقد ومكروه لكل مسلم" [نقلا عن كتاب" فيض القدير" للمناوي (٤/٢٧١)].

* وعن " البراء بن عازب"رضي الله عنه في حديثه المشهور أن النبي عليه الصلاة والسلام قال له:" إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة...." [متفق عليه].

* أخي: إبك في ظلام الليل على ظلام قلبك يضيء.

*أخي: أما لك همة كهمم أهل الليل: قاموا جميع الدجى على قدم الاعتذار، ثم تساندوا إلى رواحل البكاء والاستغفار ، رفعوا رسائل الجوى والانكسار ، فعاد جواب الأبرار ، من اللطيف القهار ،{وإني لغفار} .

١٢ معرفة أن الله تعالى يضحك لمن يقوم الليل

ومنقبة عظيمة ، ومزية كريمة ، يحصلها قائم الليل ، تجعل المرء لا يفرط في القيام ، ألا وهي أن الرب تبارك وتعالى يضحك إليه ويستبشر به ، ومن ضحك الله إليه فلا عذاب عليه ، فطوبى لك يا قائم الليل بهذا الثواب العظيم ، وهذا الأجر الجزيل الكريم .

- وقد أخبرنا الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ، أن المولى تعالى يضحك لقائم الليل ، ويستبشر به رضا وفرحا بقيامه له في الظلام ، والناس نيام:

* عن"أبي الدرداء" رضي الله عنه قال:قال الرسولﷺ:" ثلاثة يحبهم الله ويضحك إليهم ويستبشر بهم: الذي إذا انكشفت فئة قاتل وراءها بنفسه لله عز وجل ، فإما أن يقتل وأما أن ينصره الله ويكفيه ، فيقول (أي الله تعالى) :انظروا إلى عبدي هذا كيف صبر لي بنفسه ؟!! والذي له امرأة حسنة وفراش لين حسن ، فيقوم من الليل (أي يصلي) ،

فيقول (أي الرب تعالى): **يذر** (أي يترك) **شهوته ويذكرني !! ولو شاء رقد !! والذي إذا كان في سفر، وكان معه ركب ، فسهروا ثم هجعوا فقام من السحر في ضراء وسواء "** [رواه الطبراني في"المعجم الكبير" وقال:اسناده حسن، وقال "الهيثمي":رجاله ثقات، والحديث حسنه"الألباني" في" صحيح الترغيب والترهيب" الحديث رقم (٦٢٥)].

*** وعن"عبد الله بن مسعود" رضي الله عنه قال:" ألا إن الله يضحك إلى رجلين: رجل قام في ليلة باردة من فراشه ولحافه ودثاره ، فتوضأ ثم قام إلى الصلاة** (أي قيام الليل) **، فيقول الله عز وجل لملائكته: ما حمل عبدي هذا على ما صنع؟!! فيقولون:ربنا رجاء ما عندك** (أي من الثواب)**، وشفقة مما عندك** (أي من العذاب) **، فيقول :فإني قد أعطيته ما رجا، وأمنته مما يخاف "** [رواه الطبراني"في"المعجم الكبير" وقال"الهيثمي" في"مجمع الزوائد(٢/٢٥٧):إسناده حسن] .

*** وعن النبيﷺ قال:"إذا ضحك الله من العبد فلا حساب عليه"** [رواه أحمد وأبو يعلى في "مسنده" بسند رجاله ثقات].

*** أخي: عسى الله أن يجعلنا وإياك من قوم قال عنهم الشاعر:**

لله قوم شروا لله أنفسهم ..... فأتعبوها بزجر الله أزمانا

أما النهار فقد وافوا صيامهم .... وفي الظلام تراهم فيه رهبانا

ابدانهم أتعبت في الله أنفسهم .... وأنفس أتعبت في الله أبدانا

ذابت لحومهم خوف الحساب غدا .... وقطعوا الليل تسبيحا وقرآنا .

*** قال"داود بن رشيد" رحمه الله:" قمت ذات ليلة أصلي، فأخذني البرد فرجعت فنمت، فرأيت في المنام كأن قائلا يقول:ياداود أنمناهم واقمناك!!**(يعني فكيف تؤثر النوم على القيام) **قال الراوي: فأظن داود ما نام بعدها !! ــ يعني ما ترك التهجد بالليل ــ "** [نقلا عن كتاب" سير أعلام النبلاء" للذهبي (١٣/١٣٣)].

١٣ معرفة أن النبي ﷺ كان لا يترك القيام حتى وهو مريض

ومـــما يزيدك حرصا على قيام الليل، أن تعلم أن الحبيــــب عليــه الصلاة والسلام كان يواظب على قيام الليل حتى وهو مريض !! وقد غفر الله له مـــا تقدم من ذنبه وما تأخر ، وما ذلك إلا لأهمية القيام ولثوابه العظيم عند اللطيف الرحيم ، فما بالنا ونحن أصحاء أقوياء نفرط في القيام ونتكاسل عنه ، مع أن عندنا أمثال الجبال من الآثام ؟!!.

* عن" عبد الله بن أبي قيس" قال: قالت لي" عائشة "رضي الله عنـــها:"لا تـــدع قيـــام الليل!! فإن رسول الله ﷺ كان لا يدعه (أي لا يتركه)، وكان إذا مرض أو كسل صلـى قاعدا " [رواه "أبو داود" وابن خزيمة وصححه، وقال" الألباني" في تعليقه على" صحيح ابن خزيمة":" إسناده صحيـح على شرط مسلم].

* وعن"أنس بن مالك" رضي الله عنه أن النبي ﷺ وجد ذات ليلة شيئا (أي احـــس بـأ لم ومرض)، فلما أصبح قيل: يا رسول الله إن اثر الوجع عليك لبين!! فقال ﷺ :" إني على ما ترون (أي رغم ما ترون بي من المرض والوجع) بحمد الله قد قرأت السبع الطوال!!(أي البارحـــة في قيامي لليل) " [رواه أبو يعلى والحاكم وصححه وقال:هو على شرط مسلم،وأقره على ذلك الذهبي].

*وعن"عائشة"رضي الله عنها قالت:"عليكم بقيام الليل، فإن رسول الله ﷺ كــــان لا يدعه ، فإن مرض قرأ وهو قاعد، وقد عرفت أن أحدكم يقول:بحسبي أن أقيم ما كتـب لي!! وأنى له ذلك" [رواه أحمد في المسند].

*قال الشيخ" الساعاتي" تعقيبا على كلام "عائشة"المتقدم:" فيه الحث على قيام الليـــــل والاهتمام به، والاقتداء برسول الله ﷺ فيه، حيث لم يتركه مطلقا، حـــتى إذا كـــان

مريضا أداه قاعدا !! فهذا رسول الله عليه الصلاة والسلام وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر لم يترك قيام الليل !! ونحن مع ارتكابنا للذنوب وتقصيرنا في الأعمال نتقاعد عن فعله (أي عن القيام)، مع أننا لو صمنا النهار وقمنا الليل جميعه لم نبلغ ما بلغه الرسول عليه الصلاة والسلام من الدرجة والفضل، وأنى لنا ذلك؟!! فيجدر بنا أن نسارع فنستبق إلى قيام الليل، لأننا أحوج إلى رحمة الله تعالى ومغفرته" [نقلا عن كتاب"الفتح الرباني في ترتيب مسند أحمد الشيباني" للساعاتي (٤/٢٣٧)].

*أخي: احضر نادي المتهجدين ونادهم: طوبى لكم !! وجدتم قلوبكم فارحموا من لا يجد !! طوبى لكم: قمتم ونمنا !! وفزتم وحرمنا !! .

*أخي: مجالس المتهجدين مآتم الأحزان ،...، هذا يبكي لذنوبه، وهذا يندب لعيوبه ، وهذا يتحسر على فوات مطلوبه .

١٤ معرفة مدى اجتهاد الصحابة في قيام الليل

لقد أدرك الصحابة الأبرار ،فضل القيام بالأسحار ، لمناجاة اللطيف القهار، والتذلل له والافتقار والانكسار ، وذرف الدموع وكثرة الاستغفار ، فكانوا يحرصون على القيام ويواظبون عليه باستمرار ، فاسمع شيئا من أخبارهم وأحوالهم يا كسلان!! عسى أن تتقيظ همتك للحاق بهم ومجاورتهم عند الرحيم الرحمن!! .

* عن"عمر بن الخطاب" رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يسمر عند "أبي بكر" رضي الله عنه في الأمر من أمور المسلمين، وإنه سمرعنده ذات ليلة وأنا معه، فخرج رسول الله ﷺ يمشي وخرجنا معه ، فإذا رجل قائم يصلي في المسجد، فقام رسول الله ﷺ يسمع قراءته، فلما كدنا أن نعرف الرجل ، قال عليه الصلاة والسلام:"من سره أن يقرأ القرآن رطبا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد (يعني عبدالله بن مسعود)،

قال: ثم جلس الرجل يدعو فجعل الرسولﷺ يقول:" سل تعط" مرتين!! فقال عمر: فقلت والله لأغدون إليه فلأبشرنه !! قال: فغدوت عليه لأبشره ، فوجدت أبا بكر قد سبقني إليه فبشره، ولا والله ما سابقته (أي أبا بكر) إلى خير قط إلا سبقني!!" [رواه أحمد في"المسند" وابن خزيمة وصححه].

* وعن"علقمة بن قيس" قال:بت ليلة مع"ابن مسعود"رضي الله عنه فنام أول الليل ثم قام يصلي، فكان يقرأ قراءة الإمام في مسجد حيه، يرتل ولا يرجع، يسمع من حولهٍ ولا يرجع صوته" [رواه "الطبراني" في"المعجم الكبير"].

* وكان"ابن مسعود" رضي الله عنه إذا هدأت العيون قام (أي يصلي من الليل) فيسمع له دوي كدوي النحل" [نقلا عن كتاب"الزهد" للإمام أحمد].

* عن"ثور بن يزيد" قال:"كان "معاذ بن جبل" رضي الله عنه إذا تهجد من الليل قال:" اللهم قد نامت العيون، وغارت النجوم ،وأنت حي قيوم، اللهم طلبي للجنة بطيء، وهربي من النار ضعيف، اللهم اجعل لي عندك هدى ترده إلي يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد" [نقلا عن"الحلية" لأبي نعيم (١/٢٣٣)].

* لما احتضر"معاذ بن جبل" رضي الله عنه قال:" أعوذ بالله من ليلة صباحها إلى النار، مرحبا بالموت!! مرحبا زائر مغيب وحبيب جاء على فاقة !! اللهم إني قد كنت أخافك وأنا اليوم أرجوك، اللهم إن كنت تعلم أني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لكري الأنهار، ولا لغرس الأشجار، ولكن لظمأ الهواجر(أي الصيام في الأيام الطويلة) ، ومكابدة الساعات (أي قيام ليالي الشتاء الطويلة الباردة) ومزاحمة العلماء بالركب في حلق الذكر" [نقلا عن كتاب"الزهد" للإمام أحمد].

* وأما الصحابي الجليل"عبد الله بن عمرو بن العاص" رضي الله عنهما فقد بلغ الغاية في علو الهمة في قيام الليل:

* عن"عبدالله بن عمرو" رضي الله عنهما قال:"أخبر رسول اللهﷺ أني قلت:"لأقومن الليل ولأصومن النهار ما عشت !!" فقال لي النبي عليه الصلاة والسلام:"أأنت الذي

تقول ذلك ؟!! فقلت: قد قلته يا رسول الله، فقال:فإنك لا تستطيع ذلك، فصم وأفطر، ونم وقم، وصم من الشهر ثلاثة أيام فإن الحسنة بعشر أمثالها وذلك مثل صيام الدهـــر " [رواه مسلم في صحيحه].

* وهذا الصحابي الجليل"أبو هريرة" رضي الله عنه، كان يقوم ثلث الليل، وتقوم امرأته ثلث الليل، ويقوم ابنه ثلث الليل، إذا نام هذا قام هذا !!"[نقلا عن كتاب"الزهد" للإمام أحمد].

*وأما الصحابي الجليل"عبد الله بن عمر" رضي الله عنهما فقد وعى وصية النـــــبيﷺ حين قال:" نعم الرجل عبدالله لو كان يصلي من الليل"، فكان حاله مع القيام عجيبا:

* كان"لابن عمر" رضي الله عنهما مهراش(وهو الإناء) فيه ماء، فكان يصلي من أول الليل ما قدر له، ثم يصير إلى الفراش فيغفي إغفاءة الطائر(أي نومة قصيرة خفيفة)، ثم يقوم فيتوضأ ثم يصلي فيرجع إلى فراشه فيغفي إغفاءة الطائر، ثم يثب فيتوضأ ثم يصلي!! يفعل ذلـــك في الليل أربع أو خمس مرات!! " [نقلا عن كتاب"الإصابة في تمييز الصحابة" لابن حجر (٣٤٨/٢)].

* عن"نافع":أن "ابن عمر" كان يحيي الليل صلاة ، ثم يقول: يا نافع أأسحرنا ؟!!(أي هل جاء وقت السحر وهو آخر الليل) ، فيقول: لا ، فيعاود الصلاة، فإذا قال: نـــعم ، قعد "ابــــن عمر" يستغفر الله حتى يصبح " [نقلا عن"الإصابة في تمييز الصحابة" لابن حجر (٣٤٩/٢)].

* مر الرسولﷺ ذات ليلة ومعه عائشة رضي الله عنها ببيت "أبي موسى الأشـــعري" رضي الله عنه ، وهو يقرأ القرآن ويصلي من الليل ، فقاما فاستمعا لقراءته ثم مضيـــــا، فلما كان الصباح لقي النبيﷺ"أبا موسى" فقال له: يا أبا موسى مررت بك البارحـــة ومعي عائشة، وأنت تقرأ في بيتك فقمنا فاستمعنا لقراءتك ، فقال"أبو موسى":يا نـــبي الله: أما إني لو علمت بمكانك لحـــبرت لك القرآن تحبيرا " [رواه البخاري ومسلم].

* عن"مسروق" قال:"كنا مع"أبي موسى الأشعري" رضي الله عنه في سفر، فآوانا الليـــل إلى بستان حرث فنزلنا فيه ، فقام"أبو موسى" يصلي من الليل،..." [نقلا عن كتاب"الحلية" لأبي نعيم (٢٥٩/١)].

• أما"عبدالله بن عباس" رضي الله عنهما ترجمان القرآن ، فقد بدأ قيام الليل وعمره عشر سنين ، وما زال محافظا عليه حتى لقي ربه تعالى ، فطوبى له بهذه الكرامة!! :

*عن"ابن عباس" رضي الله عنهما قال:" صليت مع النبيﷺ ذات ليلة ، فقمت إلى جنبه عن يساره ، فأخذني فأقامني عن يمينه ، قال"ابن عباس":وأنا يومئذ ابن عشر سنين !! " [رواه أحمد في"المسند" وصححه"أحمد شاكر" في"تعليقه على المسند" الحديث رقم (٣٤٣٧)].

*وفي رواية: قال"ابن عباس":"فجعلت إذا أغفيت يأخذ النبيﷺ بشحمة أذني اليمنى يفتلها " [رواه مسلم في صحيحه].

*وفي رواية: قال"ابن عباس":" فوضع النبيﷺ يده اليمنى على رأسي وأخذ بأذني اليمنى يفتلها!! فجعل يمسح بها أذني، فعرفت أنه إنما صنع ذلك ليؤنسني بيده في ظلمة البيت " [نقلا عن كتاب" مختصر قيام الليل" للمقريزي].

* قال"النووي" تعليقا على حديث"ابن عباس":"إنما فتلها الرسول عليه الصلاة والسلام تنبيها له من النعاس!! " [نقلا عن" شرح مسلم"للنووي (٢/٤١٦)].

*وعن"عبد الله بن أبي مليكة" قال:" صحبت "ابن عباس"رضي الله عنهما من مكة إلى المدينة، فكان إذا نزل(أي في مكان) قام شطر الليل(أي يصلي)، فسأله أيوب:كيف كانت قراءته؟ فقال: قرأ{ وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد} [سورة ق الآية (١٩)] ، فجعل يرتل ويكثر في ذلكم النشيج!!" [نقلا عن كتاب"الحلية" لأبي نعيم (١/٣٢٧)].

* وعن"طارق بن شهاب" قال:"أتيت "سلمان الفارسي" رضي الله عنه فقلت: لأنظرن كيف صلاته ؟!! فكان ينام من الليل ثلثه (أي ويصلي الثلثين الباقيين)" [نقلا عن كتاب"الحلية" لأبي نعيم (١/٢٠٤)].

* وقام الصحابي الجليل "تميم بن أوس الداري" رضي الله عنه ليلة ، بآية واحدة يرددها ويبكي حتى أصبح !! وهي قوله تعالى:{أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون } [سورة الجاثية الآية

(٢١)] " [نقلا عن كتاب"الإصابة في تمييز الصحابة " لابن حجر (١٨٤/١)].

* وعن"جعفر بن عمرو" قال:" كنا فئة من أبناء أصحاب الرسولﷺ ـــ عبد الله بـــن الزبير ومحمد بن أبي حذيفة ومحمد بن أبي بكر ومحمد بن طلحة ومحمد بن عبد الرحمــــن بن عبد يغوث ـــ فقلنا: إن آباءنا قد سبقونا بالهجرة وصحبة النـــــبي عليــه الصـــلاة والسلام، فهلموا نجتهد في العبادة لعلنا ندرك فضائلهم !! قال: فاجتـــهدنا في العبـــادة بالليل والنهار، وأدركنا "تميما الداري" رضي الله عنه شيخا (أي هرما كبير السن) فما قمنا له ولا قعدنا (أي ما استطعنا أن نجاريه) في طول الصلاة!! " [نقلا عن كتاب"الزهد" للإمام أحمد].

* عن"سالم بن عبدالله"قال:"كان"عبدالله بن الزبير" رضي الله عنه لا ينام الليل (أي يصلـــي بالليل) ، وكان يقرأ القرآن في ليلة!! " [نقلا عن كتاب"مختصر قيام الليل" للمقريزي].

* عن"عائشة" رضي الله عنها قالت:"تهجد رسول اللهﷺ في بيتي فسمع صوت "عبـــاد بن بشر"رضي الله عنه (أي وهو يصلي ويقرأ بالليل)، فقال: يا عائشة: صوت عباد بن بشر هـذا ؟!! فقلت: نعم ، فقال : اللهم اغفر له" وفي رواية أنه قال:"اللهم ارحم عبـــادا" [ذكـــره "ابن حجر" في كتابه "الإصابة في تمييز الصحابة" وحكم بصحته].

* وعن"عائشة"رضي الله عنها قالت:سمع رسول اللهﷺ رجلا يصلي ويقرأ في المســـجد بالليل، فقال: يرحمه الله لقد أذكرني آية كذا وكذا ، كنت أنسيتها من ســـــورة كـــذا وكـــذا !!" [رواه البخاري في صحيحه باب"نسيان القرآن" ج٩ ص٨٥، وفي روايـــة: أن هـــــــذا الرجــــــل هو"عبـــــاد بـــن بشر"رضي الله عنه].

*وقام"أبو الدرداء" رضي الله عنه ليلة يصلي، فجعل يبكي ويقول في دعائه:" اللـــــهم أحسنت خلقي فأحسن خلقي!! حتى أصبح، فقالت له "أم الدرداء"مستغربة:ما كـــــان دعاؤك منذ الليلة إلا في حسن الخلق ؟!! "[نقلا عن كتاب"الزهد" للإمام أحمد].

فرضي الله عن الصحابة أجمعين ، وجمعنا بهم مع نبينا الأمين في جنات الخلود والنعيم .

١٥ التبكير بالنوم بعد العشاء

١ النوم بعد العشاء مبكرا وصية ثابتة نبوية ، وخصلة حميدة سلفية ، وعادة طبية صحية ، ونشاط وقوة جسمانية، فلماذا أعرضتم عنها يا من يرغبون في الجنان العلية؟!! ولماذا تركتموها يا من يطمعون في مناجاة رب البرية ؟!! .

- لقد كان النبي عليه الصلاة والسلام يكره السمر بعد العشاء ، ويحذر الصحابة منه:

* عن"عبد الله بن مسعود"رضي الله عنه قال:" كان النبيﷺ يجدب لنا (أي يكره ويعيب) السمر بعد العشاء" [رواه أحمد في"المسند" و"ابن ماجة" في سننه، وحسن إسناد الحديث الشيخ"أحمد شاكر" في تعليقه على "المسند"(٣٧٨٧/٥)] .

* وعن"أبي برزة الأسلمي" رضي الله عنه أن النبيﷺ كان يستحب أن يؤخر العشاء، وكان يكره النوم قبلها والحديث بعدها " [رواه البخاري في صحيحه] .

* قال الحافظ"ابن حجر" تعقيبا على الحديث المتقدم:"قال عياض: ......، وكان يكره النوم قبلها(أي قبل العشاء) لأنه قد يؤدي إلى إخراجها عن وقتها مطلقا، أو عن الوقت المختار، والسمر بعدها قد يؤدي إلى النوم قبل الصبح، أو عن وقتها المختار، أو عن قيام الليل" [نقلا عن كتاب"فتح الباري" لابن حجر (٧٣/٢)] .

* وعن "عبد الله بن مسعود" رضي الله عنه أن النبيﷺ قال:"لا سمر (والسمر في اللغة هو الحديث بعد العشاء) إلا لمصل أو مسافر" [رواه أحمد في المسند والطيالسي و"ابن نصر المروزي" في "قيام الليل، وأبو نعيم في"الحلية" وأبو يعلى، وصححه "الألباني" في صحيح الجامع" برقم (٧٣٧٥)] .

- وقد كان السلف الأبرار يتواصون فيما بينهم بالنوم مبكرا ، وينكرون على من يسمر بعد العشاء أشد الإنكار:

* عن"خرشة بن الحر"رحمه الله قال: "رأيت "عمر بن الخطاب" رضي الله عنه

يضرب الناس (أي الذين يسمرون بعد العشاء) **بالدرة بعد صلاة العشاء !! ويقول:أسمـــــر أول الليل ونوم آخره ؟!!"** [نقلا عن كتاب"قيام الليل" للمروزي].

* **عن"ابن رافع"رحمه الله قال:"كان"عمر بن الخطاب" رضي الله عنه ينش الناس بدرتـــه** (أي يسوقهم سوقا خفيفا إلى بيوتهم) **بعد العتمة ويقول:قوموا** (أي من مجالس سمركم لتناموا مبكرين)، **لعـــل الله يرزقكم صلاة** (أي قياما بالليل) "[نقلا عن كتاب"مختصر قيام الليل"للمقريزي] .

* **جاء رجل إلى"حذيفة بن اليمان" رضي الله عنه فطرق بابه بعد العشاء ، فخرج إليـــه "حذيفة" وقال له: ما حاجتك؟ فقال:الحديث** (أي أريد أن أسمر معك!!) ، **فـــأغلق"حذيفـــة" الباب في وجهه وقال:جدب** (أي عاب وكره) **لنا عمر بن الخطاب الحديث بعد العشـــاء "** [نقلا عن نفس المصدر السابق].

* **قال"عروة بن الزبير" رحمه الله:"انصرفت بعد العشاء الآخرة ،فسَمعت كلامي عائشة رضي الله عنها ــ خالتي ونحن في حجرة ــ بيننا وبينها سقف، فقالت:يا عروة ما هـــذا السمر ؟!! إني ما رأيت رسول الله ﷺ نائما قبل هذه الصلاة** (أي كان لا ينام قبل العشـــاء) ، **ولا متحدثا بعدها** (أي كان لا يسهر بعد العشاء) ، **إما نائما فيسلم** (أي إنه بعد العشاء إما أن ينام مباشـــرة فيسلم من الوقوع في معصية أو لغو) ، **أو مصليا فيغنم"** [نقلا عن كتاب"مختصر قيام الليل " للمقريزي] .

* **وعن"عمرة" رحمها الله:أن"عائشة" رضي الله عنها كانت إذا سمعت أحدا من أهلـــها يتحدث بعد العشاء ، قالت :اريحوا كتابكم!!** (أي ناموا وأمسكوا عن الكلام لترتاح الملائكة الكتبـــة)، **وكانت تقول:لا سمر إلا لثلاثة: مسافر أو متهجد أو عرس** (أي ملاعبة الرجل زوجته وملاطفتها)" [نقلا عن نفس المصدر السابق].

* **كان ناس من قريش يسمرون بعد العشاء ،فكانت"عائشة"رضي الله عنـــها ترســـل إليهم: أن ارجعوا إلى بيوتكم ، ليكن لأهليكم فيكم نصيب!! "** [نقلا عن نفس المصدر السابق].

* **قال"سعيد بن المسيب" رحمه الله:"لأن أنام قبل العشاء أحب إلي من أن ألغو بعدهـــا"** [نقلا عن نفس المصدر السابق].

***عن"معاوية بن قرة": "أن أباه رحمه الله كان يقول لبنيه إذا صـــلوا العشاء :يا بني ناموا**

لعل الله يرزقكم من الليل خيرا" [نقلا عن كتاب"مختصر قيام الليل" للمقريزي] .

إذن فالسنة المتأكدة هي المبادرة والتبكير بالنوم بعد صلاة العشاء مباشرة، ويستثنى من ذلك الأحوال التالية:

١ ـ السمر بعد العشاء مع ضيف نزل بك، مع مراعاة ألا يطول ذلك السمر بحيث يفوت على المرء قيام الليل أو صلاة الفجر، بل ينبغي أن يكون بمقدار معتدل.

٢ـ السمر بعد العشاء لمذاكرة العلم وحفظه، بشرط ألا يؤدي ذلك السهر إلى تفويت صلاة الفجر، وإلا كان السهر حينئذ محرما ولو كان سهرا على طلب العلم أو قراءة القرآن .

٣ـ السمر بعد العشاء في الحديث مع الزوجة ، أو مداعبتها وملاطفتها، بشرط ألا يطول ذلك بحيث يؤدي إلى تفويت القيام للصلاة .

٤ـ السمر بعد العشاء في مصلحة من مصالح المسلمين العامة، كتدبير شئون الأمة وتصريف شئون الرعية.

١٦ إدراك أن القيام سبب للفوز بالحور الحسان

إن المتهجد بالليل يترك زوجته الجميلة الحسناء ، وفراشه الوثير الناعم ، ويقوم ليناجي ربه ومولاه، ولما كان الجزاء من جنس العمل ، عوض الله قائم الليل عن تركه لمضاجعة زوجته والتلذذ بها ، بكثرة الأزواج في الجنة من الحور العين:

د ع المصوغات من ماء وطين .... واشغل هواك بحور عين.

فتأمل وتدبر يا رعاك الله وصف هؤلاء الحسان ، وتدبر معي نعت عرائس الجنان:

* قال الرسولﷺ واصفا حور الجنان:"ولو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت إلى الأرض لأضاءت ما بينهما، ولملأت ما بينهما ريحا، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها!! " [متفق عليه]، فهذا هوحال خمارها !! فما حال ربة الخمار ؟!! .

*عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال الرسولﷺ:"إن الرجـل في الجنـة لتأتيه امرأة تضرب على منكبه فينظر وجهه في خدها أصفى مـن المـرآة !! وإن أدق لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب!! فتسلم عليه فيرد عليها السلام ، ويسألها: من أنت ؟!! فتقول : أنا المزيد، وإنه ليكون عليها سبعون ثوبا أدناها مثـل النعمـان فينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك!! وإن عليهم التيجان وإن أدنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب " [رواه أحمد في"المسند" و"الطبري" في" تفسيره" و"ابـن حبـان" وصححه،وقال"الهيثمي" في" مجمع الزوائد" (١٠/٤١٩):"رواه أحمد وأبو يعلى وإسنادهما حسن"].

* وعن"أبي هريرة" رضي الله عنه قال:"إن في الجنة حوراء يُقال لها"العيناء" ، إذا مشـت مشى حولها سبعون ألف وصيف عن يمينها وعن يسارها كذلك ، وهي تقـول: أيـن الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر" .

*واسمع إلى الإمام"ابن القيم" وهو يأسر القلوب حين يصف الحور الحسان ،وعرائـس الجنان بقوله :" وإنْ سألتَ عن عرائسهم وأزواجهم(أي في الجنة) فهنَّ الكواعب الأتـراب اللاتي جرى في أعضائهن ماء الشباب ، فللورد والتفاح ما لبسته الخدود !! وللرمان ما تضمنته النهود !! وللؤلؤ المنظوم ما حوته الثغور (أي الأفواه)!! وللرقّة واللطافة مـا دارت عليه الخصور !! تجري الشمس من محاسن وجهها(أي وجه الحورية) إذا برزت !! ويُضـيء البرق من بين ثناياها(أي أسنانها) إذا ابتسمت !! إذا قابلت حِبَّها(اي زوجها وحبيبها) فقل مـا تشاء في تقابل النيـّرين (هما الشمس والقمر) ، وإذا حادثته فما ظنُّك بمحادثـة الحبيبـين!! وإنْ ضمَّها إليه فما ظنُّك بتعانق الغصنين !! يرى وجههُ في صحن خدِّها كما يـراه في المرآة التي جلاَّها صيقلُها (الصيقل: هو شحاذ السيوف وجلاؤها)، ويرى مخَّ سـاقها مـن وراء اللحم !! ولا يستره جلدها ولا عظمها ولا حللها!! لو اطَّلعت على الدنيا لملأت ما بين الأرض والسماء ريحا !! ولاستنطقت أفواه الخلائـق تهليـلا وتكبـيرا وتسـبيحا !! ولتزخرف لها ما بين الخافقين(أي ما بين المشرق والمغرب) ، ولأُغمِضَتْ عن غيرها(أي عمـن عـدا الحورية) كل عين ، ولطمست ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم ، ولآمـن

مَنْ على ظهرها بالله الحي القيوم !! ونصيفها(أي خمارها) على رأسها خير من الدنيا وما فيها !! ووصالها أشهى إليه(أي إلى زوجها) من جميع أمانيها ، لا تزداد على طول الأحقاب(أي الأزمان) إلا حُسنا وجمالا !! ولا يزداد لها طول المدى إلا محبة ووصالا !! مُبرَّأَةٌ من الحبَلِ والولادة والحيض والنفاس !! مُطهَّرة من المخاط والبصاق والبول والغائط وسائر الأدناس !! لا يفنى شبابها، ولا تبلى ثيابها، ولا يخلق ثوب جمالها، ولا يُملُّ طيب وصالها، قد قصرت طرفها على زوجها فلا تطمح لأحد سواه ، وقصر طرفه عليها فهي غاية أمنيته وهواه !! إنْ نظر إليها سرته ، وإن أمرها بطاعته أطاعته، وإن غاب عنها حفظته فهو معها في غاية الأماني والأمان ، هذا ولم يطمثها قبله إنس ولا جان ، كلما نظر إليها ملأت قلبه سرورا !! وكلما حذثته ملأت أذنه لؤلؤا منظوما ومنثورا !! وإذا برزت ملأت القصر والغرفة نورا !!

وإنْ سألتَ عن السنَّ(أي سنُّ الحوريات) فأتراب في أعدل سنِّ الشباب .

وإنْ سألتَ عن الحُسن فهل رأيت الشمس والقمر؟!! .

وإنْ سألت عن الحِدَق (أي العيون) فأحسن سواد في أصفى بياض في أحسن حور.

وإن سألتَ عن القدود فهل رأيت أحسن الأغصان ؟!! .

وإنْ سألتَ عن النهود فهن الكواعب ،ونهودهن كألطف الرمان .

وإنْ سألت عن اللون فكانه الياقوت والمرجان!!.

فما ظنُّك بامرأة إذا ضحكت في وجه زوجها أضاءت الجنة من ضحكها!! واذا انتقلت من قصر إلى قصر، قلتَ: هذه الشمس متنقلة في بروج فلكها!! واذا حاضرت زوجها فيا حسن تلك المحاضرة !! وإنْ خاصرته فيا لذة تلك المعانقة والمخاصرة !!

وحديثها السحر الحلال لو أنه ..... لم يجنِ قتل المسلم المتحرز
إنْ طال لم يُملل وإنْ هي أوجزتْ ..... ودَّ المُحدَّث أنها لم تُوجِز

وانْ غنَّت فيا لذة الأبصار والأسماع !! وإنْ آنست وأمتعت فيا حبذا تلك المؤانسة والإمتاع !! وإن قبَّلت فلا شيء أشهى إليه من ذلك التقبيل !! وإن نولت(أي أعطته شيئا

وناولته إياه) **فلا ألذّ ولا أطيب من ذلك التنويل** " [نقلا عن كتاب"حادي الأرواح" لابن القيم].

*ولله درٌّ "ابن القيم" حين يقول في نونيته:

يـــا خـــاطب الـــحور الحسان وطالباً ... لـــوصـــالـــهنَّ بـــجـــنَّة الـــحيـــوانِ

لو كنتَ تدري مَنْ خطبتَ ومَنْ طلبتَ ... جعلت السعي منك لها على الأجفـــان.

واعلم ايها الحبيب أن عرائس الجنان ، غاليات المهور باهضـــــات الأثمان ، وإنَّ مهورهنَّ التهجد والقيام ، والتعبد والصيام ، وطاعة الملك العلاَّم ، بفعـــل الطاعات واجتناب الآثام ، فيا خاطب الحور الحسان، أين المهور والأثمان ؟!!

* قال"أزهر بن مغيث"رحمه الله:رأيت ذات ليلة في المنام حوراء من أجمل النساء، فقلـــت لها: لمن أنتِ ؟!! فقالـــت: لمن يقوم الليل في الشتاء!! " [نقلا عن كتاب"تنبيه المغترين" للشعراني].

* كان بعض السلف يُحيِّ الليل صلاةً فتكاسل عن ذلك فأتاه آتٍ في منامه فقال له: قد كنتَ يا فلان تدأب في الخطبة !! فما الذي قصَّر بك عن ذلك؟!! فقال: وما ذلـــك؟!! فقال: كنت تقوم من الليل!! أوَ ما علمتَ أن المتهجد إذا قام إلى التهجد قالت الملائكة: قد قام الخاطب إلى خطيبته !!"[نقلا عن كتاب" اختيار الأولى" لابن رجب].

* قال الشاعر:

تيـــقـــظ لـــساعاتٍ من اللـــيل يا فـــتى ... لعلك تحظى في الـــجنان بـــحورها

فـــتـــنـــعـــمُ في دارٍ يـــدوم نـــعـــيمها ... مـــحمد فيها والـــخليـــل يزورها

فقم فـــتـــيـــقـــظ ساعةً بعد ســـاعـــةٍ ... عساك تُوفِّـــي ما بقي من مـــهورها

[نقلا عن كتاب"اختيار الأولى "لابن رجب].

*قال"أزهر بن ثابت التغلبي":"كان أبي من القوَّامين لله في سواد هذا الليـــل، فقـــال أبي ذات مرة: رأيتُ في منامي امرأةً لا تُشبه نساء الدنيا، فقلت لها:منْ أنـــتِ؟!! فقـــالت: حوراء ، أمةُ الله!! فقلت لها: زوِّجيني نفسكِ !! فقالت :اخطبني إلى سيدي وأمـــهرني !! فقلت لها: وما مهركِ؟!! فقالت:طول التهجد" [نقلا عن كتاب"إحياء علوم الدين" للغزالي (٣١٥/١)].

*نام العبد الصالح"عبد الواحد بن زيد"ذات ليلة عن ورده من قيام الليل، فرأى في منامه

جارية لم يرَ قط أحسن منها وجهاً ، وعليها ثياب حرير خضر ، وهي تقول: يــا ابــن زيد: جدَّ في طلبي!! فإني في طلبك!! ثم جعلت تقول:

منْ يشتريني ومنْ يكن سكني..... يأمــن في ربحه مــن الغبن .

فقلت: يا جارية : ما ثمنك؟! فجعلت تقول:

تــوددٌ لله مــع مــحبته .... وطــول فكرٍ يُشاب بالحزن

فقلتُ: لمن أنتِ يا جارية ؟ فقالت:

لــمــالكٍ لا يــردُّ لي ثمنا .... مِن خاطبٍ قد أتاهُ بالثمن "

[نقلا عن كتاب" صفة الصفوة" لابن الجوزي (٣/٣٢٤)].

*أخي: تخيَّل بقلبك الحور الحسان في الجنان وهن يُنشدن بصوت عذب رخيم:

بــرانا إله الناس ربٌّ مــحمــد .... لــقومٍ عــلى الأقــدام بالــليــل قُــوَّمُ

يُــناجون رب العــالــمين إلههم .... فتــسري هــموم القــوم والنــاس نُــوَّمُ .

* قال"أبو سليمان الداراني" رحمه الله:"بينما أنا ساجد(أي في قيام الليل) إذ ذهب بي النــوم فإذا أنا بالحوراء، قد ركضتني برجلها !! فقالت: يا حبيبي أترقد عيناك والمَلِك يقظــان!! ينظر إلى المتهجدين في تهجدهم ؟!! بؤساً لعينٍ آثرت لذة نوم على مناجاة العزيز!! قــم فقد دنا الفراغ !! ولقي المحبون بعضهم بعضا ، فما هذا الرقاد ؟!! حبيبي وقرة عيــني: أترقد عيناك وأنا أُربــَّى لك في الخدور منذ كذا وكذا ؟!! قال: فوثبتُ فزعــا وقــد عَرِقتُ استحياءً من توبيخها إيايَّ ، وإنَّ حلاوة منطقها لفي سمعي وقلبي " [نقلا عن كتــاب" صفة الصفوة" لابن الجوزي (٤/٢٢٥)].

* أخي: تخيل صوت الحور الحسان وهن يخاطبن من لا يقوم الليل ويقلن له:

أتطــلب مثــلي وعــني تــنام ؟!! ... ونــوم المحــبين عنا حــرام

لأنــا خــلــقــنا لكــل امــريء ... كثير الصــلاة بــراه القــيام .

* قال"كثير بن مرة" رحمه الله:"إن من المزيد أن تمر السحابة بأهل الجنة فتقــول: مــاذا تريدون أن أمطركم ؟!! فلا يتمنون شيئا إلا أمطرو !!! قال"كثير":لئن أشهدني الله ذلك لأقولن : أمطرينا جواري مزينات !! " [نقلا عن كتاب" اختيار الأولى" لابن رجب].

*وما أجمل قول الشاعر:

أتـلهـو بالكـرى عـن طيب عيش ... الخيـرات في غرف الـجنـان

تـعيـش مـخـلدا لا مـوت فيـه ... وتنـعم في الـجنان مع الحسان

تيقـظ مـن منـامـك إن خـيـرا ... من النوم التهـجـد بالـقرآن.

* قال"يزيد الرقاشي" رحمه الله: بلغني أن نورا سطع في الجنة لم يبق موضـع فـي الجنـة إلا دخل فيه من ذلك النور، فقيل: ما هذا ؟!! قيل: حوراء ضحكت في وجـه زوجها !!" [نقلا عن نفس المصدر السابق].

* ولله در "ابن القيم" حين يقول في "النونية" مؤكدا هذا المعنى:

ولقـد روينا أن بـرقـا سـاطعـا ... يبدو فيـسأل عـنه من بـجنان

فيقال : هـذا ضوء ثـغر ضاحـك ... في الجـنة الـعلـيا كما تريـان

[نقلا عن"نونية ابن القيم" مع شرحها للهراس].

*وهذا الشاعر يصف لك الطريق لتفوز بعرائس الجنان فيقول:

لا يـجـتلي الـحوراء من خدرها .... إلا امـرؤ ميزانـه راجـح

مـن اتـقـى الله فـذاك الـذي .... سـيق إليه المـتجر الرابـح

شـمـر فما في الديـن أغـلوطة .... ورح لـما أنـت له رائـح .

١٧ الـنـوم عـلى نـيـة الـقـيام للصلاة

ومـما يسهل قيام الليل ويعين عليه ، أن يعزم المرء ويجزم النية قبل نومـه على القيام ، فينام ناويا للقيام ومناجاة الملك العلام ، فإن نية المؤمن تسبق عمله ، فـإن كتب له القيام فهذا هو المبتغى ، وإلا نال الأجر على نيته الصالح وعزمه الصادق.

وقد أرشدنا النبي عليه السلام إلى هذا المسلك ،وبين لنا الأجر العظيم المترتب عليه:

* عن "أبي الدرداء" رضي الله عنه أن النبيﷺ قال : " من أتى فراشه ، وهو ينوي أن

يقوم يصلي من الليل ، فغلبته عينه حتى أصبح، كتب له ما نوى ، وكان نومه صدقة عليه من ربه " [رواه النسائي وابن ماجة وابن خزيمة في صحيحه، والحاكم في المستدرك وصححه وأقره على ذلك الذهبي].

* وعن" أبي ذر" أو " أبي الدرداء" رضي الله عنهما ـــ شك الراوي ـــ أن النبي ﷺ قال : " ما من عبد يحدث نفسه بقيام ساعة من الليل فينام عنها ، إلا كان نومه صدقة تصدق الله بها عليه ، وكتب له أجر ما نوى" [رواه" ابن حبان" وصححه، وصححه"الألباني" في" صحيح الترغيب والترهيب" (١/٢٤٦)].

* وعن" عائشة"رضي الله عنها، أن النبي ﷺ قال:" ما من امريء تكون له صلاة بليل (أي اعتاد على القيام)، فيغلبه عليها نوم إلا كتب الله له أجر صلاته ، وكان نومه عليه صدقة" [رواه مالك وأبو داود والنسائي، وصححه الألباني في" صحيح الجامع" برقم(٥٥٦٧)].

ومما ينبغي التنبه له أنه ليس مقصودنا بإيراد مثل هذه الأحاديث أن يتكاسل المرء عن القيام لصلاة الليل ، ويكتفي فقط بنية القيام !! ظنا منه أن هذه النية تعادل القيام في الأجر والثواب !! كلا كلا ، فهذا فهم خاطيء لمدلول الأحاديث المتقدمة ،لأنه لا يستوي في ميزان الله تعالى من قام في الليل يصلي لله مخلصا مخبتا منيبا خاشعا، قد ترك زوجته الحسناء وفراشه الوثير ونومه اللذيذ، مع شخص لما أوى إلى فراشه نوى القيام وعزم عليه ، ثم غلبته عينه فبات طوال ليله نائما حتى طلع الفجر، إنما الأحاديث المتقدمة محمولة على من كان من عادته دائما القيام في ظلام الليل لمناجاة الله ، وفي ذات مرة نام ناويا القيام كعادته ولكنه لم يستيقظ حتى طلع الصبح، فهنا يكتب الله له أجر النية التي نواها وهي نية القيام ، وأجر الصلاة التي تعود أن يصليها كل ليلة ، كرما منه سبحانه وتفضلا على عبده المؤمن ،وهناك وجه آخر يمكن أن تحمل عليه الأحاديث المتقدمة ،وهو أن من نوى القيام وعزم عليه ثم نام عنه فإنه يكتب له أجر نيته فقط ، بخلاف من نوى القيام وقام فعلا فإنه يكتب له الأجران جميعا :أجر النية وأجر العمل.

*واسمع إلى الإمام"أبي الوليد الباجي" رحمه الله وهو يقول تعليقاعلى حديث " عائشة" المتقدم ذكره:" قوله "إلا كتب له أجر صلاته" يريد الصلاة التي اعتادها، ويحتمل ذلك عندي وجوها:أحدها: أن يكون له أجرها غير مضاعف، ولو عملها لكان أجرها مضاعفا، لأنه لا خلاف أن الذي يصليها أكمل حالا ، ... ويحتمل أن يريد أن له أجر من تمنى ان يصلي مثل تلك الصلاة، أو لعله أراد أجر تأسفه مع ما فاته منها،..." [نقلا عن"" المنتقى على موطأ مالك" لأبي الوليد الباجي(١/١١٢)].

* أخي: تأمل في حال المتهجدين بالليل، قاموا في الجد وقعدت !! وسهروا في الدجى ورقدت !! وسكبوا الدموع والعبرات وغفلت!! هذه طريقهم وتلك هي المسالك !! فأين السائر فيها والسالك ؟!! وأين المنافس لهم في ذلك ؟!! .

* أخي: يا من قد قيد الطرد قدميك !! وغل الإبعاد يديك !! أما لك عين تبكي عليك؟!!.

١٨ معرفة أن الله يباهي بقائم الليل الملائكة

ومزية عظيمة يحصلها قائم الليل تجعل المرء لا يفرط في القيام ، ألا وهي أن الله تعالى يباهي به وبقيامه الملائكة الكرام ،

*واستمع إلى الحبيب ﷺ وهو يربينا على هذه الحقيقة الهامة فيقول:"عجب ربنا من رجلين:رجل ثار (أي قام بهمة ونشاط) عن وطائه ولحافه ، من بين أهله وحبه إلى صلاته (أي قيام الليل)، فيقول الله جل وعلا: أيا ملائكتي:انظروا إلى عبدي ثار عن فراشه ووطائه من بين حبه وأهله إلى صلاته رغبة فيما عندي (أي من الأجر والثواب) وشفقة مما عندي !! ورجل غزا في سبيل الله ، وانهزم أصحابه وعلم ما عليه في الانهزام ، وما له (أي من الأجر والثواب) في الرجوع ، فرجع حتى يهريق دمه ، فيقول الله لملائكته:انظروا إلى عبدي رجع رجاء فيما عندي ، وشفقة مما عندي حتى يهريق دمه " [رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني ، وابن

حبان في صحيحه، عن" ابن مسعود"، وحسنه الألباني في"صحيح الترغيب والترهيب" (١/٢٥٨)] .

*وعن"عقبة بن عامر" رضي الله عنه أن النبيﷺ قال:"الرجل من أمتي يقوم من الليل يعالج نفسه (أي يكرهها) إلى الطهور ، وعليه عقد، فإذا وضأ يديه انحلت عقدة، وإذا وضأ رجله انحلت عقدة ، وإذا مسح رأسه انحلت عقدة ، وإذا وضأ رجليه انحلت عقدة ، فيقول الله عز وجل للذين وراء الحجاب (أي من الملائكة الكرام): انظروا إلى عبدي هذا يعالج نفسه ويسألني !! ما سألني عبدي فهو له !! " [رواه أحمد وابن حبان وصححه، والحديث حسنه "الألباني" في"صحيح الترغيب والترهيب" حديث رقم (٦٢٧)].

* وهذا "الحسن البصري" رحمه الله يقول:"إذا نام العبد ساجدا (أي في قيام الليل) باهى الله به الملائكة ، يقول:انظروا إلى عبدي !! يعبدني وروحه عندي وهو ساجد " [نقلا عن كتاب"الزهد" للأمام"أحمد"] .

* قال"ابن القيم":" هان سهر الحراس لما علموا أن أصواتهم بسمع الملك" [نقلا عن" الفوائد" لابن القيم].

* أخي: قم في ظلام الليل وناج ربك ، وقل لهذه النفس البطالة:

يا نفس قومي فقد نام الورى ... إن تصنعي خيرا فذو العرش يرى

وأنت يا عين دعي عنك الكرى ... عند الصباح يحمد القوم السرى

[نقلا عن كتاب" لطائف المعارف" لابن رجب].

* قال" ابن القيم":"إنما يقطع السفر ويصل المسافر بلزوم الجادة وسير الليل ، فإذا حاد المسافر عن الطريق ، ونام الليل كله ، فمتى يصل إلى مقصده ؟!!" [نقلا عن" الفوائد" لابن القيم].



١٩ معرفة أن النبي ﷺ كان لا يترك القيام حتى في أرض الجهاد

لقد كان النبيﷺ يواظب على قيام الليل ويحافظ عليه ، حتى وهو في أرض الجهاد والقتال ، بين الدماء والأشلاء والجثث ، وما ذاك إلا لأهمية القيام ،

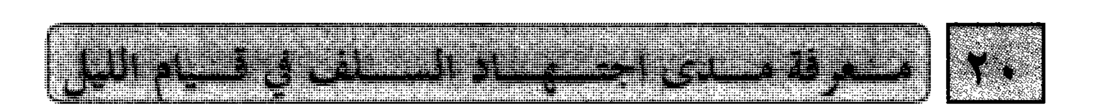
وإدراكا منه عليه الصلاة والسلام لكون قيام الليل ومناجاة الرحمن واللجوء إليه ، هــو مفتاح النصر على الأعداء .

* عن"محمد بن كعب القرظي"قال:"قال فتى منا من أهل الكوفة "لحذيفة بـــن اليمـــان" رضي الله عنه: يا أبا عبدالله :رأيتم رسول الله ﷺ وصحبتموه ؟!! قال: نعم يـــا ابـــن أخي ، قال: فكيف كنتم تصنعون ؟!! قال: والله لقد كنا نجهد !! فقال الفتى: والله لـــو أدركناه ما تركناه يمشي على الأرض ولجعلناه على أعناقنا !! فقال حذيفة: يا ابن أخـــي والله لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ بالخندق وصلى رسول الله ﷺ من الليل هويـــا (أي جزءا طويلا) ثم التفت إلينا فقال: من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم يشترط له رســـول الله ﷺ أن يرجع وأن يدخله الله الجنة !! .... وساق الحديث" [رواه أحمـــد في"المســـند"] ، فتأمل رعاك الله كيف أن الحبيب عليه الصلاة والسلام لم يدع قيام الليل في تلك الليلـــة مع ما به من شدة الجوع والبرد والظلمة والريح !! .

* وعن"عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده" رضي الله عنه:"أن رســـول الله ﷺ عـــام غزوة تبوك ، قام من الليل يصلي فاجتمع وراءه رجال من أصحابه يحرسونه ، حـــتى إذا صلى وانصرف إليهم قال لهم:لقد أعطيت الليلة خمسا ما أعطيهن أحد قبلي:أمـــا أنـــا فأرسلت إلى الناس عامة ، وكان من قبلي يرسل إلى قومه ، ونصـــرت علـــى العـــدو بالرعب ، ولو كان بيني وبينه مسيرة شهر لـــملىء مني رعبا،وأحلت لي الغنائم كلها ، وكان من قبلي يعظمون أكلها ، كانوا يحرقونها ، وجعلت لي الأرض مسجدا وطـــهورا، أينما أدركتني الصلاة تمسحت وصليت، وكان من قبلي يعظمون ذلك ، إنمـــا كـــانوا يصلون في كنائسهم وبيعهم(البيعة هي مكان العبادة عند اليهود) ، والخامسة هي ما هي !! قيـــل لي: سل فإن كل نبي قد سأل ، فادخرت مسألتي إلى يوم القيامة ، فهي لكم ولمن شـــهد ألا إله إلا الله " [رواه أحمد في المسند، وصححه المنذري في "الترغيب والترهيب"].

* أخي:سبحان من أيقظ المتهجدين والناس نيام ، وجعل خلواقم معه أنسهم وميدانهم ، والمناجاة روائحهم وريحانهم ، وذكره نزهتهم وبستانهم ، وتلاوة القرآن نعيمهم وعنوانهم ، وشوقهم دوما لقناديل علقت بالعرش في دارهم وأوطانهم.

* أخي:لا بد والله من قلق وحرقة ، إما في زاوية التعبد ، أو في هاوية الطرد ، فإما أن تحرق قلبك بنار الندم على التقصير،والشوق إلى لقاء الحبيب ، وإلا فنار جهنم أشد حرا ،وأعظم اسودادا وشرا !! .



٢٠ معرفة مدى اجتهاد السلف في قيام الليل

اعلم ــ يا رعاك الله ــ أن كثيرا من الكسالى والبطالين إذا سمعوا بأخبار اجتهاد السلف الأبرار في قيام الليل، ظنوا ذلك نوعا من التنطع والتشدد وتكليف النفس ما لا يطاق ، وهذا جهل وضلال بين، لأننا لما ضعف إيماننا وفترت عزائمنا ، وخمدت أشواقنا للجنان ، وقل خوفنا من النيران ، ركنا إلى الراحة والكسل والنوم والغفلة ، وصرنا ــ إذا سمعنا بأخبار العباد والزهاد الأبرار وما كانوا عليه من تشمير واجتهاد في طاعة ربهم ومولاهم ــ نستغرب تلك الأخبار ونستنكرها ، ولا عجب فكل إناء بالذي فيه ينضح ، فلما كانت قلوب السلف معلقة باللطيف القهار وهممهم موجهة إلى دار القرار، سطروا لنا تلك المفاخر العظام ، وخلفوا لنا تلك النماذج الكرام ، ونحن لما ركنا إلى الدنيا الدنية، وتعلقنا بالمناصب والرتب الدنيوية ، وأعرضنا عن طاعة رب البرية ، صرنا إلى شر حال ، من الكسل والغفلة والتخاذل عن مناجاة ذي العزة والجلال!! فأفق يا أخي من غفلتك !!فقد ذهب والله أولئك الأئمة السادة ، ومضى أولئك الأبرار القادة ، وما بقي إلا قرناء الكسل والوسادة !! .

* صلى سيد التابعين"سعيد بن المسيب" رحمه الله الفجر خمسين سنة بوضوء العشاء ، **وكان يسرد الصوم"** [نقلا عن كتاب"صفة الصفوة" لابن الجوزي (٢/٨٠)].

* قال"برد" مولى"ابن المسيب":" كان"سعيد بن المسيب" رحمه الله يصلي في بيته صلاة كثيرة، وكان يقرأ بسورة { ص والقرآن ذي الذكر} " [راجع كتاب"الطبقات الكبرى" لابن سعد (١٣٢/٥)].

* كان"محمد بن واسع"رحمه الله إذا جن عليه الليل، وقام يصلي لربه ، يبكي ويقول في بكائه:"ويلي من ذنوب قد أحصيت !! ومن صحيفة قد ملئت !! وربي قد علم ذلك ولم يخف عليه من ذلك شيء " [نقلا عن كتاب"بستان الواعظين" لابن الجوزي].

* كان التابعي الجليل" عامر بن عبدالله بن قيس" رحمه الله إذا جاء الليل قال: اذهب حر النار النوم !! فما ينام حتى يصبح !! وكان إذا جاء الليل يقول لنفسه:من خاف أدلج ، وعند الصباح يحمد القوم السرى" [نقلا عن كتاب"مختصر قيام الليل" للمقريزي].

* وعن"ابن شوذب" قال: كان"عروة بن الزبير" رحمه الله يقرأ كل يوم ربع القرآن في المصحف (أي ما يزيد على سبعة أجزاء يوميا)، ويقوم به ليله!! " [نقلا عن كتاب" الزهد" للإمام أحمد].

* لما وقعت الآكلة (وهي داء اشبه بالسرطان يستدعي قطع العضو المصاب وبتره) في رجل"عروة بن الزبير" رحمه الله، وأشار عليه الأطباء بقطعها فقطعت وأغمي على"عروة" بعد قطعها ، لكنه لم يدع قيام الليل في تلك الليلة !!" [راجع القصة بتمامها في كتاب"الزهد" للإمام أحمد].

* قال"المعتمر بن سليمان":"مكث أبي"سليمان التيمي" رحمه الله أربعين سنة يصوم يوما ويفطر يوما، وكان يصلي صلاة الفجر بوضوء العشاء الآخرة!! "[نقلا عن كتاب" سير أعلام النبلاء" للذهبي (١٩٧/٦)].

* كان العبد الصالح" سليمان التيمي" رحمه الله هو وابنه يدوران بالليل في المساجد ، فيصليان في هذا المسجد مرة، وفي هذا المسجد مرة ، حتى يصبحا !!" [نقلا عن كتاب"سير أعلام النبلاء" للذهبي (١٩٥/٦)].

* قال"معمر":صلى إلى جنبي "سليمان التيمي" رحمه الله بعد العشاء الآخرة، فسمعته يقرأ في صلاته:{ تبارك الذي بيده الملك}، حتى أتى علىهذه الآية:{فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا} [سورة الملك الآية (٢٧)] ، فجعل يرددها حتى خف أهل المسجد وانصرفوا، ثم خرجت إلى بيتي ، فلما رجعت إلى المسجد لأؤذن الفجر فإذا

"سليمان التيمي" في مكانه كما تركته البارحة !! وهو واقف يـــردد هـــذه الآيـــة لم يجاوزها:{ فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا} !! " [نقلا عن كتاب" حلية الأوليـــاء"لأبي نعيم (٣/٢٩)].

* ذات ليلة زار العبد الصالح"قيس بن مسلم"رحمه الله أخاه في الله"محمد بن جحـــادة" رحمه الله، فأتاه وهو في المسجد بعد صلاة العشاء، ومحمد قائم يصلي الليل، فقام "قيس" في الناحية الأخرى من المسجد يصلي !! فما زالا على تلك الحال حتى طلع الفجر!! ولم يشعر"محمد" بحضور "قيس"، وكان"قيس بن مسلم" إمام مسجده، فرجـــع إلى الحـــي فأمهم ، ولم يلتقيا، ولم يعلم "محمد" مكانه، فقال بعض أهل المسجد لمحمد:زارك أخـــوك "قيس بن مسلم" البارحة فلم تنفتل وتنصرف لتقابله!! فقال"محمد":ما علمت مكانـــه!! (أي لانشغالي بصلاتي ما شعرت بحضوره)، فغدا "محمد" على"قيس" فلما رآه "قيس" مقبلا ، قـــام إليه فاعتنقه وخلوا جميعا فجعلا يبكيان !!"[نقلا عن كتاب"صفة الصفوة"لابن الجوزي (٣/١٢٧)].

* قالت"معاذة العدوية" رحمها الله واصفة حال زوجها"صلة بن أشيم العدوي" رحمـــه الله مع قيام الليل:"ما كان "صلة" يجيء من مسجد بيته (أي مصلاه في بيته) إلى فراشه إلا حبوا!! يقوم حتى يفتر فما يجيء إلى فراشه إلا حبوا !! (أي لشدة اجتهاده في قيـــام الليـــل) " [نقـــلا عـــن كتاب"الزهد" للإمام أحمد].

* قال"أبو إسحاق السبيعي" رحمه الله:"ذهبت الصلاة مني!! (أي لما كبرت سني)، وضعفـــت ورق عظمي ، إني اليوم (أي وانا شيخ هرم) أقوم في الصـــلاة فمـــا أقـــرأ إلا البقـــرة وآل عمران!!وكان رحمه الله قد ضعف عن القيام (أي لكبر سنه) فكان لا يقـــدر أن يقـــوم إلى الصلاة حتى يقام ، فإذا أقاموه فاستتم قائما قرأ الف آية وهـــو قـــائم !! " [نقـــلا عـــن كتاب"تذكرة الحفاظ" للذهبي (١/١١٥)].

* قال"عون بن عبدالله" لأبي إسحاق السبيعي" رحمه الله ــ وكان آنذاك شيخا هرمـــا ــ :" ما بقي منك؟!! (أي من قوتك ونشاطك؟) فقال: أصلي فأقرا البقرة في ركعـــة !! فقـــال عون: ذهب شرك وبقي خيرك!! "[نقلا عن نفس المصدر السابق].

* قال"سفيان":"كان"أبو إسحاق السبيعي" رحمه الله يقوم ليل الصيف كلـــــه ، وأمـــا الشتاء فأوله وآخره ، وبين ذلك هجعة " [نقلا عن كتاب"صفة الصفوة"لابن الجوزي (١٠٤/٣)].

* قال"ثابت البناني":"كان قوم من بني"عدي"قد أدركنا بعضهم، إن كان أحدهم ليصلي حتى ما يأتي فراشه إلا زحفا، وكان"ابن الربيع العدوي" رحمه الله يصلي حتى ما يـــأتي فراشه إلا زحفا أو حبوا، وما كانوا يعدونه (أي يعتبرونه) مـــن أعبدهـــم !! " [نقـــلا عـــن كتاب"مختصر قيام الليل" للمقريزي].

* وقال رحمه الله:"لقد أدركنا الناس وأحدهم يصلي فلا يأتي فراشه إلا زاحفا (أي من شـــدة التعب والنصب في العبادة) " [نقلا عن كتاب"تنبيه المغترين" للشعراني].

* قال"عبدالله بن يحي":" كان"أبو جعفر الباقر" رحمه الله يصلي كل يوم وليلـــة مئـــة وخمسين ركعة بالمكتوبة !! " [نقلا عن كتاب"سير أعلام النبلاء"للذهبي (٤٠٢/٤)].

* قالت"امرأة مسروق بن الأجدع" :" والله ما كان مسروق يصبح من ليلة من الليـــالي إلا وساقاه منتفختان من طول القيام !! ....، وكان رحمه الله إذا طال عليه الليل وتعب صلى جالسا ولا يترك الصلاة، وكان إذا فرغ من صلاته يزحـــف (أي إلى فراشـــه) كمـــا يزحف البعير !! " [نقلا عن كتاب" تنبيه المغترين" للشعراني].

* حج"مسروق بن الأجدع" رحمه الله ذات عام فما بات إلا ساجدا لله تعالى(أي ليلة وصولـه إلى مكة رغم تعب السفر ومشقته)" [نقلا عن"الحلية" لأبي نعيم " (٩٥/٢)].

* حبس الأسد الناس ليلة في طريق الحج، فدق الناس بعضهم بعضا، فلما كان الســـحر ذهب عنهم ، فنزل الناس يمينا وشمالا فألقوا أنفسهم على الأرض فناموا ، وقام العبـــد الصالح "طاووس بن كيسان"رحمه الله يصلي لربه ، فقال رجل لطاووس:نم !! فإنك قـــد نصبت منذ الليل، فقال طاووس مستغربا: ومن ينام في السحر؟!! " [نقلا عن كتاب"الزهـــد" للإمام أحمد].

* قالت امرأة"حسان بن أبي سنان" رحمه الله:" كان"حسان" يجيء فيدخل في فراشـــي (أي لينام)، فيخادعني كما تخادع المرأة صبيها، فإذا علم أني نمت سل نفسه فخرج ، ثم يقـــوم فيصلي لله ، فقلت له : يا أبا عبدالله كم تعذب نفسك ؟!! ارفق بنفسك !! فيقول لي:

اسكتي ويحك !! فيوشك أن أرقد رقدة لا أقوم منها زمانـــا (يعـني المـوت)" [نقــلا عــن كتاب"حــلية الأولياء" لأبي نعيم (١١٧/٣)].

* كان العبد الصالح"أبو مسلم الخولاني" رحمه الله يقوم الليل، وكان إذا أحـــس مــن نفسه تكاسلا وتخاذلا عن القيام أو ميلا إلى الغفلة والنوم أخذ سوطا عنده وضرب بـــه ساقيه كالمؤدب لنفسه ، وقال لها: والله لأنت (أي يا نفس) أولى بـــالضرب مـــن شـــر الدواب" وفي رواية أنه كان يقول لها:"قومي لعبادة ربك، والله لأزحفن بك زحفا حـــتى يكون الكلال منك لا مني، وإنك لأولى بالضرب من الدابة لموضـــع عقلـــك وكـــثرة دعاويك !!" [راجع كتاب"مختصر قيام الليل" للمقريزي ، وكتاب"تنبيه المغترين" للشعراني].

* قال"مخلد بن الحسين":" ما انتبهت من الليل إلا أصبت"إبراهيم بن أدهم"رحمـــه الله ، يذكر الله ويصلي فأغتم لذلك ، ثم أتعزى بهذه الآية:{ ذلك فضل الله يؤتيه من يشـــاء} [سورة الحديد الآية(٢١)] " [نقلا عن كتاب"الحلية" لأبي نعيم (٢٢/٨)].

* قام العبد الصالح"عمرو بن عتبة بن فرقد" رحمه الله ذات ليلة يصلـــي مـــن الليـــل، فاستفتح القراءة حتى أتى على هذه الآية:{ وأنذرهم يوم الآزفة} [سورة غافر الآيـــة (١٨)]، فما جاوزها حتى أصبح !!" [نقلا عن كتاب" صفة الصفوة" لابن الجوزي (٧٢/٣)].

* كان"زين العابدين علي بن الحسين" رحمه الله يكثر الصلاة بالليل ، حتى أنـــه كـــانت لركبتيه ثفنات (أي عقد منتفخة) كثفنات البعير من كثرة صلاته !! وكان يقطعها في العـــام مرتين" [نقلا عن كتاب"تهذيب التهذيب" لابن حجر (٣٠٦/٧)].

* قال"أبو حازم"رحمه الله:"لقد أدركنا أقواما كانوا في العبادة علـــى حـــد لا يقبـــل الزيادة!! " [نقلا عن كتاب"حلية الأولياء" لأبي نعيم (٢١٤/٣)].

* قام "الحسن البصري"رحمه الله، ذات ليلة يصلي ويردد قوله تعالى:{وإن تعدوا نعمـــة الله لا تحصوها} [سورة إبراهيم الآية (٣٤)]، فجعل يرددها حتى أصبح !! فسئل عـــن ذلـــك فقال: إن فيها معتبرا ، ما نرفع طرفا ولا نرده إلا وقع على نعمة ، وما لا نعلمه من نعم الله أكثر!! " [نقلا عن كتاب" الصلاة والتهجد"لابن الخراط].

* قال"يعمر بن بشر": " أتيت باب"عبدالله بن المبارك" رحمه الله ذات ليلة بعد العشاء فوجدته يصلي ، وهو يقرا قوله تعالى:{ إذا السماء انفطرت} حتى بلغ:{يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم} فوقف عندها يرددها إلى أن ذهب وقت من الليل، فانصرفت ثم رجعت إليه لما طلع الفجر فإذا هو لا يزال يرددها، فلما رأى الفجر قد طلع قال: حلمك وجهلي!! حلمك وجهلي!! فانصرفت وتركته !! " [نقلا عن كتاب" مختصر قيام الليل للمقريزي].

* قام العبد الصالح"سعيد بن جبير"رحمه الله ذات ليلة يصلي من الليل فاتى على هذه الآية{ وامتازوا اليوم أيها المجرمون} [سورة يس الاية (٥٩)]، فأخذ يرددها حتى أصبح" [نقلا عن كتاب"صفة الصفوة" لابن الجوزي (٧٨/٣)].

* قام العبد الصالح"سعيد بن جبير" رحمه الله ، ذات ليلة يصلي من الليل فمر بهذه الآية{واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله}[سورة البقرة الآية(٢٨١)]، فرددها بضعا وعشرين مرة، وكان يبكي بالليل حتى عمش" [نقلا عن كتاب"مختصر قيام الليل" للمقريزي].

* كان العبد الصالح" علي بن الفضيل بن عياض" رحمه الله يصلي من الليل حتى ما يقدر على أن يأتي فراشه إلا حبوا !! ثم يلتفت إلى أبيه ويقول: يا أبت سبقني المتعبدون!! " [نقلا عن كتاب "الحلية" لأبي نعيم (٢٩٨/٨)].

* قال"مخلد بن الحسين": " كان بالبصرة رجل يقال له" شداد" أصابه الجذام فانقطع عن لقاء الناس وصلاة الجماعة !! فدخل عليه بعضهم ليزوره ، فقالوا له:كيف تجدك؟!! فقال: بخير ما فاتني حزبي من الليل منذ سقطت (أي أصبت بالمرض) ، وما بي إلا أنني لا أقدر على أن أحضر صلاة الجماعة !! " [نقلا عن كتاب" حلية الأولياء" لأبي نعيم (١٤٦/١٠)].

* قيل للعبد الصالح" يزيد بن هارون" رحمه الله ــ وكان ذا عينين جميلتين فعمي من كثرة بكائه بالليل ــ :يا أبا خالد ما فعلت العينان الجميلتان؟!! فقال: ذهب بهما بكاء الأسحار !! ولما سئل عن حزبه(أي ورده بالليل) قال:وأنام من الليل شيئا ؟!! إذا لا أنام الله عيني!!" [نقلا عن كتاب"الزهد" للإمام أحمد].

* كان العبد الصالح" بشر بن الحارث الحافي" رحمه الله يقوم الليل كله، فقيل له: ألا تستريح لك في الليل ساعة ؟!! فقال: إن رسول الله ﷺ قام حتى تورمت قدماه من القيام ، مع أن الله تعالى قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر !! فكيف أنام(أي وادع القيام) وأنا لم أعلم أن الله غفر لي ذنبا واحدا ؟!! " [نقلا عن كتاب"تنبيه المغترين" للشعراني].

* كان العبد الصالح"منصور بن المعتمر" رحمه الله إذا جاء الليل ، إن كان صيفا اتزر وارتدى ، وإن كان شتاء التحف فوق ثيابه ثم قام إلى محرابه (أي يصلي لله) ، كأنه خشبة منصوبة حتى يصبح !! " [نقلا عن كتاب" صفة الصفوة" لابن الجوزي (٣/١١٤)].

* قال"محمد بن إسحاق":"قدم علينا"عبد الرحمن بن الأسود" رحمه الله،وهو معتل الرجل (أي مريضها) ، فقام يصلي من الليل حتى أصبح !! شاغرا رجله (أي رافعا رجله المريضة) قائما على رجل (أي على الرجل السليمة) !! " [نقلا عن كتاب" الزهد" للإمام أحمد].

* قال"الحسن البصري" رحمه الله:"كان يقال :ما عمل الناس من عمل أثبت في خير من صلاة في جوف الليل!! وكان "الحسن" يصلي من الليل قائما، فإذا عيي صلى قاعدا، فإذا فتر صلى مضطجعا" [نقلا عن كتاب"مختصر قيام الليل" للمقريزي].

* عن"عبد الرحمن بن عجلان" قال:" بت عند "الربيع بن خيثم" رحمه الله ذات ليلة، فقام يصلي ، فمر بهذه الآية:{ أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون} [سورة الجاثية الآية(٢١)] ، فمكث ليلته حتى أصبح ما جاوز هذه الآية إلى غيرها ببكاء شديد!!" [نقلا عن كتاب"حلية الأولياء" لأبي نعيم (٢/١١٢)].

* كان"الربيع بن خيثم" رحمه الله إذا قام من الليل يصلي، تناديه أمه مشفقة عليه وتقول له: يا بني ألا تنام ؟!! فيقول لها: يا أماه من جن عليه الليل (أي أقبل عليه) وهو يخاف البيات(أي ان يأتيه عذاب الله فجأة وهو نائم) حق له ألا ينام"[نقلا عن كتاب" مختصر قيام الليل" للمقريزي].

*كان العبد الصالح"هارون بن رباب الأسدي" رحمه الله يقوم من الليل للتهجد فربما مر بهذه الآية:{قالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين} [سورة الأنعام

الآية(٢٧)] ، **فما يزال يرددها ويبكي حتى يطلع الصباح** " [نقلا عن كتاب"مختصر قيام الليل" للمقريزي].

***كان العبد الصالح" محمد بن كعب القرظي" رحمه الله ، يقوم الليل فيناجي ربه ويتلو كلامه ويبكي بين يديه ، فقالت له أمه لما رأت كثرة بكائه:يا بني لولا أني أعرفك صغيرا طيبا وكبيرا طيبا لظننت أنك أحدثت ذنبا موبقا ، لما أراك تصنع بنفسك في الليل والنهار !! فقال لها: يا أماه: وما يؤمنني أن يكون الله قد اطلع علي وأنا في بعض ذنوبي فمقتني !! وقال:اذهب لا أغفر لك !! مع أن عجائب القرآن تورد علي أمورا حتى أنه لينقضي الليل ولم أفرغ من حاجتي** (أي لم أشبع من الصلاة والتلاوة) **!!"** [نقلا عن كتاب" حلية الأولياء" لأبي نعيم (٣/٣٤٨)].

*** كان"ثابت البناني" رحمه الله يقوم الليل حتى تنتفخ قدماه !! فإذا أصبح أمسك قدميه وأخذ يعصرهما** (أي يدلكهما) **ثم يقول: مضى العابدون وقطع بي!!** (أي سبقني الصالحون وتخلفت عنهم) **وآ لهفاه** (أي وآ حسرتاه على التقصير في طاعة الله!!) " [نقلا عن كتاب" صفة الصفوة" لابن الجوزي].

*** عن"بنت ثابت البناني" رحمه الله قالت:" كان أبي يقوم الليل خمسين سنة !! فإذا كان السحر قال في دعائه: اللهم إن كنت أعطيت أحدا من خلقك الصلاة في قبره فأعطنيها !! قالت: فما كان الله ليرد ذلك الدعاء"** [نقلا عن كتاب"حلية الأولياء" لأبي نعيم (١/٣٦٧)].

*** قال"حماد بن سلمة":" قرأ"ثابت البناني" رحمه الله قوله تعالى:{ أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا}** [سورة الكهف الآية(٣٧)]**، وهو قائم يصلي بالليل، فجعل يرددها ويبكي وينتحب!!** " [نقلا عن كتاب" سير أعلام النبلاء "للذهبي (٥/٢٢٤)].

*** كان"عطاء الخراساني" رحمه الله يحي الليل من أوله إلى آخره إلا نومة السحر"** [نقلا عن كتاب" مختصر قيام الليل" للمقريزي].

*** قال"المغيرة بن حبيب":"تبعت "مالك بن دينار" رحمه الله ذات ليلة، فرأيته لما دخل بيته استقبل القبلة وقام في محرابه وأخذ يصلي ما شاء الله أن يصلي، ثم أخذ بلحيته وجعل يقول: يا رب إذا جمعت الأولين والآخرين فحرم شيبة مالك على النار!! فما زال يرددها حتى طلع الفجر!!** " [نقلا عن كتاب" الزهد" للإمام أحمد].

* كان العبد الصالح" منصور بن المعتمر"رحمه الله قد قسم الليل أثلاثا: فكان ثلث الليل يقرأ(أي يصلي)، وثلثه يبكي ، وثلثه يدعو !! " [نقلا عن كتاب"صفة الصفوة" لابن الجوزي (٣/١٣٠)].

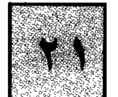
*عن"أم سعيد بن علقمة" قالت:"كان"داود الطائي"رحمه الله، جارا لنا ، فكنت أسمع بكاءه عامة الليل لا يهدأ ، ولربما ترنم في السحر بشيء من القرآن فأرى أن جميع نعيم الدنيا قد جمع في ترنيمه تلك الساعة !!" [نقلا عن كتاب" الحلية" لأبي نعيم (٣٥٦/٧)].

*كان العبد الصالح"داود الطائي" رحمه الله يحي الليل بالصلاة والبكاء والمناجاة، ثم يقعد بحذاء القبلة فيقول: يا سواد ليلة لا تضيء؟!! ويا بعد سفر لا ينقضي!! ويا خلوتك بي تقول:داود ألم تستح؟!! (أي مني حين عصيتني) " [نقلا عن كتاب"تاريخ بغداد" للخطيب البغدادي (٣٥٣/٨)].

*قال"أبو سليمان الداراني" رحمه الله:"ربما أقوم خمس ليال متوالية بآية واحدة ، أرددها وأطالب نفسي بالعمل بما فيها !! ولولا أن الله تعالى يمن علي بالغفلة لما تعديت تلك الآية طول عمري ، لأن لي في كل تدبر علما جديدا، والقرآن لا تنقضي عجائبه !! " [نقلا عن كتاب" تنبيه المغترين" للشعراني].

*كان"السري السقطي" رحمه الله إذا جن عليه الليل وقام يصلي، دافع البكاء أول اللليل، ثم دافع ثم دافع ، فإذا غلبه الأمر أخذ في البكاء والنحيب" [نقلا عن كتاب" الحلية" لأبي نعيم (١٢٦/١٠)].

وبعد يا أخي: فما تقدم ـ من أخبار السلف مع القيام ـ هو قطرة من بحر، وزهرة في بستان، ونفحة من شذاهم وعبيرهم ، و همسة من أخبارهم ومآثرهم، وفي الجعبة الكثير والكثير من ذلك !! فاين السائر على طريقهم والسالك؟!.



٢١ اجتناب الذنوب والمعاصي

الذنوب والمعاصي سموم وأمراض فتاكة ، تدخل على القلب ، فتفسده وتضعف أو تقطع بالكلية سيره إلى ربه ومولاه ، وتجعله ميالا إلى المنكرات

والسيئات ، أو على أحسن الأحوال ميالا إلى التوسع في المباحات ، متباعدا متثاقلا عن الطاعات والباقيات الصالحات ، فإذا أردت أن تكون ممن ينالون شرف مناجاة الله في ظلام الليل فاحذر الذنوب ، وتباعد عن معصية عـــلام الغيـــوب ، فإنه لا يوفق للقيام ومناجاة اللطيف العلام ، من تلطخ قلبه بالسيئات، وامتلأت صحيفته بالخطيئات.

* قال رجل"لإبراهيم بن أدهم" رحمه الله: إني لا أقدر على قيام الليل فصف لي دواء ؟!! فقال:لا تعصه بالنهار ، وهو يقيمك بين يديه في الليل !! فإن وقوفك بين يديه في الليـــل من أعظم الشرف، والعاصي لا يستحق ذلك الشرف" [نقلا عن كتاب" تنبيه المغترين" للشعراني].

* قال"سفيان الثوري"رحمه الله:"حرمت قيام الليل خمسة أشهر بذنب أذنبته !! " [نقلا عن كتاب"تنبيه المغترين"للشعراني].

* قال"أبو سليمان الداراني"رحمه الله:"من صفى صفي له ، ومن كدر كدر عليه ، ومـــن أحسن في ليله كوفىء في نهاره، ومن أحسن في نهاره(أي بترك الآثام) كوفىء في ليله (أي بالتوفيق للقيام)" [نقلا عن كتاب"صيد الخاطر"لابن الجوزي].

* قال بعضهم:"دخلت على العبد الصالح"كرز بن وبرة" رحمه الله وهو يبكي!! فقلت له: مالك ؟! هل أتاك نعي بعض أهلك؟!! فقال:بل أشد من ذلك!! فقلت :أوجع يؤلمك؟!! فقال: بل أشد من ذلك !! فقلت: وما ذاك؟!! فقال: بابي مغلق وستري مسبل، ولم اقرأ حزبي البارحة!!(أي لم أقم لصلاة الليل) وما ذاك إلا لذنب أحدثته ، وهذا لأن الخير يدعـــو إلى الخير، والشر يدعو إلى الشر، والقليل من كل واحد منهما يجر إلى الكثير" [نقلا عن كتـاب" رهبان الليل" للعفاني(٢/٤٧)].

*قال رجل"للحسن البصري"رحمه الله:يا أباسعيد:إني أبيت معافى وأحب قيام الليل،وأعد طهوري ، فما بالي لا أقوم؟!! فقا ل"الحسن":ذنـــوبـــك قـــيـــدتك!! "[نقلا عـــن نفـــس المصدر السابق].

*وقال رجل للحسن البصري: أعياني قيام الليل؟!! فقال: قيدتك خطاياك!! [نقـــلا عـــن كتاب" التبصرة" لابن الجوزي (١/١٤٥)].

* قال"الفضيل بن عياض"رحمه الله:"إذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار، فاعلم أنك محروم مكبل ، كبلتك خطيئتك!!"[نقلا عن كتاب"الحلية" لأبي نعيم (٩١/٨)].

* قال"الحسن البصري" رحمه الله:" إن العبد ليذنب الذنب فيحرم به قيام الليل وصيام النهار !!"[نقلا عن كتاب"مختصر قيام الليل" للمقريزي].

*قال"أحمد بن أبي الحوارى" :قلت "لأبي سليمان الداراني "رحمه الله: لم أوتر البارحة !! ولم اصل ركعتي الفجر!! ولم أصل الصبح في جماعة !! فقال لي: بما كسبت يداك!! والله ليس بظلام للعبيد ، شهوة(أي من الشهوات المحرمة) أصبتها !!" [نقلا عن كتاب"الحلية"لأبي نعيم (٢٥٥/٩)].

* قال"أبو سليمان الداراني" رحمه الله:" لا تفوت أحدا صلاة الجماعة إلا بذنب !!" [نقلا عن كتاب" مختصر قيام الليل" للمقريزي].

* أخي:لو علمت من عصيت !! لما نمت أو تسترضيه ، ولفررت بالنهار من معاصيه !!.

أخي: كم من معصية منعت قيام ليلة!! وكم من نظرة حرام منعت قراءة سورة!! وكم من كلمة حرام منعت لذة مناجاة !! وإن العبد ليأكل الأكلة، أو يفعل الفعلة المحرمة فيحرم بها قيام السنة كلها ، فرحم الله السلف الأبرار لما قلت ذنوبهم علموا من أين دخل الشيطان عليهم ؟!! ونحن لما كثرت ذنوبنا دخل الشيطان علينا من كل باب فلم ندر أي باب نغلق؟!! وأي ثغرة نسد؟!! .

*أخي: لما هانوا على الله ــ بانتهاكهم لمعاصيه وارتكابهم لمناهيه ــ حرمهم لذة مناجاته والوقوف بين يديه ، ولو عظموا وأكرموا أمر الله لأكرمهم الله، ولعزوا عليه ، ولعصمهم عن السيئات وأقامهم في جنح الظلام لمناجاته، لأنه لا يصلح لمناجاة الملوك والخلوة بهم إلامن صدق في ودادهم ومعاملتهم ، فأما من كان من أهل مخالفتهم فإنهم لا يرضونه لمناجاتهم وخدمتهم والوقوف بين أيديهم:

أردناكم صرفا فلما مزجتم .... بعدتم بقدر التفاتكم عنا

وقلنا لكم : لا تسكنوا القلب غيرنا .... فأسكنتم الأغيار !! ما انتم منا .

*ولله در من قال:

لله ساهــــر لــيــله ما يــهجــع ... وجــل الفــؤاد من الذنــوب مصدع
يبــكي بــدمــع ســاكــب هفواته ... واللــيل فــي جــلــبــابه متبرقــع
ندمــا على مــا كــان من عــصيانه ... مــلــكــا تــذل لــه الملــوك وتخضع
يا رب: ما للــذنــب غيــرك غافر ... وإليــك مــنــه يــا إلــهــي المفــزع
يا رب:عبدك ضــارع فاغــفــر له ... مــا لم يزل يــدعــوك فــيــه ويــضرع.

٢٢ الـــمحافظـــة على الأذكار الشرعية قبل الــنـــوم

ومما يعين على التحمس لقيام الليل ، أن يحافظ المرء قبل نومه علـــى الأذكار الشرعية الثابتة عن رسول الله ﷺ قبل النوم ، فإن هذه الأذكـــار والأدعيـــة الشرعية ، حصن حصين ودرع متين ، يقي بإذن الله من الشيطان ويعين على القيـــام، وإليك طائفة من أهم هذه الأذكار ، فاحرص عليها والهج بها دائما عند نومك:

*فعن"أبي هريرة" رضي الله عنه قال:قال رسول الله ﷺ:" إذا أوى أحدكم إلى فراشـــه فلينفضه بداخلة إزاره ، فإنه لا يدري ما خلفه عليه !!ثم ليضطجع على شقه الأيمـــن، ثم ليقل:باسمك ربي وضعت جنبي، وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي فارحمها، وإن أرســـلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين" [رواه البخاري ومسلم وأبو داود] .

* وعن"عائشة" رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلـــة: جمـــع كفيه ثم نفث فيهما يقرا فيهما:{قل هو الله أحد} و { قل أعوذ برب الفلق} و{ قـــل أعوذ برب الناس}، ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهـــه وما أقبل من جسده ، يفعل ذلك ثلاث مرات" [رواه البخاري ومسلم].

* وعن"أبي مسعود الأنصاري" رضي الله عنه أن النبيﷺ قال:"من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه(أي من كيد الشيطان) " [متفق عليه].

*وعن"أنس بن مالك" رضي الله عنه أن النبيﷺ كان إذا أوى إلى فراشه قال :"الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا، وكفانا وآوانا، فكم ممن لا كافي له ولا مؤوي له" [رواه مسلم والترمذي].

* وفي حديث"أبي هريرة" رضي الله عنه الطويل: أن الشيطان قال له:إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي{الله لا إله إلا هو الحي القيوم} حتى تختمها، فإنه لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح ، فذكر ذلك أبو هريرة للنبيﷺ فقال له: صدقك وهو كذوب" [متفق عليه].

* وعن"علي بن أبي طالب" رضي الله عنه أن النبيﷺ قال لابنته فاطمة رضي الله عنها لما جاءت إليه تطلب منه خادما، فقال لها ولعلي: الا أدلكما على خير لكما من خادم !! إذا أويتما إلى فراشكما فسبحا ثلاثا وثلاثين، واحمدا ثلاثا وثلاثين، وكبرا أربعا وثلاثين ، فإنه خير لكما من خادم " [متفق عليه].

* وعن"البراء بن عازب"رضي الله عنهما قال:قال الرسولﷺ:" إذا أتيت مضجعك ، فتوضأ وضوءك للصلاة ، ثم اضطجع على شقك الأيمن ثم قل:اللهم أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، والجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك ، آمنت بكتابك الذي أنزلت ،وبنبيك الذي أرسلت ، فإن مت مت على الفطرة، واجعلهن آخر ما تقول" [متفق عليه] .

* وعن"أنس بن مالك" رضي الله عنه أن النبيﷺ قال:"اقرأ {قل يا أيها الكافرون} عند منامك، فإنها براءة من الشرك" [رواه"البيهقي" في"شعب الإيمان"، والحديث صححه الألباني في" صحيح الجامع" برقم (١١٧٢)].

* وعن"حفصة" رضي الله عنها أن النبيﷺ كان إذا أخذ مضجعه جعل يده اليمنى تحت خده الأيمن وقال: رب قني عذابك يوم تبعث عبادك" [رواه أبو داود والنسائي،وصححه الألباني في"صحيح الجامع" برقم (٤٥٣٢)].

* أخي:"لله در قوم أقلقهم الخوف والفرق ، أطافت بقلوبهم الحرق (أي الحسرة والندم على التقصير في جنب الله) ، يا نورهم إذا جن الغسق (أي إذا أقبل الليل وقاموا للمناجاة) ، يا حسن دمعهم محدقا (أي محيطا) بالحدق (أي العيون) ، كتبت عذرها في الخد (أي بالدموع) لا في الورق ، دأبت أجسامهم فلم يبق إلا رمق!!" [نقلا عن كتاب"المدهش" لابن الجوزي].

٢٣ معرفة الثواب العظيم الذي أعده الله لأهل القيام

ومما يزيدك تحمسا لقيام الليل ، أن تتعرف على شيء من الثواب العظيم ، والأجر الجزيل الذي أعده اللطيف الخبير ، لمن يقوم في ظلام الليل لمناجاته ، وتلاوة كلامه ودعائه والبكاء بين يديه .

- قال الله تعالى مبينا ثواب من يقوم الليل:{ تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون۞فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون } [سورة السجدة الآيتان (١٦ ــ ١٧)] .

* قال"ابن سيرين"رحمه الله:" المراد به النظر إلى الله تعالى، وقال الحسن البصري:" أخفى القوم أعمالا فأخفى الله تعالى لهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وقال محمد بن كعب القرظي:"أخفوا لله عملا وأخفى لهم ثوابا ، فلو كانوا قدموا عليه قد قرت تلك الأعين" [نقلا عن"تفسير القرطبي (١٤/٧٠)].

* وعن"أبي هريرة" رضي الله عنه أن النبيﷺ قال:" قال الله عز وجل: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ثم قرأ هذه الآية:{تتجافى جنوبهم عن المضاجع....} إلى قوله{ جزاء بما كانوا يعملون} " [رواه

البخاري ومسلم].

* قال"ابن عباس" رضي الله عنهما:"الأمر في هذا أجل وأعظم من أن يعرف تفسيره " [نقلا عن "تفسير القرطبي" (١٤/٧٠)].

* قال"ابن القيم" رحمه الله:"تأمل كيف قابل ما أخفوه من قيام الليل بالجزاء الذي أخفاه لهم مما لا تعلمه نفس ، وكيف قابل قلقهم وخوفهم واضطرابهم على مضاجعهم حين يقومون إلى صلاة الليل بقرة الأعين في الجنة " [نقلا عن كتاب"حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح" لابن القيم].

* قال الأستاذ سيد قطب تعليقا على قوله تعالى:{ فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين} :" تعبير عجيب يشي بحفاوة الله سبحانه بالقوم ، وتوليه بذاته العلية إعداد المذخور الذي لا يطلع عليه أحد سواه ، والذي يظل عنده خاصة مستورا ، حتى يكشف لأصحابه عنه يوم لقائه عند لقياه ، وإنها لصورة وضيئة لهذا اللقاء الحبيب الكريم في حضرة الله" [نقلا عن كتاب" في ظلال القرآن"لسيد قطب (٥/٢٨١٣)].

* وعن"أبي مالك الأشعري"رضي الله عنه قال: قال الرسولﷺ: "إن في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها ، وباطنها من ظاهرها ، أعدها الله لمن أطعم الطعام وأفشى السلام ، وصلى بالليل والناس نيام" [رواه ابن حبان" في صحيحه، وصححه الألباني في" صحيح الجامع برقم(٢١٢٣)].

- ومن الثواب العظيم الذي أعده الله لأهل الليل، التنعم برؤية وجهه جل جلاله في الآخرة ، وهذه هي أعظم اللذات على الإطلاق:

* قال الله تعالى: {تحيتهم يوم يلقونه سلام} [سورة الأحزاب الآية(٤٤)]،

*وقال تعالى: {وجوه يومئذ ناضرة❋ إلى ربها ناظرة } [سورة القيامة الآيتان (٢٢،٢٣)]،

* قال"ابن القيم"رحمه الله عن رؤية المؤمنين لربهم في جنات النعيم:"وهذا أشرف الأبواب وأجلها قدرا ، وأعلاها خطرا ، وأقره لعيون أهل السنة والجماعة ،وأشدها على أهل البدعة والضلالة ، وهي الغاية التي شمر إليها المشمرون ، وتنافس فيها

المتنافسون ، وتسابق إليها المتسابقون ، ولمثلها فليعمل العاملون ، إذا ناله (أي النظر إلى وجه الرب تعالى) **أهل الجنة نسوا ما هم فيه من النعيم ، والحرمان والحجاب عنه لأهل الجحيم أشد عليهم من عذاب الجحيم ، اتفق عليها** (أي على ثبوت الرؤية) **الأنبياء والمرسلون وجميع الصحابة والتابعون ، وأئمة الإسلام على تتابع القرون،..**" [نقلا عن كتاب"حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح" لابن القيم].

***قال"الحسن البصري"رحمه الله:" لوعلم العابدون أنهم لا يرون ربهم في الجنة لذابت نفوسهم في الدنيا** (أي من الهم والحزن والأسف) ".

*** ولله در من قال عن المتهجدين:**

يتلذذون بذكره في ليلهم ... ويكابدون لدى النهار صياما

فسيغنمون عرائسا بعرائس ... ويبوأون من الجنان خياما

وتقر أعينهم بما أخفى لهم ... وسيسمعون من الجليل سلاما

[نقلا عن كتاب"عقود اللؤلؤ والمرجان"لإبراهيم بن عبيد].

*** أخي:تلمح القوم الوجود ، ففهموا المقصود ، فجمعوا الرحل قبل الرحيل ، وشمروا في سواء السبيل ، سيماهم في وجوههم !! ما ضرهم ما غرهم !! أعقبهم ما سرهم !! هان عليهم طول الطريق لعلمهم شرف المقصود ، وحلت لهم مرارات البلى حبا لتعجيل السلامة ، فيا بشراهم يوم: { هذا يومكم الذي كنتم توعدون}** " [نقلا عن كتاب"اللطف في الوعظ" لابن الجوزي].

٢٤ معرفة أن الرسول ﷺ كان لا يترك القيام حتى في السفر

ومزية أخرى تزيدك حرصا على قيام الليل ، وتحمسا له ، ألا وهي أن تعلم أن الحبيب عليه الصلاة والسلام كان يواظب على قيام الليل ولا يتركه حتى وهو في حال السفر ، ومعلوم أن السفر قطعة من العذاب ، ومبني على المشقة والتعب

والنصب ، فما بالنا نحن نتكاسل عن القيام ؟!!ونحن نتقلب في أعطاف النعيم !! .

*عن"ابن عمر" رضي الله عنهما قال:"كان النبيﷺ يصلي في السفر على راحلتـــه ــ حيث توجهت به يؤميء إيماء ــ صلاة الليل إلا الفرائض ، ويوتر على راحلته " [متفـــق عليه].

*وعن"عامر بن ربيعة " رضي الله عنه أنه رأى النبيﷺ صلى السبحة (أي النافلة) بـــالليل في السفر على ظهر راحلته حيث توجهت به " [متفق عليه].

*وعن"حميد بن عبد الرحمن"قال:إن رجلا من أصحاب رسول اللهﷺقال: قلت وأنا في سفر مع رسول اللهﷺ :والله لأرقبن رسول اللهﷺ للصلاة حتى أرى فعله ، فلمـــا صلى صلاة العشاء وهي العتمة اضطجع هويا من الليل (أي فترة من الليل)، ثم استيقظ فنظر في الأفق فقال:{ ربنا ما خلقت هذا باطلا} حتى بلغ:{ إنك لا تخلف الميعـــاد}[الآيـات (١٩١ ــ ١٩٤) من سورة آل عمران)] ، ثم أهوى رسول اللهﷺ إلى فراشه فاستل منه سواكا ثم أفرغ في قدح من إداوة عنده ماء فاستن ، ثم قام فصلى حتى قلت: قد صلى قدر ما نـلم ، ثم اضطجع حتى قلت: قد نام قدر ما صلى ، ثم استيقظ ففعل كما فعل أول مـــرة ، وقال مثل ما قال ، ففعل رسول اللهﷺ ذلك (أي هذا القيام) ثلاث مرات قبل الفجـــر!!" [رواه النسائي ، وقال الألباني:إسناده صحيح على شرط مسلم].

* أخي:"يا نائما طوال الليل قد سارت الرفقة ، طلعت شمس التشيب وما انتبهت مـــن الرقدة !! لو قمت في وقت السحر ، رأيت طريق العباد قد غص وامتلأ بالزحام!!.

- إخواني :" ألا رب فرح بما يؤتى قد خرج اسمه مع الموتى ،ألا رب غافل عن تدبير أمره قـــد انفصمت عرى عمره ، ألا رب معرض عن سبيل رشده قد آن أوان شق لحده ،ألا رب رافـــل في ثوب شبابه قد أزف فراقه لأحبابه ،ألا رب مقيم على جهله قد قرب رحيله عن أهلـــه ، ألا رب مشغول بجمع ماله قد حانت خيبة آماله ، ألا رب ساع في جمع حطامه قد دنا تشتيت عظامه ،

ألارب مجد في تحصيل لذاته قد آن خراب ذاته" [نقلا عن كتاب"التبصرة" لابن الجوزي (٢/٦٦)].

٢٥ معرفة مدى اجتهاد نساء السلف في القيام

لقد سطر لنا نساء السلف الكرام صورا مشرقة ، ونماذج متألقة ، من الاجتهاد في قيام الليل لمناجاة الرحمن ، والتشمير عن ساعد الجد في طاعة اللطيف المنان ، فأين نساء هذه الأيام ، عن تلك المفاخر العظام ؟!! وما الذي شغلهن عن سيرة سمية وعائشة وأم حرام ؟!!.

كرر حديثهم يا حادي ...... فحديثهم يجلو الفؤاد الصادي

- أما زوجات الرسولﷺ فقد كان النبي عليه الصلاة والسلام يوقظهن لقيام الليل ، وإليك نماذج مختصرة من قيامهن رضي الله عنهن:

* عن عروة بن الزبير رحمه الله،قال:أتيت عائشة رضي الله عنها يوما لأسلم عليها ، فوجدهًا تصلي وتقرأ قوله تعالى: { فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم} [سورة الطور الآية (٢٧)] ، ترددها وتبكي ، فانتظرتها فلما مللت من الانتظار ذهبت إلى السوق لحاجتي ، ثم رجعت إلى "عائشة" فإذا هي على حالتها الأولى تردد هذه الآية في صلاتها وتبكي !!"
[نقلا عن كتاب"صفة الصفوة" لابن الجوزي (٢/٢٣)] .

* وعن"أنس" رضي الله عنه قال: قال الرسولﷺ : قال لي جبريلﷺ: راجع حفصة فإنها صوامة قوامة " [رواه الحاكم في"المستدرك"وحسنه"الألباني " في"صحيح الجامع" برقم (٤٢٢٧)].

* ودخل النبيﷺ ذات مرة المسجد ، فرأى حبلا ممدودا بين الساريتين ، فقال: ما هذا الحبل ؟!! فقالوا:لزينب بنت جحش رضي الله عنها ، فإذا فترت (أي في صلاتها) تعلقت به !! فقال عليه الصلاة والسلام:"لا !! حلوه (أي أزيلوه)، ليصل أحدكم نشاطه فإذا فتر فليقعد " [رواه البخاري في صحيحه].

• وأما نساء التابعين ومن بعدهم، فقد ضربن لنا أروع الأمثلة في الاجتهاد في القيام ، والجدية في عبادة اللطيف العلام :

* هذه"معاذة العدوية" رحمها الله، تلميذة"عائشة" رضي الله عنها ، قامت ليلة زفافها هي وزوجها"صلة بن أشيم العدوي"رحمه الله،يصليان لله إلى الفجر!! ولما قتل زوجها وابنها في أرض الجهاد ، كنيت تحيي الليل كله صلاة وعبادة وتضرعا ، وتنام بالنهار ، وكانت إذا نعست في صلاتها بالليل ، قالت لنفسها: يا نفس النوم أمامك !! " [راجع كتاب" صفة الصفوة" لابن الجوزي (٤/٢٢)].

*وأما الأمة الصالحة" حفصة بنت سيرين" رحمها الله فقد كانت :" تسرج سراجها من الليل ،ثم تقوم في مصلاها فربما طفيء السراج فيضيء لها البيت حتى تصبح !! ومكثت ومكثت في مصلاها ثلاثين سنة !! لا تخرج منه إلا لحاجة (أي لقضاء الحاجة) أو قائلة (أي لنوم القيلولة) ، وكانت تدخل مسجدها(أي مصلى بيتها) فتصلي فيه الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح، ولا تزال في مسجدها إلى أن يرتفع النهار فتركع ركعات ، ثم تذهب لتنام وتستريح" [نقلا عن كتاب"صفة الصفوة" لابن الجوزي (٤/٢٤)].

* وكانت"حفصة بنت سيرين" رحمها الله تقرأ نصف القرآن في كل ليلة ، وكانت تصوم الدهر وتفطر أيام العيدين والتشريق " [نقلا عن نفس المصدر السابق].

* وأما الأمة الصالحة" هجيمة الأوصابية زوجة أبي الدرداء" رحمها الله ، فقد كانت تقوم الليل ويأتيها نساء متعبدات فيقمن الليل كله معها ، حتى إن أقدامهن قد انتفخت من طول القيام " [راجع كتاب" صفة الصفوة" لابن الجوزي (٤/٢٩٦)].

* كانت الأمة الصالحة"حبيبة العدوية" رحمها الله إذا صلت العشاء ، قامت على سطح دارها وقد شدت عليها درعها وخمارها ، ثم تقول: إلهي: غارت النجوم ، ونامت العيون ، وغلقت الملوك أبو ابها ، وبابك مفتوح ، وخلا كل حبيب بحبيبه ، وهذا مقامي بين يديك !!" ثم تقبل على صلاتها ومناجاتها لربها إلى السحر ، فإذا جاء السحر قالت:اللهم هذا الليل قد أدبر !! وهذا النهار قد أسفر !! فليت شعري هل قبلتَ مني ليلتي فأُهنَّى

؟!! أم رددها علي فأعزى ؟!! فوعزتك لهذا دأبي ودأبك أبدا ما أبقيتني!! وعزتك لو انتهرتني ما برحت عن بابك ،ولا وقع في قلبي غير جودك وكرمك !! وكانت تقول: اللهم اغفر لي سوء أدبي في صلاتي !!" [نقلا عن كتاب" صفةالصفوة" لابن الجوزي (٣٢/٤)].

* كانت الأمة الصالحة"رابعة العدوية" رحمها الله تصلي الليل كله ، فإذا طلع الفجر هجعت في مصلاها هجعة خفيفة حتى يسفر الفجر ، ثم تثب من هجعتها وهي تقول: يا نفس كم تنامين ؟!! وإلى كم تقومين ؟!! يوشك أن تنامي نومة لا تقومين منها إلا إلى صرخة يوم النشور ، وكان هذا دأبها إلى أن ماتت" [نقلا عن كتاب" صفة الصفوة " لابن الجوزي (٢٩/٤)].

* كانت الأمة الصالحة"بنت أم حسان الأسدية"رحمها الله إذا جن عليها الليل دخلت محرابا لها وأغلقت عليها بابها ، ثم قامت تصلي لربها وتناجيه وتقول:إلهي: خلا كل حبيب بمحبوبه، وأنا خالية بك يا محبوب !!...، وكان في جبهتها مثل ركبة العنز من طول السجود !!" [راجع كتاب"حلية الأولياء" لأبي نعيم (٩/٧)].

*وأما الأمة الصالحة"عجردة العمية"رحمها الله ، فقد كانت إذا جاء الليل تلبس ثيابها وتتقنع ثم تقوم إلى محرابها ، فلا تزال تصلي لربها وتتلو كلامه إلى السحر ، فإذا جاء السحر جلست فأخذت في الدعاء والمناجاة حتى يطلع الفجر ، ومما كانت تقوله في مناجاتها لربها:"إليك قطع العابدون دجى الليالي بتبكير الدلج إلى ظلم الأسحار، يستبقون رحمتك وفضل مغفرتك ، فبك إلهي لا بغيرك أسألك أن تجعلني في أول زمرة السابقين إليك !! وأن ترفعني إليك في درجة المقربين ، وأن تلحقني بعبادك الصالحين ، فأنت أكرم الكرماء وأرحم الرحماء ، وأعظم العظماء يا كريم" [راجع كتاب"صفة الصفوة" لابن الجوزي (٣١/٤)].

* وأما الأمة الصالحة "عفيرة العابدة" رحمها الله، فقد كانت تحيي الليل كله صلاة ومناجاة لربها !! فقيل لها: إنك تقومين الليل كله فلو نمت منه شيئا يسيرا ؟!! فبكت ثم قالت: ربما اشتهيت أن أنام فلا أقدر عليه!! وكيف ينام أو يقدر على النوم من لا ينام

عنه حافظاه ليلا ولا نهارا !!وكانت رحمها الله لا تمل من البكاء من خشية الله فقيل لها: أما تسأمين من كثرة البكاء ؟!! فقالت: كيف يسأم إنسان من دوائه وشفائه !! وكانت رحمها الله تقول في مناجاتها لربها:" عصيتك بكل جارحة مني على حدتها، والله لئن أعنت لأطيعنك ما استطعت بكل جارحة عصيتك بها" [نقلا عن كتاب"صفة الصفوة" لابن الجوزي (٣٤/٤)].

* وأما الأمة الصالحة" عمرة" امرأة حبيب العجمي" عليهما رحمة الله:"فقد قامت ذات ليلة تصلي من الليل ، وزوجها نائم فلما دنا السحر ولم يزل زوجها نائما ، أيقظته وقالت له: قم يا سيدي ، فقد ذهب الليل وجاء النهار ، وبين يديك طريق بعيد وزاد قليل ، وقوافل الصالحين قد سارت قدامنا ، ونحن قد بقينا !!" [نقلا عن كتاب"صفة الصفوة " لابن الجوزي (٣٥/٤)].

*وأما "جارية خالد الوراق" رحمها الله فقد كانت ذات همة علية يعجز عن الوصول إليها أكثر الرجال، فاسمع إلى سيدها"خالد الوراق" وهو يقول:"كانت لي جارية شديدة الاجتهاد ، فدخلت عليها يوما فأخبرتها برفق الله وقبوله يسير العمل ، فبكت ثم قالت:يا خالد إني لأؤمل من الله تعالى أمالا لو حملتها الجبال لأشفقت من حملها كما ضعفت عن حمل الأمانة !! وإني لأعلم أن في كرم الله مستغاثا لكل مذنب ، ولكن كيف لي بحسرة السباق؟!!فقلت: وما حسرة السباق ؟!! فقالت: غداة الحشر إذا بعثر ما في القبور ، وركب الأبرار نجائب الأعمال ، فاستبقوا إلى الصراط، وعزة سيدي لا يسبق مقصر مجتهدا أبدا، ولو حبا المسجد حبوا ، أم كيف لي بموت الحزن والكمد إذا رأيت القوم يتراكضون وقد رفعت أعلام المحسنين، وجاز الصراط المشتاقون ، ووصل إلى الله المحبون ، وخلفت مع المسيئين المذنبين؟!! ثم بكت وانتحبت!!" [نقلا عن كتاب" صفة الصفوة" لابن الجوزي (٤٦/٤)].

* وأما الأمة الصالحة "شعوانة" رحمها الله، فقد كانت تحيي الليل بالصلاة والمناجاة والبكاء من خشية الله ، وكانت تكثر من البكاء حتى خافوا عليها أن تعمى من كثرة بكائها فعاتبوها على ذلك، فقالت لهم:أعمى في الدنيا من البكاء (أي من خشية الله) والله

أحب إلي من أن أعمى في الآخرة من النار !! وكانت تقول: من استطاع منكم أن يبكي وإلا فليرحم الباكي، فإن الباكي إنما يبكي لمعرفته بما أتى إلى نفسه!! (أي من الذنوب والتقصير)" [نقلا عن كتاب" صفة الصفوة" لابن الجوزي (٤/٥٥)].

* وأما الأمة الصالحة"منيفة بنت أبي طارق" رحمها الله ، فقد كانت إذا هجم عليها الليل قالت: بخ بخ !! يا نفس قد جاء سرور المؤمن !! ثم تقوم في محرابها تصلي كالجذع حتى يطلع الصباح!! وقامت ذات ليلة بآية واحدة ترددها وتبكي حتى أصبحت وهي قوله تعالى:{وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم}[سورة آل عمران الآية(١٠١)] " [نقلا عن كتاب"صفة الصفوة" لابن الجوزي (٤/٧٣)].

* وكانت الأمة الصالحة"بردة الصريمية" رحمها الله تقوم الليل، فإذا سكنت الحركات وهدأت العيون نادت بصوت لها حزين: هدأت العيون، وغارت النجوم، وخلا كل حبيب بحبيبه ، وقد خلوت بك يا محبوبي، أفتراك تعذبني وحبك في قلبي ؟!! لا تفعل يا حبيباه !! "[نقلا عن كتاب" صفة الصفوة" لابن الجوزي (٤/٣٦)].

* وكانت رحمها الله تكثر البكاء حتى يرحمها من رآها، ولقد بكت حتى ذهب بصرها فلاموها على ذلك فقالت: لو رأيتم بكاء العصاة يوم القيامة لقلتم إن هذا البكاء كاللعب !! وكانت تقول:إن أكن من أهل الجنة فسيبدلني الله بصرا خيرا من بصري ، وإن أكن من أهل النار فأبعد الله بصري !! " [نقلا عن كتاب" تنبيه المغترين" للشعراني].

* وأما الأمة الصالحة"زجلة" رحمها لله، فقد كانت على قدر كبير من الاجتهاد في العبادة والطاعة، فكلمها بعضهم أن ترفق بنفسها !! فقالت لهم: ما لي وللرفق بها ؟!! فإنما هي أيام مبادرة!! فمن فاته اليوم شيء لم يدركه غدا، والله يا إخوتاه لأصلين ما أقلتني جوارحي ولأصومن له أيام حياتي ، ولأبكين له ما حمل الماء عيني !! ثم قالت: أيكم يأمر عبده بأمر فيحب أن يقصر فيه ؟!!" [نقلا عن كتاب" صفة الصفوة"لابن الجوزي (٤/٤٠)].

- وأما الأمة الصالحة "هنيدة" رحمها الله فقد كانت إذا مضى ثلث الليل أو نصفه ،

أيقظت زوجها وأولادها ومواليها لقيام الليل وتقول لهم: قوموا فتوضـــأوا وصلــوا فستغتبطون (أي ستفرحون) بكلامي هذا !! فكان هذا دأبها حتى ماتت ، فلما مـــاتت رأى زوجها في المنام قائلا يقول له:إن كنت تحب أن تتزوجها هناك (أي في الجنة) فاخلفـــها في أهلها بمثل فعلها !! فكان زوجها يفعل مثلما كانت تفعل في الليل ، وظل على هذا حتى وافاه الأجل ومات ، فرأى الابن الأكبر قائلا يقول له في المنام:إن كنت تحب أن تلحــق بدرجة أبو يك في الجنة فاخلفهما في أهلهما بمثل عملهما !! فكان الابن الأكبر يصنــــع كصنيع أمه وأبيه بالليل!! ولم يزل كذلك حتى مات !! فكان الناس يسمون أهل تلـــك الدار"القوامين" !!" [نقلا عن كتاب"صفة الصفوة" لابن الجوزي (٣٩١/٤)].

*وأما الأمة الصالحة"غنضكة" رحمها الله ، فقد كانت تصلي عامة الليل ، ثم تقول: أعوذ بالله من ملائكة شداد غلاظ لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، فإذا قضــت صلاتها قالت:هذا الجهد مني وعليك التكلان !!" [نقلا عن نفس المصدر السابق (٤٣/٤)].

*وأما امرأة"أبي عمران الجوني" رحمها الله، فـــقـــد كانت تقوم تصلي من الليل حتى أنها تعصب ساقيها بالـــخرق من طول القيام ، فكان"أبو عمران" يقول لها:دون هذا يـــا هذه !! (أي خففي على نفسك وارفقي بها) فكانت تقول له: هذا عند طول القيـــام في الموقـــف قليل!! فكان "أبو عمران يسكت عنها" [نقلا عن كتاب" صفة الصفوة" لابن الجوزي (٤٣/٤)].

* وأما الأمة الصالحة"لبابة "رحمها الله،فقد كانت شديدة الاجتهاد في العبادة والصـــلاة والقيام والمناجاة ، حتى أنها كانت تقول:ما زلت مجتهدة في العبادة حتى صرت أستـروح بها (أي ارتاح بها من كل هم وغم) ، وإذا تعبت من لقاء الخلق آنسني بذكـــره ، وإذا أعيـــاني الخلق روحني التفرغ لعبادة الله عز وجل والقيام إلى خدمته !! " [نقلا عن كتاب" صفة الصفوة" لابن الجوزي (٢٥١/٤)].

* وكانت الأمة الصالحة"منيرة السدوسية"رحمها الله إذا جاء الليل تقول:قد جاء الهول!! قد جاءت الظلمة !! قد جاء الخوف !! ما أشبه هذا بيوم القيامة !! ثم تقوم إلى محرابهـــا فلا تزال تصلي حتى يطلع الصباح !!" [نقلا عن كتاب" صفة الصفوة" لابن الجوزي (٣٨٨/٤)].

* وأما الأمة الصالحة "ذؤابة" رحمها الله، فاسمع إلى زوجها"رياح"وهو يصف صلاتها بالليل فيقول:" تزوجت"ذؤابة" فكانت إذا صلت عشاء الاخرة تطيبت وتدخنت ولبست ثيابها ، ثم تأتيني فتقول لي: ألك حاجة ؟!! فإن قلت: نعم ،كانت معي ، وإن قلت :لا ، قامت فنزعت ثيابها (أي التي تتزين بها لزوجها) ثم صفت قدميها تصلي لربها حتى يطلع الصباح " [راجع كتاب" صفة الصفوة" لابن الجوزي (٤٣/٤)].

* وأما "عابدة بني عبد القيس" رحمها الله، فقد كانت إذا جن عليها الليل تحزمت ثم قامت في محرابها وتقول: المحب لا يسأم من خدمة حبيبه، وكانت تقول: عاملوا الله على قدر نعمه عليكم وإحسانه إليكم ، فإن لم تطيقوا فعلى قدر ستره ، فإن لم تطيقوا فعلى الحياء منه ، فإن لم تطيقوا فعلى الرجاء لثوابه ، فإن لم تطيقوا فعلى خوف عقابه " [نقلا عن كتاب" صفة الصفوة" لابن الجوزي(٣٩١/٤)].

*وأما الأمة الصالحة" فخرية بنت عثمان البصرية" رحمها الله، فقد كان حالها مع قيام الليل عجبا !! فقد كانت تقوم الليل كله عند باب المسجد الأقصى !! تصلي حتى يفتح الباب فتكون أول داخل للمسجد وآخر خارج منه !! وقد ظلت على هذه الحالة أربعين سنة !! وكانت رحمها الله من أسرة ذات غنى وثراء واسع ، ولكنها لم تتعلق بهذاالمتاع الزائل ، بل أعرضت عنه وتركته وقنعت من العيش برغيف وقدح ماء فذلك قوتها في كل يوم ، واشتغلت بملازمة الصيام والقيام" [راجع كتاب"عودة الحجاب" لمحمد إسماعيل (٣٠٤/٢)].

* وأما الأمة الصالحة"عبدة البصرية" رحمها الله فقد كانت تواظب على القيام والتلاوة والبكاء والمناجاة ، وقدر الله أن تعمى ، فسمعت ذات مرة قائلا يقول: ما أشد العمى على من كان بصيرا !! فقالت: يا عبدالله : عمى القلب عن الله أشد من عمى العين!! وددت أن الله وهب لي كنه محبته ، وأن لم يبق مني جارحة إلا أخذها" [نقلا عن نفس المصدر السابق (٣٠٣/٢)].

وبعد : فيا أيها الحبيب ، ويا أيتها الغالية: هذا شيء من سير الصالحات ، وطرف من أخبار القانتات العابدات ، وقطوف وشذرات من أحوال

الخاشعات المخبتات ، فأين نحن من هؤلاء العابدات؟!! اللهم إني لست بأهل أن أكتب عن هذه القمم ، وأن أحكي عن تلك الهمم ، فغفرانك!! ولكنه حب القوم والشوق إلى سماع أخبارهم !! والأنس بذكر كلامهم وأحوالهم !!.

*وما أجمل ما قاله الشاعر:

فلو كان النساء كمن ذكرنا ... لفضلت النساء على الرجال

فما التأنيث لاسم الشمس عيب ... ولا التذكير فخر للهلال.

٢٦ إدراك مدى قلة وغربة من يقوم الليل

تعيش شعيرة"قيام الليل" في هذه الأيام غربة مريرة بين المسلمين ، فنحن في زمن عز فيه من يهتم بهذه الشعيرة ، وقل فيه من يحيها في نفسه وأهله وجيرانه، حتى كادت هذه الشعيرة أن تنسى وتنطمس وتندثر ، على عكس بيوت السلف الكرام فقد كان القيام عنوانا لها وشعارا ، بل لقد كان لبيوتهم دوي بالقرآن والتسبيح والاستغفار كدوي النحل !! فشتان ما بين السلف والخلف !!.

* عن"أبي مسلم" قال: قلت لأبي ذر" رضي الله عنه: أي قيام الليل أفضل؟! فقال: سالت رسول الله ﷺ كما سألتني فقال:**جوف الليل** (أي ثلثه) **الغابر** (أي الباقي، والمراد الثلث الأخير من الليل ، وهو الجزء الخامس من أسداس الليل) **أو نصف الليل، وقليل فاعله !!** (أي قليل من يصلي لله في تلك الساعة) " [رواه أحمد في" المسند" ، وقال" الساعاتي" في" الفتح الرباني على مسند أحمد الشيباني"(٤/٢٣٥):" إسناده جيد].

• ولقد كان سلفنا الأبرار يبينون لنا مدى غربة هذه الشعيرة عند المتأخرين ، ليكون ذلك حافزا لنا على المحافظة عليها والاجتهاد في تحصيلها ونيلها:

* صلى"علي بن أبي طالب"رضي الله عنه يوما صلاة الفجر بالكوفة وهو خليفة آنذاك، فلما سلم من صلاته انفتل عن يمينه ، ثم مكث كأن عليه كآبة ، حتى إذا كانت الشمس على حائط المسجد قيد رمح ، قلب يده وقال: لقد رأيت أثرا من أصحاب رسول

الله ﷺ، فما أرى أحدا يشبههم !! والله إن كانوا ليصبحون شعثا غبرا صفرا ، بين أعينهم أمثال ركب المعزى ، قد باتوا يتلون كتاب الله، يراوحون بين أقدامهم وجباههم، إذا ذكروا الله مادوا كما تميد الشجر في يوم الريح ، فانهملت أعينهم حتى تبل والله ثيابهم ، والله لكأن القوم باتوا غافلين!! (أي لكأن من حوله ومعه ناموا الليل كله و لم يصلوا فيه لله) " [ذكره " أبو نعيم " في الحلية"، جـ ١].

*قال"ابن عمر" رضي الله عنهما:"أول ما ينقص من العبادة :التهجد بالليل ، ورفع الصوت فيها بالقراءة" [نقلا عن كتاب" خلق أفعال العباد" للبخاري].

*قال"أبو الأحوص" رحمه الله:" إن كان الرجل (أي على عهد التابعين) ليطرق الفسطاط طروقا(أي يقدم على أهل الحي ليلا)، فيسمع لأهله دويا كدوي النحل (أي بسبب صلاتهم وتهجدهم بالليل)، ما بال هؤلاء (أي الناس الذين في زمنه والذين كانوا لا يقومون الليل) يأمنون ما كان أولئك يخافون ؟!! (أي ما بالهم قد أعرضوا عن قيام الليل) " [نقلا عن كتاب"الزهد" للإمام أحمد].

* إلهي:"ما أكثر المعرض عنك والمعترض عليك!! وما أقل المتعرضين لك !! يا روح القلوب أين طلابك ؟!! يا نور السموات أين أحبابك ؟!!يا رب الأرباب أين عبادك؟!! يا مسبب الأسباب أين قصادك؟!!.

من الذي عاملك بلبه فلم يربح ؟!! ومن الذي جاءك بكربه فلم يفرح ؟!! أي صدر صدر عن بابك ولم يشرح ؟!! ومن ذا الذي لاذ بحبلك فاشتهى أن يبرح ؟!!

يا معرضا عنه (أي عن ربك ومناجاته) إلى من أعرضت؟!! ..، يا مشغولا بغيره بمن تعوضت؟!!

مت على من غبت عنه أسفا .... لست عنه بمصيب خلفا

لن ترى قرة عين أبدا .... أو ترى نحوهم منصرفا

[نقلا عن كتاب"رهبان الليل" للعفاني (١/٦٢٤)].

● قال"أبو حازم" رحمه الله:"لقد كنت ترى حامل القرآن في خمسين رجلا فتعرفه !! قد

مصعه القرآن (أي قد أثر في حاله) ، **وأدركت القرآء الذين هم القرآء** (أي هم القرآء الصادقون)، **أما اليوم فليسوا بقرآء ولكنهم خراء !!"** [نقلا عن كتاب"حلية الأولياء" لأبي نعيم (٣/٢١٥)] ، **فليت شعري لو أدرك "أبو حازم" زماننا هذ ما عساه ان يقول؟!!.**

* **إخواني: مضى والله أهل المعاني وتخلف أرباب الدعاوي !! كم الفرق بين الأدعياء والأحباب؟!! وكم بين القشور واللباب؟!! ذهب الناس وبقي النسناس، ومضى الإخوان وبقي الخوان!! .**

* **قال"الفضيل بن عياض" رحمه الله:"أدركت أقواما يستحيون من الله في سواد هذا الليل من طول الهجعة !! إنما هو على الجنب، فإذا تحرك** (أي أفاق من نومه) **قال:ليس هذا لك!! قومي خذي حظك من الآخرة !!"** [نقلا عن كتاب"حلية الأولياء" لأبي نعيم (٨/١٠١)].

***إخواني:أين رجال الليل ؟!! أين امثال ابن أدهم والفضيل ؟!! لئن طواهم الفناء ، لقد نشرهم الثناء !! أين الأرض من صهوة السماء ؟!! لا أنت والله منهم ولا تدري من هم؟!! ذهب الأبطال وبقي كل بطال !! رحل أصحاب الهمم !! وبقي أشباه الجيف والرمم !!.**

* **قال"عاصم":"أدركت أقواما كانوا يتخذون هذا الليل جملا** (أي وسيلة يتقربون بها إلىالله بالقيام فيه) **"** [نقلا عن كتاب"حلية الأولياء" لأبي نعيم (٤/١٨٤)].

* **قال"أبو حازم الأعرج"رحمه الله:" يا لهفتا على زمان يلتمس فيه الصالحون فلا يوجد منهم أحد، إلا كالسنبلة إثر الحاصد !!"** [نقلا عن كتاب" رهبان الليل" للعفاني"ج١].

* **أخي: نحن في زمن غربة !! قال"ابن القيم" عنه:"اقشعرت الأرض، وأظلمت السماء وظهر الفساد في البر والبحر من ظلم الفجرة** (أي ظلمهم لأنفسهم بالذنوب وظلمهم للناس) **، وذهبت البركات وقلت الخيرات ، وهزلت الوحوش وتكدرت الحياة من فسق الظلمة، وبكى ضوء النهار وظلمة الليل من الأعمال الخبيثة** (أي الذنوب والمعاصي) **، والأفعال الفظيعة ، وشكا الكرام الكاتبون والمعقبات إلى ربهم من كثرة الفواحش**

وغلبة المنكرات والقبائح ، وهذا والله منذر بسيل عذاب قد انعقد غمامه ، ومؤذن بليل قد ادلهم ظلامه ، فاعزلوا عن طريق هذا السبيل بتوبة نصوح ما دامت التوبة ممكنة ، وبابها مفتوح ، وكأنكم بالباب (أي باب التوبة) وقد أغلق ، وبالرهن وقد غلق (المراد نزول الموت بالعبد وانقطاع أوان التوبة) ،وبالجناح وقد علق ،{وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون} [سورة الشعراء الآية (٢٢٧)] " [نقلا عن كتاب"الفوائد" لابن القيم] .

* عن"الحسن بن صالح بن حيي" رحمه الله أنه باع جارية له، فلما صارت عند الذي اشتراها، قامت في جوف الليل لتصلي فأيقظت أهل الدار لقيام الليل وقالت لهم:الصلاة الصلاة !! فقالوا لها: أو قد طلع الفجر؟!! قالت: لا!! وليس تصلون إلا المكتوبة ؟!! قالوا: نعم !! ليس نصلي إلا المكتوبة!! فرجعت إلى الحسن وقالت له: يا سيدي قد بعتني إلى قوم سوء !! ليسوا يصلون بالليل!! فردني إليك فردها إليه!! " [نقلا عن كتاب" الثقات" للعجلي].

*فيا " من أراد النجاة يوم الحساب، تدبر ما حواه هذا الكتاب، وألزم ساقيك المحراب، فإنه للإستقامة باب، وأحي هذه السنة (أي قيام الليل) في نفسك ، ثم ذكر بها من ينتفع بنصحك ، لعلك تجلو بهذا العمل سناها ، وتعد يوم القيامة فيمن أحياها "[نقلا عن كتاب" رهبان الليل" للعفاني " (١/٧)].

* إخواني: نادوا وصيحوا: يا سوق الأكل :أين أرباب الصوم ؟!! يا فرش النوم :أين رعاة النجوم ؟!! يا ليل الغافلين: أين حراس الظلام ؟!! يا قلوب العاشقين:: أين أحباب الملك العلام !! يا دنيا يا دنية:أين المشمرون لدار السلام ؟!! درست والله المعالم وبقيت الخيام !!

أما الخيام فإنها كخيامهم ... وأرى نساء الحي غير نسائها .

٢٧ إدراك أن القيام سبب لانشراح الصدر وسعادة القلب

من الهبات العظيمة ، والمنح الجزيلة ، التي يمتن بها المولى تبارك وتعالى

على من يقوم في الظلام ، لمناجاته والانكسار بين يديه ، انشراح الصـــدر ، وطمأنينـــة النفس ، وسعادة القلب والروح ، طوال ذلك اليوم الذي قام ليلته مناجيا لربه ومـــولاه ، فطوبى لك يا قائم الليل ، بهذه السعادة الروحية ، والراحة القلبية ، في عصر ملـــيء بالقلق والاضطرابات النفسية والعصبية .

- وقد قرر لنا الرسولﷺ هذه الحقيقة بأوضح عبارة وبيان:

*فعن"أبي هريرة" رضي الله عنه قال: قال الرسولﷺ:"يعقد الشيطان على قافيـــة رأس أحدكم (أي على مؤخرة رأسه) إذا هو نام ثلاث عقد ، يضرب على كل عقدة :عليك ليـــل طويل فارقد !! فإن استيقظ فذكر الله تعالى انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة ، فإن صلى (أي قيام الليل) انحلت عقده كلها ، فأصبح نشيطا طيب النفـــس ، وإلا (أي إذا لم يقـــم لصلاة الليل) أصبح خبيث النفس كسلان!!" [رواه البخاري ومسلم وأبو داود].

* قال"النووي" رحمه الله معلقا على هذا الحديث:"قوله"طيب النفس" معناه السروره بمـا وفقه الله الكريم له من الطاعة، ووعده به من الثواب مع ما يبارك له في نفسه ، وتصرفه في كل أموره ، مع ما زال عنه من عقد الشيطان وتثبيطه (أي تكسيله للمـــرء عـــن الخـــير) ، وقال"ابن حجر":"والذي يظهر لي أن في صلاة الليل سرا في طيب النفس ، ..." [نقلا عن كتاب"فتح الباري" لابن حجر (٣/٣٣)].

* قال"أبو العباس القرطبي" رحمه الله تعقيبا على الحديث المتقدم :"قوله"نشيطا": لما يـود عليه من العبادات لكونه ألفها ، وقوله"طيب النفس": لرجـــاء ثـــواب مـــا فعـــل ، وقوله"خبيث النفس":أي بشؤم تفريطه وتمام خديعة الشيطان له ، وقوله"كســـلان": أي متثاقل عن الخيرات، وربما يحمله ذلك على تضييع الواجبات،....." [نقلا عن كتاب"طـــرح التثريب في شرح التقريب"لابن العراقي (٣/٨٥)].

- قال الحافظ "أبو زرعة"رحـــمه الله :" إن الحديث ندب إلى قيام الليل والاستغفار بالأسحار ، وأقل أحواله أن يكون ندبا إلى ألا يطلع الفجر على المؤمن إلا وقد ذكر

الله ، وتأهب بالوضوء للصلاة "[نقلا عن كتاب"طرح التثريب" لابن العراقي(٣/٨٥)] .

* قال"ابن مسعود"رضي الله عنه:"إذا نام الرجل وهو يريد القيام من الليل، أيقظه إما سنور، وإما صبي، وإما شيء فيستيقظ، فيفتح عينيه وقد وكل به قرينان: قرين سوء وقرين صالح، فيقول قرين السوء:إفتح بشر !! ثم إن عليك ليلا طويلا !! ما تسمع صوتا ولا قيام أحد !! فإن نام حتى يصبح أتاه الشيطان فبال في أذنه، فأصبح ثقيلا كسلانا خبيث النفس مغبونا ، ويقول الملك: إفتح بخير!! قم فاذكر ربك وصل، فإن قام فتوضأ ثم دخل المسجد فذكر الله وأثني عليه،وصلى على النبيﷺ ، فإذا فرغ من صلاته استقبله الملك فقبله ثم يصبح طيب النفس قد أصاب خيرا !! " [نقلا عن كتاب" قيام الليل"للمروزي].

* قال"سفيان الثوري" رحمه الله واصفا من نام عن قيام الليل:"تراه كسلان ضجرا ، قد بات جيفة على فراشه ، وأصبح نهاره يحتطب على نفسه لعبا ولهوا ، وترى صاحب الليل منكسر الطرف (أي من خشية الله)، فرح القلب" [نقلا عن كتاب"رهبان الليل" للعفاني (١/٥٢٢)].

* قال"عطاء الخراساني" رحمه الله:"إن الرجل إذا قام من الليل متهجدا أصبح فرحا يجد لذلك فرحا في قلبه ، وإذا غلبته عيناه فنام عن حزبه (أي عن قيام الليل) أصبح حزينا منكسر القلب ، كأنه قد فقد شيئا، وقد فقد أعظم الأمور له نفعا (أي قيام الليل) " [نقلا عن كتاب"مختصر قيام الليل" للمقريزي].

*قال الأستاذ"الراشد":"وسجود المحراب واستغفار الأسحار ودموع المناجاة: سيماء يحتكرها المؤمنون ،.....، ولئن توهم الدنيوي جناته في الدينار والنساء والقصر المنيف، فإن جنة المؤمن محرابه " [نقلا عن كتاب" الرقائق" للراشد].

* يا هذا: إن أردت اللحاق بركب السادة ، فخل عنك مضاجعة الوسادة، واعمل بعمل أهل التقى والزيادة ، لعلك أن تنال:{للذين أحسنوا الحسنى وزيادة} .

٢٨ اجتناب كثرة الأكل والشرب

من العوائق المهمة ، التي تصرف المرء عن قيام الليل ، وتحول بينه وبينه ، الإكثار من الأكل والشرب ، وخاصة بالليل، لأن من أكل أو شرب كثيرا نام كثيرا ، فخسر كثيرا من القيام ومناجاة اللطيف العلام.

- وقد حذرنا النبي عليه الصلاة والسلام من الإفراط في الأكل والشرب، ومجاوزة حد الاعتدال فيهما:

* عن"أبي جحيفة " رضي الله عنه أن النبيﷺ قال لرجل تجشأ في مجلسه:"أقصر من جشائك!!(أي كفه وامنعه عنا) ،فإن أكثر الناس شبعا في الدنيا أكثرهم جوعا يوم القيامة" [رواه الحاكم في"المستدرك" وحسنه "الألباني" في" صحيح الجامع" برقم (١١٩٠)].

- وذم عليه الصلاة والسلام اقواما اتخذوا السمنة هدفا وغاية لهم ،وطلبوها وأحبوها وحرصوا عليها:

* فعن"عمر بن هين" رضي الله عنه أن النبيﷺ قال:"خير الناس قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم يأتي من بعدهم قوم يتسمنون، ويحبون السمن، يعطون الشهادة قبل أن يسألوها" [رواه الحاكم والترمذي وصححه"الألباني" في" صحيح الجامع" برقم (٣٢٩٠)].

- وقد بين لنا الرسولﷺ الميزان المعتدل في الأكل والشرب :

* عن"المقدام بن معد يكرب" رضي الله عنه أن النبيﷺ قال:"ما ملأ آدمي وعاءا شرا من بطنه، حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه" [رواه الترمذي وابن ماجة من حديث "المقدام بن معد يكرب"رضي الله عنه،وصححه الألباني في "صحيح الجامع"برقم(٥٦٧٤)] .

• وقد حثنا سلفنا الأبرار على الاعتدال في تناول الطعام والشراب، وحذرونا من الإفراط فيهما، وبينوا لنا الفوائد المترتبة على ذلك:

* قال"سفيان الثوري "رحمه الله:"عليكم بقلة الأكل، تملكوا قيام الليل" [نقلا عن كتاب" تنبيه المغترين" للشعراني].

* وبعض الناس يحتجون على كثرة الأكل بفعل "سفيان الثوري" فاسمع إلى الشيخ"عبد القادر الجيلاني"رحمه الله وهو يرد عليهم قائلا:" لا تقتد بسفيان في كثرة الأكل ، واقتد به في كثرة عبادته، فلست سفيان، لا تشبع نفسك كما كان يشبعها، فلست تملكها كما كان هو يملك نفسه!! " [نقلا عن كتاب"الفتح الرباني" للجيلاني].

*كان بعض الصالحين يقف على مجموعة من الشباب العباد، إذا وضع طعامهم ويقول لهم:لا تأكلوا كثيرا ، فتشربوا كثيرا ، فتناموا كثيرا ، فتخسروا كثيرا !! " [نقلا عن كتاب"إحياء علوم الدين"للغزالي (١/٣١٥)]،

* قال"وهب بن منبه"رحمه الله:"ليس من بني آدم أحب إلى شيطانه من الأكول النوام!!" [نقلا عن كتاب"الزهد" للإمام أحمد].

* جاء رجل إلى العبد الصالح"محمد بن سيرين" رحمه الله فقال له:علمني العبادة!! فقال له"ابن سيرين":أخبرني عن نفسك كيف تأكل؟!! فقال: آكل حتى أشبع!! فقال له:ذاك أكل البهائم!! قال: فكيف تشرب الماء ؟!! فقال:أشرب حتى أروى !! فقال له:ذاك شرب الأنعام !! اذهب فتعلم الأكل والشرب ثم جئني أعلمك العبادة!! " [نقلا عن كتاب"الصلاة والتهجد" لابن الخراط].

* يا هذا: كيف تطيق السهر مع الشبع ؟!! كيف تزاحم أهل العزائم بمناكب الكسل؟!! من صلى بالليل حسن وجهه بالنهار لأن شيمة المحبة لا تخفى ، وصحائف الوجوه يقرأوها من لم يكن كاتبا ولا قارئا!!.

* عن"وهيب بن الورد"رحمه الله:أن الشيطان تبدى"ليحي بن زكريا" عليهما الصلاة والسلام،....، فقال له"يحي":"هل قدرت مني على شيء؟! (أي هل أوقعتني في معصية لله أو غفلة عن طاعته؟!!) ، قال:لا !! إلا مرة واحدة، فإنك قدمت طعاما تأكله فلم أزل أشهيه إليك

حتى أكلت منه أكثر مما تريد !! فنمت تلك الليلة فلم تقم إلى الصلاة كما كنت تقوم إليها !!....." [نقلا عن كتاب"مختصر قيام الليل" للمقريزي] .

* أخي: قلة الطعام سحاب، وإذا قل الأكل مطر القلب الحكمة ، ونشطت الجوارح للخدمة، وتعلق القلب بخالقه وبارئه تعالى.

* قال"معاذ بن جبل"رضي الله عنه:" ثلاث من فعلهن فقد تعرض للمقت : الضحك من غير عجب، والنوم من غير سهر، والأكل من غير جوع" [نقلا عن كتاب"الزهد"للإمام أحمد].

* رأى"معقل بن حبيب" رحمه الله قوما يأكلون كثيرا فقال: ما نرى أصحابنا يريدون أن يصلوا الليلة !!" [نقلا عن كتاب" مختصر قيام الليل" للمقريزي].

*قال"مسعر بن كدام" رحمه الله حاثا على عدم الإكثار من الأكل:

وجدت الجوع يطرده رغيف .....وملء الكف من ماء الفرات

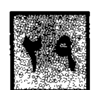
وقل الطعم عون للمصلي ..... وكثر الطعم عون للسبات

[نقلا عن كتاب" حلية الأولياء لأبي نعيم (٧/٢١٩)].

*قال"عبد الواحد بن زيد"رحمه الله:"من قوي على بطنه قوي على دينه، ومن قوي على بطنه قوي على الأخلاق الصالحة ، ومن لم يعرف مضرته في دينه من قبل بطنه فذاك رجل في العابدين أعمى!!" [نقلا عن كتاب" الحلية" لأبي نعيم (٦/١٥٧)].

*ولله در الشاعر حين قال:

أفلح الزاهدون والعابدونا .... إذ لمولاهم أجاعوا البطونا .





مما يعين على التحمس لقيام الليل ، عدم المبالغة في حشو الفرش وتليينه وتزويقه وتنعيمه ، لأن ذلك سبب لكثرة النوم والغفلة ، ومدعاة للاستغراق في

سبات عميق ، ومجلبة للكسل وحب الدعة والراحة.

- **وقد أرشدنا الرسول ﷺ إلى عدم المبالغة في حشو الفراش وتنعيمه وتليينه:**

***فعن"عائشة" رضي الله عنها قالت:"كانت وسادة النبي ﷺ التي ينام عليها بالليل من أدم** (أي من جلد) **حشوها ليف!!** " [رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجة، وصححه "الألباني" في"صحيح الجامع" برقم (٤٧١٤)].

- **وأما فراشه عليه الصلاة والسلام فقد كان من حصير قاس يؤثر في الجنب:**

*** عن"ابن عباس" رضي الله عنهما:"أن رسول الله ﷺ دخل عليه"عمر بن الخطاب" رضي الله عنه، وهو على حصير قد أثر في جنبه الشريف عليه الصلاة والسلام، فقال"عمر":يا نبي الله لو اتخذت فراشا أوثر** (أي ألين وأفخم) **من هذا ؟! فقال عليه الصلاة والسلام:ما لي وللدنيا !! ما مثلي ومثل الدنيا إلا كراكب سار في يوم صائف** (أي شديد الحرارة)**، فاستظل تحت شجرة ساعة من نهار ثم راح وتركها!!** " [رواه أحمد في "المسند"والحاكم في"المستدرك"، وقال"الهيثمي"رجال"أحمد" رجال الصحيح غير"هلال بن خباب" وهو ثقة"، والحديث صححه"الألباني" في"صحيح الجامع" برقم (٥٥٤٥)].

***قال"المناوي"رحمه الله: "الأولى لمن غلبه الكسل، والميل للدعة** (أي الراحة) **والترفه ألا يبالغ في حشو الفراش ؛ لأنه سبب لكثرة النوم ، والغفلة والشغل عن مهمات الخيرات"** [نقلا عن كتاب"فيض القدير" للمناوي (٥/١٨٠)] .

- **وكان النبي ﷺ يربي ابنته فاطمة الزهراء رضي الله عنها ــ وفي هذا تعليم لكل الأمة ــ على هذا المسلك الرشيد ــ أعني عدم المبالغة في حشو الفراش ــ لئلا يشغلها ذلك عن قيام الليل:**

*** فعن"علي" رضي الله عنه قال:"جهز رسول الله ﷺ فاطمة** (أي حين أرسلها إلى بيت زوجها علي) **في"خميل"**(أي قطيفة) **وقربة ووسادة أدم حشوها ليف الإذخر!!**(وهو نبات طيب الرائحة)" [رواه أحمد في"المسند" وصحح إسناده الشيخ"أحمد شاكر" في تعليقه على"المسند"] .

* كان العبد الصالح"علي بن بكار" رحمه الله تفرش له جاريته فراشه فيلمسه بيده ثم يقول: والله إنك لطيب!! والله إنك لبارد!! والله لا علوتك ليلتي(أي لانمت عليك هذه الليلة)!! ثم يقوم يصلي إلى الفجر !! " [نقلا عن كتاب"الحلية" لأبي نعيم (٩/٣١٨)].

*أخي:بحسبك أن قوما أحياء تقسو القلوب برؤيتهم، وهم أهل الغفلة والبطالة!! وبحسبك أن قوما موتى الأجساد تحيا القلوب بذكرهم ، ومنهم أهل الليل، سلام الله على تلك اللحود !! ورحم الله تلك الوجوه والخدود !! أماكن تعبدهم باكية ، مواطن خلواهم وهجدهم لفقدهم شاكية ، زال التعب وبقي الأجر، وذهب ليل النصب وطلع الفجر ، إنما يلذ الظل البارد لمن تأذى بحر الهجير ، ويطيب مكان الاستراحة بإجراء حديث التعب!! .

٣٠ معرفة أن النبي ﷺ كان يربي زوجاته على القيام

لقد بلغ من أهمية قيام الليل ، وعظيم مكانته في هذا الدين وعند الأنبياء والصالحين ، أن الحبيب عليه الصلاة والسلام كان يوقظ زوجاته لقيام الليل ، ويربيهن على هذه الخصلة الحميدة الفاضلة ، وهن أمهات المؤمنين عليهن رضوان الله ومغفرته، فكانت بيوت النبوة في الليل لها شأن مع القيام والمناجاة !! فهلا ربينا زوجاتنا على القيام والصيام !! ومناجاة ذي الجلال والإكرام!! .

* عن"أم سلمة" رضي الله عنها أن النبي ﷺ استيقظ ذات ليلة فقال: سبحان الله!! ماذا أنزل الليلة من الفتنة ؟!! ماذا أنزل من الخزائن؟!! من يوقظ صواحب الحجرات، يا رب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة" [رواه البخاري وأحمد والترمذي].

* وقد أورد البخاري رحمه الله، هذا الحديث في صحيحه وبوب عليه" باب تحريض النبي ﷺ على قيام الليل من غير إيجاب"، وقال" ابن حجر " تعقيبا على الحديث:"قال

ابن رشيد":كأنَّ البخاري فهم أن المراد بالإيقاظ الإيقاظ للصلاة لا لمجرد الإخبار بما أُنزل ، لأنه لو كان لمجرد الإخبار لكان يمكن تأخيره إلى النهار لأنه لا يفوت ،....، قال" ابن حجر":ووقع في رواية" شعيب" عن" الزهري" عند المصنف في" الأدب" وغيره في هذا الحديث:"مَن يُوقظ صواحب الحُجر ـ يريد أزواجه ـ حتى يُصلين"،.....، وفي الحديث:إيقاظ الرجل أهله بالليل للعبادة ،..." [نقلا عن" فتح الباري" لابن حجر (٣/١٤)].

* أخي:" قام القوم على أقدام {قم الليل} ، فبان في القوم سرُّ{ وتقلبك في الساجدين} ، لولا قيام تلك الأقدام ما كان يُؤدَّى حق "هل من سائل" !! فيا أيها الغافلون عما نالوا : لقد مِلتمْ عن التقى وما مالوا ، قاموا في غفلات الراقدين ، فقوبلوا بجزاءٍ لم يطلع عليه الغير غيرةً لهم ،...، ما أطيب أملهم في المناجاة !! ما أقربهم من طريق النجاة ، ما أقلَّ ما تعبوا !! وما أيسر ما نصبوا !! وما كان إلا القليل ثم نالوا ما طلبوا" [نقلا عن كتاب" المدهش" لابن الجوزي].

٣١ إدراك مدى حرص الخلفاء والأمراء على القيام

لقد بلغ من أهمية قيام الليل ، وعظيم منزلته في نفوس المسلمين ، أن خلفاء المسلمين وأمراءهم كانوا يُواظبون عليه ويلازمونه ، رغم ما عندهم من أعباء تصريف شئون الأمة ورعاية مصالحها !! فاسمع شيئا من أخبار الأمراء مع القيام ، لعلها أن توقظ همتك ، وتُشعل عزيمتك لمناجاة الرحمن ، والتلذذ بتلاوة القرآن:

* هذا "عمر بن الخطاب" رضي الله عنه، فاروق هذه الأمة ، وخليفة المسلمين وأمير المؤمنين، وفاتح الدنيا، ومَن كان ملوك الفرس والروم يهأبو نه ويخافونه، رغم تزاحم أشغاله وكثرة رعيته وضخامة المسئولية الملقاة على عاتقه، لم يكن ليترك قيام الليل أبدا:

* قال" الحسن": تزوج"عثمان بن أبي العاص"رضي الله عنه امرأةً من نساء عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقال: والله ما نكحتها رغبةً في مال ولا ولد، ولكني أحببت أن

تخبرني عن ليل"عمر"!! فسألتها فقلت: كيف كانت صلاة عمر بالليل ؟! فقالت: كان يصلي العشاء ثم يأمرنا أن نضع عند رأسه توراً (أي إناءً) فيه ماء، فيتعارّ(أي يستيقظ) من الليل، فيضع يده في الماء فيمسح وجهه ويديه ثم يذكر الله عزَّ وجلَّ حتى يُغفي ، ثم يتعار حتى تأتي الساعة التي يقوم فيها !! " [نقلا عن كتاب" الزهد" للإمام أحمد].

* ودخل"معاوية بن خديج" على "عمر بن الخطاب" وقت الظهيرة ، فظنَّ "عمرَ" قائلاً (أي نائما القيلولة)، فقال له"عمر": بئس ما ظننتَ!! لئن نمتُ بالنهار لأُضيعنَّ الرعية، ولئن نمتُ بالليل لأضيعنَّ نفسي (اي بترك قيام الليل)، فكيف بالنوم مع هذين يا معاوية ؟!! " [نقلا عن كتاب"الزهد"للإمام أحمد].

* وقال"العباس" بن عبد المطلب" رضي الله عنه: كنتُ جارا لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فما رأيت أحدا من الناس كان أفضل من عمر: إن ليله صلاةٌ ، وإنَّ نهاره صيام وفي حاجات الناس" [نقلا عن كتاب"حلية الأولياء" لأبي نعيم ج ١].

* وعن"أسلم" مولى "عمر بن الخطاب" قال:" قدم المدينة رفقةٌ من التجار ، فنزلوا المصلى ، فقال"عمر" لعبد الرحمن بن عوف: هل لك أن نحرسهم الليلة ؟!! فقال: نعم ، فال"أسلم":فباتا يحرسانهم ويصليان !!" [نقلا عن كتاب"البداية والنهاية" لابن كثير (١٤٩/٧)].

* قال الحافظ"ابن كثير" في ترجمة"عمر بن الخطاب" رضي الله عنه:"وكان يُصلي بالناس العشاء ثم يدخل بيته فلا يزال يُصلي إلى الفجر!! " [نقلا عن كتاب"البداية والنهاية" لابن كثير (١٤٩/٧)].

* وعن"أسلم": أن "عمر بن الخطاب" رضي الله عنه كان يُصلي من الليل ما شاء الله، حتى إذا كان من آخر الليل أيقظ أهله للصلاة (أي لقيام الليل) ، يقول لهم"الصلاةَ الصلاةَ" ثم يتلو هذه الآية:{ وأمُرْ أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقاً نحن نرزقك والعاقبة للتقوى} [سورة طه الآية (١٣٢)] " [نقلا عن"موطأ مالك" بسند صحيح].

* كان في وجه"عمر بن الخطاب" رضي الله عنه خطّان أسودان مثل الشراك من البكاء!! وكان يمر بالآية من ورده بالليل فيبكي حتى يسقط، ويبقى في البيت حتى يُعاد للمرض " [نقلا عن كتاب"التبصرة" لابن الجوزي (٤٢١/١)].

• وهذا أمير المؤمنين ذو النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه ، كان له مع قيـــام الليل حال عجيب ووصف غريب ، فاسمع شيئاً منه:

* عن"زهيمة" قالت:" كان "عثمان" رضي الله عنه، يصوم النهار ويقوم الليل إلا مـــن هجعة من أوله !!" [نقلا عن كتاب"الزهد" للإمام أحمد].

* وعن"ابن سيرين" قال:"قالت امراة عثمان بن عفان رضي الله عنه حين قُتـــل: لقـــد قتلتموه وإنه ليُحيي الليل كله بالقرآن في ركعة!!" [نقلا عن كتاب"الزهد" للإمام أحمد].

* وكان رضي الله عنه يقرأ القرآن كله في ركعة ثم يوتر!! " [رواه البغـــوي في" شـــرح السـنة" والطحاوي والبيهقي، وصحح إسناده "الأرناؤوط" كما في" شرح السنة" (٤/٤٩٩)].

* وقال"ابن كثير" في تفسيره" :"وقد روي من غير وجه أنه (أي عثمان بـــن عفـــان) صلـــى بالقرآن العظيم في ركعة واحدة عند الحجر الأسود أيام الحج ، وقد كان هذا من دأبـــه رضي الله عنه ، ولهذا رُوينا عن "ابن عمر" أنه قال في قوله تعالى:{ أمَّن هو قانتٌ آنـــاء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه} [سورة الزمر الآية(٩)] ، قال: ذاك عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وإنما قال"ابن عمر" ذلك لكثرة صلاة "عثمان" بالليل وقراءته حتى أنه ربما قرأ القرآن في ركعة " [راجع كتاب" تفسير ابن كثير" (٤/٤٧)].

*وقال"الحافظ ابن حجر"رحمه الله:" في كتاب"محـــمد بن نصر" وغيره بسند صحـــيح عن"السائب بن يزيد"أن "عثمان بن عفان"قـــرأ القرآن ليلةً في ركعـــة لم يصلِّ غيرها" [نقلا عن كتاب"فتح الباري"لابن حجر (٢/٥٥٩)].

• وأمَّا أمير المؤمنين "أبو الحسن علي بن أبي طالب" رضي الله عنه فلقد كان راهباً من رهبان الليل الكبار ، فإليك شيئا من خبره مع القيام:

* قال"ضرار بن ضمرة الكناني" واصفا "علي بن أبي طالب" لمعاوية بن أبي سفيان" رضي الله عنهما:" كان يستوحش من الدنيا وزهرها ، ويستأنس بالليل وظلمته، وأشهد بـــالله لقد رأيته في بعض مواقفه ، وقد أرخى الليل سدوله، وغارت نجومه، يميـــل في محرابـــه قابضا على لحيته ، يتململ تململ السليم (أي المريض) ، ويبكي بكاء الحزين ، فكأني أسمعـــه

الآن وهو يقول:يا ربنا يا ربنا ــ يتضرع إليه ــ ثم يقول للدنيا: أليَ تعرَّضتِ ؟!! أليَ تشوَّفتِ ؟!! هيهات هيهات!! غُرِّي غيري !! قد بتتكِ (أي طلقتك) ثلاثا!! فعمرك قصير، ومجلسك حقير، وخطرك يسير، آه آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق!! فسالت دموع "معاوية" رضي الله عنه على لحيته ما يملكها ، فجعل يُنشِّفها بكُمِّه، وقد اختنق القوم بالبكاء، قال"ضرار":كذا كان أبو الحسن رحمه الله!! فقيل له: كيف حزنك عليه؟!! فقال: حزن مَنْ ذُبح وحيدها في حجرها، لا ترقأ دمعتها (اي لا تتوقف) ولا يسكن حزنها " [نقلا عن"حلية الأولياء" لأبي نعيم (١/٨٥)].

* دخل"الأشتر النخعي" على أمير المؤمنين"علي بن أبي طالب"رضي الله عنه وهو قائم يصلي بالليل، فقال له: يا أمير المؤمنين : صومٌ بالنهار وسهرٌ بالليل وتعبٌ فيما بين ذلك!! فلما فرغ "علي" من صلاته قال له: سفر الاخرة طويل ، فيُحتَاج إلى قطعه بسير الليل!! (أي قيام الليل)" [نقلا عن كتاب"لطائف المعارف" لابن رجب].

* وهذا الصحابي الجليل" سعيد بن عامر الجمحي" رضي الله عنه استعمله "عمر بن الخطاب" أميرا على مدينة"حمص" ، فلما كان بعد مدة قدم "عمر" إلى حمص ، فلقيه أهلها ، فسألهم :كيف وجدتم عاملكم؟!! (أي أميركم يعني سعيد بن عامر) ، فشكَوهُ في أمور منها: أن سعيدا لا يُجيب أحدا طرق بابه بالليل أبدا !! فجمع "عمر بينهم وبينه ، ثم قال لهم : ما تشكون من أميركم ؟!! فقالوا: إنه لا يُجيب أحدا بليل؟!! فقال عمر: ما تقول في هذه يا سعيد؟!! فقال: إنْ كنتُ أكره أن أذكر ذلك (أي رغبة في إخفاء الطاعة) ،...، إني جعلتُ النهار لهم (أي لقضاء حوائجهم) وجعلتُ الليل لربي عزَّ وجلَّ!! (أي بالصلاة والقرآن والذكر) ،.....، فقال"عمر":" الحمد لله الذي لم يُخيِّب فراستي فيك" [راجع كتاب "الحلية" لأبي نعيم (١/٢٤٦)].

- وأما الخليفة الراشد"عمر بن عبد العزيز"رحمه الله، فقد كان نسيج وحده في القيام:

* قالت فاطمة امرأة عمر بن عبدالعزيز: كان عمر إذا دخل البيت ألقى نفسه في مسجده ، فلا يزال يبكي ويدعو حتى تغلبه عيناه ، ثم يستيقظ مثل ذلك ليلته أجمع"

[نقلا عن كتاب" تاريخ الخلفاء" للسيوطي].

* وقالت رحمها الله :"قد يكون في الناس مَن هو أكثر صلاةً وصوماً من "عمر بن عبد العزيز"، فأمَّا أن أكون قد رأيت رجلا أشد فَرقَاً (أي خوفاً) من ربه عزَّ وجلَّ من "عمر" فإني لم أره ، كان إذا صلى العشاء الآخرة ألقى بنفسه في مسجده فيدعو ويبكي حتى تغلبه عينه !! ثم ينتبه فيدعو ويبكي حتى تغلبه عينه !!فهو كذلك حتى يُصبح !! " [نقلا عن كتاب" الزهد" للإمام أحمد].

* وقالت"فاطمة" زوجة"عمر بن عبد العزيز":"إن"عمر قد فرّغ نفسه وبدنه لحوائج الناس ، كان يقعد لهم يومه، فإن أمسى عليه بقية من حوائج الناس يومه وصله بليلته ، وإنه أمسى ذات مساء وقد فرغ من حوائج يومه ، فدعا بسراجه الذي كان يُسرَجُ له من خاصة ماله، ثم قام فصلى ركعتين ثم أقعى واضعا رأسه بين يديه، تسيل دموعه على خدِّه ، يشهق الشهقة وأقول: قد خرجت روحه أو انصدعت كبده !! فلم يزل ليلته على حاله تلك حتى برق الصبح !! ثم أصبح صائما !! " [نقلا عن كتاب"سيرة "عمر بن عبد العزيز" لابن الجوزي].

* وقام"عمر بن عبد العزيز" رحمه الله ذات ليلة يصلي من الليل فقرأ سورة { والليل إذا يغشى} ، فلما بلغ قوله تعالى{ فأنذرتكم نارا تلظَّى}، بكى فلم يستطع أن يُجاوزها مرتين أو ثلاثا، ثم قرأ سورة أخرى غيرها !! " [نقلا عن كتاب"التخويف من النار" لابن رجب].

* وأما الملك الصالح العادل "نور الدين محمود زنكي" رحمه الله ، فقد قال الحافظ"ابن كثير"وهو يترجم له:"وكان مُدمناً لقيام الليل ، يصوم كثيرا، مجاهداً في الفرنج،....، وكان كثير الصلاة بالليل ، كثير الابتهال في الدعاء والتضرع إلى الله عزَّ وجلَّ في أموره كلها،..." [نقلا عن كتاب" البداية والنهاية" لابن كثير (١٢/٢٨٣)].

* ورحم الله مَنْ قال مادحا "نور الدين زنكي":

ومدرسةٌ ستدرس كل شيء ... وتبقى في حمى علمٍ ونسكِ
تضوَّع ذكرها شرقا وغربا ... بنور الدين محمود بن زنكي.

• وأما الأمير المجاهد"صلاح الدين الأيوبي" رحمه الله،محـــرر الأقصـــى مـــن أيـــدي الصليبيين ، فقد كان حاله مع القيام عجبا:

* قال"القاضي ابن شداد":"وأما الصلاة فإنه (أي صلاح الدين الأيوبي) شديد المواظبة عليـــها حتى أنه ذكر يوما أنه من سنين ما صلى إلا في جماعة!! وكان يواظـــب علـــى الســـنن والرواتب، وكان له صلوات يصليها إذا استيقظ من الليل ، وإلا أتى بها قبل قيام الفجر ، وكان رحمه الله يحب سماع القرآن العظيم ، وكان خاشع القلب غزير الدمعة، إذا سمـع القرآن يخشع قلبه وتدمع عينه في معظم أوقاته " [نقلا عن كتاب" صلاح الديـــن الأيـــوبي" لعبـــدالله علوان].

* وأما غيرته للإسلام ودفاعه عن المسجد الأقصى فقد مبلغ مبلغا عجيبا:

* قال"القاضي بهاء الدين":" كان صلاح الدين الأيوبي رحمـــه الله عنده من الـــقـــدس أمرعظيم لا تحمله الجبال، وهو كالوالدة الثكـــلى يجول بـــفرسه مـــن طلب إلى طلب ويحث الناس على الجهاد ، ويطوف بين الأطلاب وينادي: يا للإسلام !! وعيناه تذرفان الدموع ، وكلما نظر إلى عكا وما حل بها من البلاء ، وما يـــجري على ساكنيـــها من المصاب العظيم ، اشتد في الزحف والحث على القتال ، ولم يطعم ذلك اليوم(أي يوم ملاقاته للصليبيين) طعاما البتة !! وإنما شرب أقـــداح دواء كـــان يشير بها الطبيب ،ولقد أخبرني بعض أطبائه أنه بقي من يوم الجمعة إلى يـــوم الأحد لم يتـــناول من الغـــذاء إلا شـــيئا يسيرا لفرط اهتمامه" [نقلا عن نفس المصدر السابق].

* قال"الحافظ ابن كثير" وهو يترجم للخليفة العباسي" هارون الرشيد" رحمه الله:"وكـان يصلي في كل يوم مائة ركعة تطوعا إلى أن فارق الدنيا إلا أن تعرض له علة" [نقـــلا عـــن كتاب"البداية والنهاية" لابن كثير (٢١٣/١٠)].

* قال"الحافظ ابن كثير" وهو يترجم للخليفة العباسي" أبي جعفر المنصور"رحمه الله،:
" وكان إذا صلى العشاء نظر في الكتب والرسائل الواردة من الآفاق ، وجلس عنـــده من يسامره إلى ثلث الليل ، ثم يقوم إلى أهله فينام في فراشه إلى الثلث الآخر ، ثم يقـــوم

إلى وضوئه وصلاته حتى يطلع الفجر، ثم يخرج فيصلي بالناس" [نقلا عن كتاب" البداية والنهاية" لابن كثير (١٠/١٢٥)].

٣٢ استشعار أن الشيطان يحاول أن يمنعك من القيام

ومما يزيدك تحمسا لقيام الليل ، أن تعلم أن عدوك اللدود ، وخصمك العتيد العنيد ، الشيطان الرجيم المريد ، يحاول بشتى الوسائل والمكائد أن يصرفك عن القيام ، وأن يحول بينك وبين مناجاة ذي الجلال والإكرام ، لعلمه بأهمية القيام ، وفضله الجزيل عند اللطيف السلام ، فهل يا ترى ستنقاد لوساوسه ؟!! وتستسلم لحبائله ومكائده؟!! أم أنك ستحاربه يا همام !! فابشر بنصر الملك العلام !! .

● وقد أخبرنا الرسولﷺأن الشيطان الرجيم ، يقف لنا في كل ليلة بالمرصاد، ليصرفنا عن القيام ، ويحول بيننا وبينه بحيلة ماكرة خبيثة:

* فعن"أبي هريرة" رضي الله عنه قال: قال الرسولﷺ: " يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم (أي على مؤخرة رأسه) إذا هو نام ثلاث عقد، يضرب على كل عقدة :عليك ليل طويل فارقد !! فإن استيقظ فذكر الله تعالى انحلت عقدة ، فإن توضأ انحلت عقدة ، فإن صلى انحلت عقده كلها ، فأصبح نشيطا طيب النفس ، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان " [رواه البخاري ومسلم وأبو داود].

* قال الحافظ"ابن حجر":" ذكر شيخنا"أبو الفضل بن الحسين" في" شرح الترمذي" أن السر في افتتاح صلاة الليل بركعتين خفيفتين : المبادرة إلى حل عقد الشيطان، وبناه على أن الحل لا يتم إلا بتمام الصلاة، وهو واضح" [نقلا عن"فتح الباري" لابن حجر (٣/٣٤)].

● وقد أخبرنا الرسول عليه الصلاة والسلام ، أن من نام عن قيام الليل، فذاك رجل استحوذ عليه الشيطان ، وبال في أذنيه ، حتى منعه من القيام :

*فعن"عبد الله بن مسعود "رضي الله عنه أن النبيﷺذكر له رجل نام ليلة حتى أصبح ، فقالﷺ:ذاك رجل بال الشيطان في أذنه أو قال: في أذنيه" [رواه البخاري ومسلم والنسائي]،

* قال"ابن حجر" معقبا على الحديث:"قوله"نام ليلة حتى أصبح" يراد به صلاة الليل أو المكتوبة ،......، قال"الحسن":إن بوله (أي بول الشيطان) والله لثقيل !! وقال"ابن مسعود" :حسب الرجل من الخيبة والشر أن ينام حتى يصبح وقد بال الشيطان في أذنه" [نقلا عن كتاب"فتح الباري" لابن حجر ج٣] .

* وعن"أبي هريرة" رضي الله عنه في حديثه الطويل مع الشيطان وفيه:"إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي:{الله لا إله إلا هو الحي القيوم} الآية حتى تختمها، فإنه لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح ،فقال النبي عليه الصلاة والسلام :صدقك وهو كذوب" [رواه البخاري ومسلم] .

- ولأجل تلك العداوة الشيطانية، كان النبي عليه الصلاة والسلام كلما أوى إلى فراشه يسأل ربه تعالى أن يدحر ويرد ويخسأ كيد شيطانه ، وفي هذا تعليم للأمة أن تحرص على هذا المسلك:

*عن"أبي الأزهر" رضي الله عنه أن النبيﷺ:"كان إذا أخذ مضجعه من الليل قال: "بسم الله وضعت جنبي، اللهم اغفر لي ذنبي، واخسأ شيطاني وفك رهاني ، وثقل ميزاني ، واجعلني في الندي الأعلى"[رواه أبو داود والحاكم، وصححه الألباني في" صحيح الجامع"برقم (٤٥٢٥)].

* ورحم الله من قال:

والنفس كالطفل إن تهمله شب على ... حب الرضاع، وإن تفطمه ينفطم

فخالف النفس والشيطان واعصهما ... وإن هما ماحضاك النصح فاقتهم .

٣٣ إدراك أن القيام سبب للانتصار على الأعداء في الجهاد

إن شجرة الجهاد في سبيل الله لا تسقى إلا بدموع المتهجدين في ظـــلام الليل ، ولا تنمو ولا تزهر إلا بركعات وسجدات القانتين المخبتين المنيبـين ، فرهبـان الليل هم فرسان النهار ، وفرسان النهار لن ينتصروا على أعدائهم مالم يكونوا رهبانـا بالليل ، لأنهم إذا قاموا الليل لمناجاة ربهم والانكسار بين يديـه وسـؤاله النصرعلـى عدوهم والتمكين لهم في الأرض ، صاروا مؤهلين لأن يتنـزل عليهم نصر الله وتـأييده بالنهار ، فالقيام هو مفتاح النصر على الأعداء، هكذا فهم السلف الأبرار القضيـة ، وهكذا يجب أن نفهمها ونعقلها ،كما فهموها هم ، إن كنا نريد النصر والتمكين لهـذه الأمة في الأرض، وهذا هو طريق العزة والسؤدد ، فأين السالكون له؟!!وأين السـائرون فيه؟!!.

- هذا سيد المجاهدين ، وإمام القادة والفاتحين ، رسول رب العالمين، محمد عليه الصلاة والسلام ، يربينا على هذا المبدأ ، ويقرره في نفوسنا بلسان الحال قبل لسان المقال:

* عن"علي بن أبي طالب" رضي الله عنه قال:" ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقـداد، ولقد رأيتنا (أي ليلة غزوة بدر) وما فينا إلا نائم ، إلا رسول الله عليه الصلاة والسلام تحـت شجرة يصلي ويبكي حتى أصبح !!" [رواه أحمد والنسائي وابن خزيمة وصححه، والحديث صححه الألباني في" صحي الترغيب والترهيب" برقم (٥٤٦)].

*قال"ابن كثـير"رحمه الله واصفـا حال النبي عليه الصلاة والسلام لـيلة بدر :" بات رسول الله يصلي إلى جذع شجرة هناك ، ويكثر في سجوده أن يقول :"يا حي يا قيوم" ، يكرر ذلك ويلظ(اي يلازم ويواظب) عليه الصلاة والسلام بقيام الليل والبكاء والدعـاء والاستغاثة بطلب النصر حتى الصباح !! وكان عليـه الصـلاة والسـلام يقـول في دعائه:"اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن شئت لم تعبد !! وكـان يقـول في دعائه أيضا:"اللهم لا تودع مني ، اللهم لا تترني ، اللهم لا تخذلني ، اللهم هذه قريـش

قد أتت بخيلائها وفخرها تجادل وتكذب رسولك، اللهم فنصرك الذي وعدتني!!......، فكان عليه الصلاة والسلام يدعو حتى يسقط رداؤه ، فأتاه أبو بكر رضي الله عنه فأخذ رداءه فرده على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال:"يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله تعالى قوله:{إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين}[سورة الأنفال الآية(٩)]، فأمده الله بالملائكة " [نقلا عن كتاب"البداية والنهاية" لابن كثير (٢٦٦/٣ وما بعدها)].

* قال"ابن مسعود" رضي الله عنه:"ما سمعنا مناشدا ينشد ضالة أشد من مناشدة محمدﷺلربه يوم بدر: اللهم إني أنشدك ما وعدتني!! " [رواه الطبراني، وحسنه "ابن حجر" كما في"الفتح"عند الحديث رقم (٣٩٥٣)].

• وعلى هذا المسلك الرشيد ، سار الصحابة الكرام ، في جهادهم للكفار وفتحهم للبلاد والأمصار ،فكانت فتوحاتهم وانتصاراتهم تذهل الأعداء:

* لما هزم الروم أمام المسلمين ، قال "هرقل" ملك الروم لجنوده: ما بالكم تنهزمون؟!! (أي أمام المسلمين وهم أقل منكم عددا وعدة) ، فقال شيخ من عظماء الروم: من أجل أنهم يقومون الليل ويصومون النهار!! " [نقلا عن"تاريخ دمشق" لأبي القاسم بن عساكر(١٤٣/١)].

* لما هزمت جيوش الروم في بلاد الشام ، وفر هرقل من سورية إلى عاصمة ملكه ، وقف ينظر إلى سورية نظر المودع لها ، ثم قال: عليك السلام يا سورية سلاما لا لقاء بعده !! فلما كان في الطريق إلى عاصمة ملكه سأل أحد الجنود الروميين الذين وقعوا في أسر المسلين ثم أطلق سراحهم فقال له: أخبرني عن هؤلاء القوم (أي عن المسلمين لماذاتغلبوا علينا؟!!) فقال الجندي الرومي:أخبرك كأنك تنظر إليهم ، هم فرسان بالنهار، رهبان بالليل، لا يأكلون في ذمتهم إلا بثمن ، ولا يدخلون إلا بسلام ، يقفون على من حاربوه حتى يأتوا عليه !! (أي يستأصلوه) ، فقال هرقل: لئن صدقت ليملكن موضع قدمي هاتين !! " [راجع كتاب"البداية والنهاية" لابن كثير (٥٩/٧)].

• وعلى نفس هذا المسلك الرشيد ، سار القادة والفاتحون المسلمون في الماضي ، فكتب الله لهم النصر والتمكين والغلبة والظهور على أعدائهم:

*لما أخذ الفرنجة القدس ، دخل بعض المسلمين القدس للزيارة ، فسمعوا الفرنجة يقولون: إن القسيم بن القسيم (يعنون نور الدين زنكي رحمه الله البطل الشجاع) له مع الله سر !! ، فإنه لم يظفر وينصر علينا بكثرة جنده وجيشه ، وإنما يظفر علينا وينصر بالدعاء وصلاة الليل ، فإنه يصلي بالليل ويرفع يده إلى الله ويدعو ، فإنه يستجيب له ويعطيه سؤله فيظفر علينا !! " [راجع كتاب"البداية والنهاية" لابن كثير (١٢/٢٨٣)] ، فتأمل رعاك الله كيف أدرك الكفار هذه الحقيقة وغابت وللأسف الشديد عن كثير من المسلمين في هذه الأيام ، فابتغوا العزة والنصر والتمكين بغير طاعة رب العالمين ، وأني لهم ذلك ؟!! .

• وعلى نفس هذا المنهج سار تلميذه البار المجاهد الصادق" صلاح الدين الأيوبي" رحمه الله ، فكتب الله له النصر والتمكين:

* قال"القاضي بهاء الدين":"كان" صلاح الدين" ــ إذا سمع أن العدو قد دهم المسلمين أو اقترب موعد بدء معركة من المعارك مع الصليبيين الحاقدين ــ يبيت ليلته تلك مغتما مهتما مفكرا في أمر المسلمين ، ساجدا لله داعيا في سجوده ، قائلا:"إلهي قد انقطعت أسبابي الأرضية في نصرة دينك ، ولم يبق لي إلا الإخلاد إليك ، والاعتصام بحبلك والاعتماد على فضلك ، أنت حسبي ونعم الوكيل!! قال القاضي"بهاء الدين:" ورأيته ساجدا ودموعه تتقاطر على شيبته ، ثم على سجادته ولا أسمع ما يقول ، ولم ينقض ذلك اليوم إلا وجاءته أخبار النصر على الأعداء !!" [راجع كتاب" صلاح الدين الأيوبي" لعبدالله علوان].

٣٤ عدم التلفف بأغطية كثيرة عند النوم

إن التلفف والتدثر عند النوم بأغطية كثيرة ، عائق يحول بين المرء وبين القيام لمناجاة الله في ظلام الليل ، وذلك أن كثرة الأغطية مدعاة للاستغراق في

النوم ، ومجلبة للكسل والخمول في البدن ، فأي قيام ومناجاة ستكون بعد ذلك؟!!.

• ولقد كان سلفنا الأبرار يدركون هذه القضية ، فكانوا يحرصون على عدم الاكثار من الأغطية عند النوم ، ولا سيما في الشتاء:

* كان"صفوان بن سليم" رحمه الله يصلي في الشتاء على السطح ، وفي الصيف في بطن البيت، يتيقظ بالحر والبرد حتى يصبح !! ثم يقول: هذاالجهد من صفوان وأنت أعلم!! وكانت رجلاه تتورمان من قيام الليل حتى تعودا مثل السفط!! " [نقلا عن كتاب"حلية الأولياء" لأبي نعيم (١٥٩/٣)].

* كانت الأمة الصالحة "معاذة العدوية" رحمها الله إذا جاء البرد نامت في ثياب رقاق حتى يمنعها البرد من النوم!! (أي من الافراط والاستغراق فيه) !! " [نقلا عن كتاب" صفة الصفوة" لابن الجوزي (٢٢/٤)].

* وكان كثير من العباد يصلون في الشتاء بالليل ، في ثوب واحد ليمنعهم البرد من النوم " [نقلا عن كتاب"رهبان الليل" للعفاني (١٤/٢)].

* وما أجمل ما قاله الشاعر:

هذا رقيب ليس عني غافل .... يحصي علي ولو غفلت ذنوبي

أو ليس من جهل بأني نائم .... نـوم السفيه ، وما ينام رقيبي

* أخي: "رحم الله أعظما طالما نصبت (أي تعبت في طاعة الله) وانتصبت(أي في ظلام الليل لمناجاته) ، جن عليها الليل فلما تمكن وثبت (أي عن فرشها للقيام) ، إن ذكرت عدله رهبت وهربت ، وإن تصورت فضله فرحت وطربت!!" [نقلا عن كتاب"التبصرة" لابن الجوزي].

* أخي: لو رأيت رياح الأسحار تحرك أشجار القلوب فتقع ثمار المحبة !! يا لذة خلوقم بالحبيب ، يا وفور نصيبهم من ذلك النصيب!! .

* إخواني: أرواح الأسحار لا يستنشقها مزكوم غفلة،إنها لتأتي بألطاف الحبيب ثم تعود فيحاء تطلب رسالة " هل من مستغفر فأغفر له" !! .

* أخي :" رياح الأسحار تحمل أنين المذنبين وأنفاس المحبين وقصص التائبين ، ثم تعود برد

الجواب ولا كتاب!! " [نقلا عن كتاب"المدهش" لابن الجوزي].

٣٥ معرفة كيف كان الرسولﷺيربي بـــناته على القيام

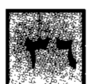
تربية الأبناء مسئولية عظيمة ، وأمانة خطيرة جسيمة ، تقع تبعتها علـى كاهل الأب والأم ، وليست التربية الحقة هي توفـــير الطعـــام والشـــراب واللبـــاس والكماليات للأبناء ، بل التربية الحقيقية تنشئة الأبناء على طاعة رب الأرض والسماء ، ومن هذا المنطلق كان الحبيبﷺيحرص على تربية أبنائه وأقاربه على قيام الليل، قياما بالأمانة التي استرعاه الله إياها !! فهلا عقلنا ذلك !!.

*** عن"علي بن أبي طالب"رضي الله عنه ، أن رسول اللهﷺطرقه وفاطمة بنت محمـــد رضي الله عنها، ذات ليلة** (أي أتاهما في مترلهما بالليل)، **فقال لهما:ألا تصليان ؟!!** (أي مـــن الليـــل) **فقلت :يا رسول الله أنفسنا بيد الله !! فإذا شاء أن يبعثنا بعثنـــــا !!**(أي أيقظنـــا للصـــلاة) ، **فانصرف الرسولﷺحين قلت ذلك ولم يرجع إلي شيئا!!** (أي لم يرد علي) ، **ثم سمعته وهـو مول** (أي مدبر) **يضرب فخذه** (أي إنكارا للاحتجاج بالقدر على التكاسل عن الطاعات والصالحات) **وهـــو يقول:{وكان الإنسان أكثر شيء جدلا}** " [رواه البخاري ومسلم والنسائي] .

***قال"ابن بطال" رحمه الله:"في الحديث فضيلة صلاة الليل ، وإيقاظ النائمين من الأهـل والقرابة لذلك" ، وقال"الطبري" رحمه الله:"لولا ما علم النبيﷺ من عظـــم فضـل الصلاة في الليل ما كان يزعج ابنته وابن عمه في وقت جعله الله لخلقه سكنا** (أي راحـة) ، **لكنه عليه الصلاة والسلام اختار لهما إحراز الفضيلة** (أي فضيلة قيام الليـــل) **علـــى الدعـة والسكون** (أي النوم) ، **امتثالا لقوله تعالى:{وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها}** [سورة طـه الآية (١٣٢)] " [نقلا عن كتاب"فتح الباري" لابن حجر (١٥/٣)] .

* أخي: يا من كان له وقت مع الله فذهب !! يا من كان له قلب فانقــلب !! إلـــى مــتـــى هذا الفرار والهرب ؟!! أما تخشى أن ينالك الهلاك والعطب ؟!! .

*إخواني: خلت والله الديار ، وذهب الصالحون الأبرار ، وارتحل أرباب السهر ، وبقـي أهل البطالة والسمر !! رحل أهل التعبد والصوم !! وبقي أهل الكسل والنوم !!.





ولأهل الليل بين يدي رهم ومولاهم دموع وعبرات ، وابتـــهالات وتضرعات ، وندم على التفريط والزلات ، واستغفار من التقصير والخطيئات ، وافتقار إلى فاطر الأرض والسموات ، وآهات وحسرات وزفرات ، فتعال بنا نرحل إلى تلـــك القمم السامقات ، لنسمع من أخبارهم ما يحرك الجبال الراسيات:

أتاك حديث لا يمـــل سمـــاعــــه .... شـــهـــي إلينا نشـره ونظــامه

إذا ذكرته النفس زال عـــناؤها .... وزال عن القلب الكئيب قتـــامه .

* قال"منصور بن عمار"رحمه الله:" كنت بالكوفــة ، فخرجــت ذات ليلــة أســير في الطرقات ، فمررت بأحد المنازل فسمعت منه صوت شاب يصلي لربه ويناجيه ، ويقول له:" إلهي وعزتك وجلالك ما أردت بمعصيتي مخالفتك !! ولقد عصيتك إذ عصيتـــك وما أنا بنكالك جاهل ، ولا لعقوبتك متعرض ، ولا بنظرك مستخف ، ولكن سولت لي نفسي فأعانتني عليها شقوتي ، وغرني سترك الـــمرخى علي ، فقد عصيتك وخـــالفتك بجهلي ، فإلى من احتمي ؟!! ومن من عذابك يستنقذني ؟!! ومن أيدي زبـــانيتك مـــن يخلصني؟!! وبحبل من اتصل إذا أنت قطعت حبلك عـــني ؟!! وآ ســـوءتاه إذا قيـــل للمخفين (أي قليلي الذنوب والآثام) جوزوا (أي اعبروا الصراط بسلام)!! وللمثقلين حطوا !! فيا ليت شعري مع المثقلين نحط أم مع المخفين نجوز وننجوا ؟!! كلما طال عمري وكبرت ســني كثرت ذنوبي وكثرت خطاياي !! فيا ويلي كم أتوب وكم أعود ولا أستحي من ربي !!

وآ شباباه وآ شباباه !! " [نقلا عن كتاب" الحلية" لأبي نعيم (١٠/١٨٨)].

* قام أحد الصالحين في ظلام الليل للصلاة ، ثم أخذ يناجي ربه قائلا:"يا سيدي وأملي ، ومؤملي ومن به تم عملي ، أعوذ بك من بدن لا ينتصب بين يديك ، وأعوذ بك من قلب لا يشتاق إليك ، وأعوذ بك من دعاء لا يصل إليك ، وأعوذ بك من عين لا تبكي عليك !! " [نقلا عن كتاب" استنشاق نسيم الأنس" لابن رجب].

* كان بعض الصالحين يتهجد من الليل ، ثم ينادي ربه ومولاه قائلا : " قرة عيني وسرور قلبي: ما الذي أسقطني من عينك ؟!! أقلت هذا فراق بيني وبينك ؟!! " [نقلا عن كتاب"المدهش" لابن الجوزي].

* كان العبد الصالح" يحي بن معاذ الرازي" رحمه الله إذا قام يصلي من الليل ، ناجى ربه قائلا :" اللهم إن خطيئتي تعذبني !! وتوبتي تذوبني !! فعيشتي طول دهري بين تعذيب وتذويب!!" [نقلا عن كتاب" تنبيه المغترين" للشعراني].

* كان بعض الصالحين إذا قام يصلي من الليل ، يناجي ربه قائلا :" طوبى لقلوب ملأتها خشيتك ، واستولت عليها محبتك ، فمحبتك مانعة لها من كل لذة غير مناجاتك ، والاجتهاد في خدمتك ، وخشيتك قاطعة لها عن كل معصية خوفا لحلول سخطك ، ثم يبكي ويقول:"يا إخوتاه ابكوا على خوف فوات الآخرة حيث لا رجعة ولا حيلة !!" [نقلا عن كتاب" صفة الصفوة" لابن الجوزي (٤/٧٣)].

* كان بعض الصالحين يقول في مناجاته لربه بالليل:"يا سيدي بك تفرد المتفردون في الخلوات ، ولعظمتك سبحت الحيتان في البحار الزاخرات، ولجلال قدسك اصطفقت الأمواج المتلاطمات ، أنت الذي سجد لك سواد الليل وضوء النهار ، والفلك الدوار ، والبحر الزخار ، والقمر النوار ، وكل شيء عندك بمقدار" [نقلا عن كتاب"صفة الصفوة" لابن الجوزي (٤/٣٧٤)].

* قام أحد الصالحين يصلي بالليل ، ويبكي ويناجي ربه ويقول:" أترى بكائي نافعي عندك ؟!! ومنقذ رقبتي من حكمك ؟!! أتراك آخذا من نفسي بحقك وموبخها على رؤوس الأشهاد بما ضيعت من أمرك ؟!! أوه لكشف سترك عني !! أوه لوقوفي بين

يديك !! " [نقلا عن كتاب"صفة الصفوة" لابن الجوزي (٤/٣٦٥)].

***قام أحد العباد يصلي من الليل ، ويناجي ربه فكان مما قال:" إلهي: عجبت للخليقة كيف أنست بسواك ؟!! بل عجبت للخليقة كيف استنارت قلوبهم بذكر سواك ؟!! "** [نقلا عن كتاب " رهبان الليل" للعفاني (١/٥٦٣)].

*** كان العبد الصالح" خليفة العبدي" رحمه الله إذا هدات العيون يقول:"إلهي إليك قمت أبتغي ما عندك من الخيرات، ثم يعمد إلى محرابه فلا يزال يصلي حتى يطلع الفجر ، وكان يدعو في السحر فيقول:"هب لي إنابة إخبات وإخبات منيب، وزيني في خلقك بطاعتك ، وحسني لديك بحسن خدمتك ، وأكرمني إذا وفد إليك المتقون ، فأنت خير مسئول وخير معبود وخير مشكور وخير محمود !! "** [نقلا عن كتاب"الحلية"لأبي نعيم (٩/٣٥٨)].

*** قام بعض الصالحين يصلي من الليل ويناجي ربه، فكان مما قال في مناجاته : " سيدي:قصدك عبد روحه لديك ، وقياده بيديك ، واشتياقه إليك ، وحسراته عليك ، ليله أرق ، ونهاره قلق ، وأحشاؤه تحترق ، ودموعه تستبق ، شوقا إلى رؤيتك ، وحنينه إلى لقائك ، ليس له راحة دونك ، ولا أمل غيرك "** [نقلا عن كتاب" استنشاق نسيم الأنس" لابن رجب].

*** وكان العبد الصالح"يحي بن معاذ الرازي" رحمه الله يقول في مناجاته لربه في ظلام الليل:"أحلى العطايا في قلبي رجاؤك، وأعذب الكلام على لساني ثناؤك ، وأحب الساعات إلي ساعة يكون فيها لقاؤك !!"** [نقلا عن كتاب" استنشاق نسيم الأنس" لابن رجب].

*** كان أحد الصالحين يناجي ربه في سجوده في جوف الليل ويقول:"إلهي: أغلقت الملوك أبو ابها ، وبابك مفتوح للسائلين ، إلهي: غارت النجوم ، ونامت العيون، وأنت الحي القيوم ، الذي لا تأخذه سنة ولا نوم ، إلهي: فرشت الفرش ، وخلا كل حبيب بحبيبه، وأنت حبيب المتهجدين وأنيس المستوحشين !! إلهي: إن طردتني عن بابك فإلى باب من التجيء ؟!! وإن قطعتني عن خدمتك فخدمة من ارتجي ؟!! إلهي: إن عذبتني فإني مستحق العذاب والنقم ، وإن عفوت عني فأنت أهل الجود والكرم ، يا سيدي: لك**

أخلص العارفون ، وبفضلك نجا الصالحون ، وبرحمتك أناب المقصرون ، يا جميل العفو أذقني برد عفوك وحلاوة مغفرتك ، وإن لم أكن أهلا لذلك فأنت أهل التقوى وأهل المغفرة " [نقلا عن كتاب" استنشاق نسيم الأنس" لابن رجب].

* كانت بعض الصالحات إذا قامت تصلي من الليل ناجت مولاها قائلة:"اللهم إن إبليس عبد من عبيدك ، ناصيته بيدك ، يراني من حيث لا أراه ، وأنت تراه من حيث لا يراك، اللهم إنك تقدر على أمره كله ، وهو لا يقدر من أمرك على شيء ، اللهم إن أرادني بشر فأرده (أي أهلكه) ، وإن كادني فكده ، أدرأ بك في نحره، وأعوذ بك من شره" [نقلا عن كتاب" صفة الصفوة"لابن الجوزي (٤/٤٤٠)].

* أخي :قم في ظلام الليل وناج ربك وانكسر له ،وقل بلسان الخاضع الذليل: سبحانك!! ما أضيق الطريق على من لم تكن دليله!! سبحانك ما أوحش الطريق على من لم تكن أنيسه !! سبحانك سبحانك ، لك الجمال والجلال والكمال.

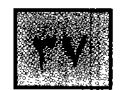
* أخي: ألق نفسك في الدجى على باب الذل ، وقل لربك ومولاك : "إلهي كم لك سواي ؟!! وما لي سواك ، عبيدك سواي كثير وليس لي سيد سواك !! فبفقري إليك وغناك عني ، وبقوتك وضعفي ، وبعزك وذلي إلا رحمتني وعفوت عني ، هذه ناصيتي الكاذبة الخاطئة بين يديك ، اسألك مسالة المسكين ، وأبتهل إليك ابتهال الخاضع الذليل ، وأدعوك دعاء الخائف الضرير ، سؤال من خضعت لك رقبته ، ورغم لك أنفه وفاضت لك عينه ، وذل لك قلبه ، اللهم لا تعذب نفسا قد عذبها الخوف منك ، ولا تخرس لسانا كل ما يروي عنك ، ولا تقذ (أي لا تعمي) بصرا طالما بكى من مخافتك ، ولا تخيب رجاء هو معلق بك ، ولا تحرق بالنار وجها سجد لعظمتك ، ولا تعذب بالنار بنانا كتب في طاعتك ، ولا لسانا دل الناس على شريعتك".

*وما أجمل ما قاله الشاعر واصفا حال أهل الليل في مناجاتهم لربهم:

أرواحهم خشعت لله في أدب .... قلوبهم من جلال الله في وجل

نجواهم: ربنا جئناك طائعة .... نفوسنا، وعصينا خادع الأمل
إذا سجى الليل قاموه وأعينهم .... من خشية الله مثل الجائد الهطل
هم الرجال فلا يلهيهم لعب ... عن الصلاة ، ولا أكذوبة الكسل

[نقلا عن كتاب"الرقائق" للراشد].



إدراك أن القيام سبب للنجاة من النيران

وخصلة أخرى تزيدك تحمسا لقيام الليل ،ألا وهي أن تعلم أن القيام ، ومناجاة الملك العلام ، في جنح الظلام ، سبب للنجاة من النيران ، فهل لك صبر على نار تلظى ؟!! وهل لك قبل بسقر التي لا تبقي ولا تذر ؟!! .

* عن" ابن عمر"رضي الله عنهما قال: كان الرجل في حياة الرسولﷺإذا رأى رؤيا قصها على الرسول عليه الصلاة والسلام ، فتمنيت أن أرى رؤيا أقصها على النبيﷺ ، قال: وكنت غلاما شابا عزبا ، وكنت أنام في المسجد على عهد رسول اللهﷺ ، فرأيت في النوم كأن ملكين أخذاني فذهبا بي إلى النار (أي فوقفت عليها و لم أدخلها) ، فإذا هي مطوية (أي مبنية) كطي البئر ، وإذا لها قرنان كقرني البئر (هما الخشبتان اللتان عليهما الخطاف وهي الحديدة التي في جانب البكرة التي يستقى بها بواسطة الدلو) ، وإذا فيها ناس قد عرفتهم ، فجعلت أقول : أعوذ بالله من النار !! أعوذ بالله من النار!! أعوذ بالله من النار !! قال: فلقيهما ملك فقال لي: لم تروع (أي لاخوف عليك) ، فقصصتها على" حفصة" فقصتها" حفصة" على الرسولﷺ، فقال: " نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل" قال"سالم": فكان " عبد الله" بعد ذلك لا ينام من الليل إلا قليلا " [رواه البخاري ومسلم].

*قال" القرطبي" تعقيبا على الحديث:" إنما فسر الشارع من رؤيا "عبد الله" ما هو ممدوح ، لأنه عرض على النار ثم عوفي منها ، وقيل له: لا روع عليك ، وذلك لصلاحه ، غير

أنه لم يكن يقوم من الليل ، فحصل لعبد الله من ذلك تنبيه على أن قيام الليل مما يتقي به النار والدنو منها ، فلذلك لم يترك قيام الليل بعد ذلك.." [نقلا عن كتاب" فتح الباري" لابن حجر (٩/٣)].

* وقال" الشنقيطي"رحمه الله :" وفي هذا الحديث أن قيام الليل يدفع العذاب (أي عذاب النار)" [نقلا عن كتاب" زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم" لأبي الجكنى الشنقيطي"(٤٤٠/٣)].

* أخي: قف على طريق المتهجدين بالليل فلعل أحدهم أن يحملك معه ، وانظر وجوههم وأحوالهم ، فإذا هم رجال كحلوا أعينهم بالسهر، وشغلوا خواطرهم بالفكر ، وأشغلوا قلوبهم بالعبر ، نازلهم الخوف فصاروا والهين ، وجن عليهم الليل فرآهم سلهرين ، وهبت رياح الأسحار فمالوا مستغفرين ، فإذا رجعوا وقت الفجر بالأجر نادى منادي الهجر : يا خيبة النائمين !! هذه طريقهم فأين السالك ؟!! وهذه صفاهم فمن يقتدي هم في ذلك ؟!! وهذه أوصافهم فاشدد إليها رحالك ؟!! ولا تتشعبن بك الطرق والمسالك !!.

٣٨ عدم الإفراط في النوم

الإفراط في النوم والاستغراق فيه ، عادة سيئة ، وخصلة ذميمة ، لأنها مدعاة لقسوة القلب وغفلته ، كما أنها سبب لكسل البدن وخموله ، علاوة على كونها مضيعة وهدرا لكثير من الأوقات في غير فائدة ، كما أنها عون للشيطان على قتل همة المرء وحماسته للآخرة ، وبالتالي تفويت الكثير والكثير من الطاعات على المرء وحرمانه منها ، ثم إنها تفقر المرء من الحسنات يوم القيامة !! .

* عن"جابر بن عبد الله" رضي الله عنهما قال: قال الرسول ﷺ:" قالت أم "سليمان بن داود" لسليمان :يا بني لا تكثر النوم بالليل ، فإن كثرة النوم بالليل تترك الرجل فقيرا (أي من الحسنات) يوم القيامة" [رواه"ابن ماجة والبيهقي"، وقال"الهيثمي" في"مجمع الزوائد"(٨٠/٢):وفي إسناده

احتمال للتحسين، وقال"الحافظ "ابن حجر": فيه "الفضل بن عيسى الرقاشي" وقد أجمعوا على ضعفه"] .

*** وفي رواية أنها قالت له:" يا بني لا تكثر النوم ، فيفقرك يوم يحتاج الناس إلى أعمالهم"** [نقلا عن كتاب "مختصر قيام الليل" للمقريزي].

*** قال الأستاذ"سيد قطب" في ظلال آية: {يا أيها المزمل* قم الليل} :" إن الذي يعيش لنفسه قد يعيش مستريحا، ولكنه يعيش صغيرا ويموت صغيرا ،... ، فأما الكبير الذي يحمل هذا العبء الكبير فما له وللنوم ؟!! وما له وللراحة ؟!! وما له وللفراش الدافيء ؟!! والعيش الهاديء ؟!! والمتاع المريح ؟!! ولقد عرف رسول الله ﷺ حقيقة الأمر وقدره، فقال لخديجة رضي الله عنها ــ وهي تدعوه أن يطمئن وينام ــ : "مضى عهد النوم يا خديجة!! "** [نقلا عن كتاب"في ظلال القرآن" لسيد قطب، ج ٦].

- **ولقد أوصانا سلفنا الكرام بعدم الإكثار من النوم ، وبينوا لنا الأضرار المترتبة على ذلك:**

*** قال"أويس القرني" رحمه الله:"يا عجبا ممن يعلم أن الجنة تزين فوقه ، وأن النار تسعر تحته !! كيف ينام من هو بينهما ينظر إليهما !! "** [نقلا عن كتاب "تاريخ دمشق" لابن عساكر (٣/٧٤/٢)].

*** قال"إبراهيم بن أدهم" رحمه الله:"إذا كنت بالليل نائما ، وبالنهار هائما، وفي المعاصي دائما، فكيف ترضي من هو بأمورك قائما !! "** [نقلا عن كتاب"الحلية" لأبي نعيم (١١/٨)، وكتاب "البداية والنهاية" لابن كثير (١٠/١٤١)].

*** ورحم الله من قال:**

ياكثير الرقاد والغفلات .... كثرة النوم تورث الحسرات .

*** قال العبد الصالح"أحمد بن حرب" رحمه الله:"عجبت لمن يعلم أن الجنة تزين فوقه ، والنار تضرم تحته ، كيف ينام بينهما ؟!! "** [نقلا عن كتاب"إحياء علوم الدين"للغزالي (٤/٤٣٥)].

***قال"يحي بن معاذ الرازي"رحمه الله:"الليل طويل فلا تقصره بمنامك ، والإسلام نقي فلا تدنسه بآثامك"** [نقلا عن كتاب"لطائف المعارف" لابن رجب].

*قال"الفضيل بن عياض" رحمه الله:"أدركت أقوامـا يستحيون من الله في سواد هـذا الليل من طول الهجعة (أي كثرة النوم) !! إنما هو على الجنب، فإذا تحرك (أي أفاق من نومه) قال:ليس هذا لك !! قومي خذي حظك من الآخرة !!" [نقلا عن كتاب"حلية الأولياء" لأبي نعيم (١٠١/٨)].

* كان"شريح بن هانيء"رحمه الله يقول:ما فقد رجل شيئا أهون عليه من نعسة تركها!! (أي لأجل قيام الليل):

واصبر مع الله على فقدها ... أهون شيء نومة تفقد "

[نقلا عن كتاب"الصلاة والتهجد" لابن الخراط].

* عن"المعلى بن زياد" قال:"كان"هرم بن حيان" رحمه الله يخرج في بعض الليالي وينادي بأعلى صوته:"عجبت من الجنة كيف ينام طالبها ؟!! وعجبت من النار كيف ينام هاربها ؟!!، ثم يقرأ:{ أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون} [سورة الأعراف الاية (٩٧)] ، ثم يقرأ:{ والعصر* إن الإنسان لفي... } ، ثم يقرأ:{ ألهاكم التكاثر* حتى زرتم ......}، ثم يرجع إلى بيته" [نقلا عن كتاب"الزهد" للإمام أحمد].

* قال"أبو إسحاق السبيعي" رحمه الله:" ما أقلت عيني غمضا منذ أربعين سنة !! إذا استيقظت لم أقلها (أي لم أرجع إلى النوم مرة أخرى) " [نقلا عن كتاب"تذكرة الحفاظ" للذهبي (١١٥/١)].

* أخذ"الفضيل بن عياض" رحمه الله بيد "الحسين بن زياد"رحمه الله ، فقال له:يا حسين: يتزل الله تعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا فيقول الرب: كذب من أدعى محبتي فإذا جنه الليل نام عني ؟!! أليس كل حبيب يخلو بحبيبه ؟!! ها أنا ذا مطلع على أحبائي إذا جنهم الليل ،.....، غدا أقر عيون أحبائي في جناتي " [نقلا عن كتاب"الحلية " لأبي نعيم (١٠٠/٨)].

* قال"ثابت البناني"رحمه الله:"إذا نمت ثم استيقظت ثم ذهبت أعود إلى النوم ، فلا أنام الله عيني إذن !! " [راجع كتاب" حلية الأولياء" لأبي نعيم (٣٢٠/٢)].

* قال"محمد بن النضر الحارثي" رحمه الله:"أكره أن اعطي عيني في الدنيا سؤلها في النوم" [نقلا عن كتاب" الحلية" لأبي نعيم (٢١٩/٨)].

*قال"قتادة بن دعامة السدوسي" رحمه الله:" منع البر النوم !! (أي منع الاجتهاد في الطاعات عباد الرحمن من الاستغراق والإفراط في النوم والكسل)، وكانوا ينامون (أي طوال الليل) قبل الإسلام ، فلما جاء الإسلام أخذوا والله من نومهم وليلهم ونهارهم وأموالهم وأبدانهم ما تقربوا بـه إلى ربهم" [نقلا عن كتاب"حلية الأولياء" لأبي نعيم (٣٣٨/٢)].

* قال"عبد العزيز بن سلمان الراسبي" رحمه الله:"ما للعابدين وما للنوم (أي الإفراط فيه) ؟!! لا نوم والله في دار الدنيا إلا نوم غالب " [نقلا عن كتاب"حلية الأولياء" لأبي نعيم (٢٤٥/٦)].

* قال"ابن الجوزي" رحمه الله:" لما امتلأت أسماع المتهجدين بمعاتبة"كذب من أدعى محبتي فإذا جنه الليل نام عني" حلفت أجفانهم على جفاء النوم!! " [نقلا عن كتاب"المدهش" لابن الجوزي].

* قال"هشام الدستوائي" رحمه الله:"إن لله عبادا يدفعون النوم مخافة أن يموتوا في منامهم" [نقلا عن كتاب"مختصر قيام الليل" للمقريزي].

* قال"يوسف بن أسباط" رحمه الله:"عجبت كيف تنام عين (اي تستغرق في النوم) مع المخافة (أي خوف النار) ؟!! " [نقلا عن كتاب"مختصر قيام الليل" للمقريزي].

* قال"سليمان بن طرخان" رحمه الله:"إن العين إذا عودتها النوم اعتادت ، وإذا عودتها السهر اعتادت" [نقلا عن كتاب"حلية الأولياء" لأبي نعيم (٢٩/٣)].

*قال"يزيد بن أبان الرقاشي" رحمه الله:"إذا أنا نمت فاستيقظت ثم عدت في النوم فلا أنام الله عيني !! " [نقلا عن كتاب" مختصر قيام الليل" للمقريزي].

* قال"إبراهيم بن أدهم" رحمه الله حاثا على قيام الليل والتقليل من النوم:

قم الليل يا هذا لعلك ترشد .... إلى كم تنام الليل والعمر ينفد؟!!
اراك بطول الليل ويحك نائما .... وغيرك في محرابه يتهجد
ولو علم البطال ما نال زاهد .... من الأجر والاحسان ما كان يرقد
فصام وقام الليل ، والناس نوم .... ويخلو برب واحد متفرد
بحزم وعزم واجتهاد ورغبة .... ويعلم أن الله ذا العرش يعبد
ولو كانت الدنيا تدوم لأهلها ....لكان رسول الله حيا مخلد

أترقد يا مغــرور والنار تــوقد .... فلا حــرها يطفا ولا الجمر يخمد

فيا راكب العصيان ويحك خلها .... ستجشر عطشانا ووجهك أسود

[نقلا عن كتاب"عقود اللؤلؤ والمرجان" لإبراهيم بن عبيد].

* كان العبد الصالح" همام بن الحارث النخعي"رحمه الله يدعو فيقول:"اللهم اشفني مـــن النوم باليسير، وارزقني سهرا في طاعتك!!" فكان لا ينام إلا هنيهة وهو قاعد!! " [نقلا عن كتاب"حلية الأولياء" لأبي نعيم (١٧٨/٤)].

* كانت الأمة الصالحة" معاذة العدوية" رحمها الله تقوم الليل وتناجي ربها، فإذا غلبـــها النوم وهي تصلي قامت فجالت في الدار وهي تقول:" يا نفس: النوم أمـــامك !! لـــو قدمت (أي على القبور) لطالت رقدتك في القبور على حسرة أو سرور !! وكانت تقــول:" عجبت لعين تنام !! وقد عرفت طول الرقاد في ظلم القبور !!" [نقلا عن كتاب" صفة الصفــوة" لابن الجوزي (٢٣/٤)].

* كان"معضد العجلي" رحمه الله يقول في سجوده:"اللهـــم اشــفــــني مـــن النـــوم باليسير!! " [نقلا عن كتاب"حلية الأولياء" لأبي نعيم (١٥٩/٤)].

*وما أجمل ما قاله"أبو سهل الصعلوكي" رحمه الله موبخا نفسه على كثرة النوم مع كثرة الذنوب:

أنام على سهو وتبكي الـــحـــمائم ... وليس لها جـــرم ومـــني الجرائم

كذبت لعمرو الله لو كـــنت عاقلا ... لما سبـــقـــتني بالبـــكاء الحمائم

[نقلا عن كتاب" الرقائق" للراشد].

* قال"الحسن بن صالح" رحمه الله:"إني أستحيي من الله تعالى أن أنام تكلفا (أي أن أضطجـــع على الفراش وليس بي نوم)!! حتى يكون النوم هو الذي يصير عني (أي هو الذي يغلبني) ، فإذا أنـــا نمت ثم استيقظت ثم عدت نائما فلا أرقد الله عيني!!" [نقلا عن كتاب"الحلية" لأبي نعيم (٣٢٨/٧)].

* قال"سفيان الثوري" رحمه الله:"شر حالات المؤمن أن يكون نائما ، وخـــير حـــالات الفاجر أن يكون نائما ، لأن المؤمن إذا كان مستيقظا فهو متحل بطاعة الله فهو خير له من نومه ، والفاجر إذا كـــان مستيقظا فهو متحل بمعاصي الله فنومه خير من يقظته !!"

[نقلا عن كتاب" رهبان الليل" للعفاني (١/٥٢١)].

* قشر للإمام "النووي" رحمه الله أحد أصحابه خيارة ، ليطعمه إياها فامتنع النووي من أكلها ، وقال: أخشى أن ترطب جسمي وتجلب لي النوم (أي النوم الكثير) !! " [نقلا عن كتاب"سيرة الإمام النووي"للحافظ السخاوي].

* شكا بعض الطلاب لأستاذه سهره بالليل ، وأن طوله قد أضر به ، وأنه لايقدر أن ينام فيه ، وسأله عن شيء يستجلب به النوم ، فقال له أستاذه : يا بني إن لله نفحات في الليل والنهار ، تصيب القلوب المستيقظة وتخطيء القلوب النائمة ، فتعرض يا بني لتلك النفحات !! فقال له: يا أستاذ: تركتني حياتي لا أنام بالليل والنهار ما استطعت!!(أي لحرصي على موافقة تلك النفحات)" [نقلا عن كتاب"الصلاة والتهجد" لابن الخراط].

* أخي:"اصرف أربعة أشياء إلى أربعة مواضع وخذ الجنة: النوم إلى القبر، والراحة إلى الصراط ، والفخر إلى الميزان ، والشهوات إلىالجنة !! " [نقلا عن كتاب" الحلية" لأبي نعيم (١٠/٥٠)].

* قيل "لسفيان الثوري" رحمه الله:"كيف تصنع في ليلك ؟!! فقال:لها عندي أول نومة تنام ما شاءت لا أمنعها !! فإذا استيقظت فلا أقيلها والله (أي لا أعود إلى النوم مرة أخرى)" [نقلا عن كتاب" تاريخ بغداد" للخطيب البغدادي (٩/١٥٧)].

* قال الشاعر:

وكيف تنام العين وهي قريرة..... ولم تدر في أي المحلين تنزل .

* قيل للعبد الصالح" يزيد بن هارون" رحمه الله ــ وكان ذا عينين جميلتين فعمي من كثرة بكائه بالليل ــ :يا أبا خالد ما فعلت العينان الجميلتان ؟!! فقال: ذهب بهما بكاء الأسحار!! ولما سئل عن حزبه قال:وأنام من الليل شيئا ؟!! إذا لا أنام الله عيني !!" [نقلا عن كتاب"الزهد" للإمام أحمد].

* كان العبد الصالح" عبد الواحد بن زيد"رحمه الله ، يبكي ويقول:" فرق النوم بين المصلين وبين لذتهم في الصلاة!! " [نقلا عن كتاب" حلية الأولياء" لأبي نعيم (٦/١٥٥)].

٣٩ معرفة وصايا السلف في الحث على القيام

أخي: كلام السلف قليل اللفظ كثير البركة ، وكلام من بعدهم كثيراللفظ قليل البركة ، وما ذاك إلا لصدقهم رحمهم الله وإخلاصهم لله:

قليل منك يكفيني ولكن ... قليلك لا يقال له قليل

ولقد أوصانا سلفنا الكرام بقيام الليل ، وحثونا على ملازمته والمواظبة عليه ، قياما منهم بواجب النصح لعامة المسلمين وخاصتهم ، ولقد نصحوا فأخلصوا وصدقوا .

*عن"عائشة" رضي الله عنها قالت:" عليكم بقيام الليل ، فإن رسول الله ﷺ كان لا يدعه، فإن مرض قرأ وهو قاعد ، وقد عرفت أن أحدكم يقول: بحسبي أن أقيم ما كتب لي !! وأنى له ذلك " [رواه أحمد في المسند].

* قال"عبدالله بن مسعود" رضي الله عنه:"فضل صلاة الليل على صلاة النهار كفضل صدقة السر على صدقة العلانية " [نقلا عن كتاب" حلية الأولياء" لأبي نعيم (١٣٠/١) وكتاب"االزهد" لابن المبارك]

* قال"أبو الدرداء" رضي الله عنه:"إن شئت لأقسمن لكم أن أحب عباد الله إلى الله لرعاء الشمس والقمر (أي أهل قيام الليل)" [نقلا عن كتاب"الزهد" للإمام أحمد].

* قال"سلمان الفارسي" رضي الله عنه:"لو بات رجل يطاعن الأقران لكان الذاكر (أي المصلي لله بالليل) أفضل" [نقلا عن كتاب"الحلية" لأبي نعيم (٢٠٤/١)].

* قال"ابن مسعود"رضي الله عنه:" لا ألفين أحدكم جيفة ليل (أي متكاسلا متقاعسا عن قيام الليل) ، قطرب نهار (أي نشيطا بالنهار ينتقل من هنا إلى هنا في اللهو والغفلة) " [نقلا عن كتاب"حلية الأولياء" لأبي نعيم (١٣٠/١)، وكتاب"الفوائد" لابن القيم].

* قال"أبو ذر الغفاري" رضي الله عنه:"يا أيها الناس إني لكم ناصح ، وإني عليكم شفيق ، صلوا في ظلمة الليل لوحشة القبور ، وصوموا في الدنيا لحر يوم النشور ، وتصدقوا مخافة يوم عسير ، يا أيها الناس إني لكم ناصح !! إني عليكم شفيق!! " [نقلا عن كتاب"الزهد" للإمام أحمد].

* **قال"عمر و بن العاص" رضي الله عنه:"ركعة بالليل أفضل من عشر بالنهار"** [نقلا عن كتاب"مختصر قيام الليل" للمقريزي] .

* **قال"عبد الله بن مسعود"رضي الله عنه:"ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون ، وبنهاره** (أي صومه) **إذا الناس يفطرون ، وبحزنه إذا الناس يفرحون ، وببكائه إذا الناس يضحكون ، وبصمته إذا الناس يخوضون، وبخشوعه إذا الناس يختالون"** [نقلا عن"حلية الأولياء" لأبي نعيم (١/١٣٠)].

* **قال"يحي بن معاذ الرازي"رحمه الله:" ما وجدنا في الفضائل عملا أفضل من قيام الليل ، ولا ورثوا عن شيء من تلك الأعمال ما ورثوا عن قيام الليل ، به وجدوا القلوب، وزايلوا الذنوب ، ووقعوا على الطريق إلى علام الغيوب"** [نقلا عن كتاب"رهبان الليل"للعفاني (٢/٤٦٥)]..

* **قال"سلمان الفارسي" رضي الله عنه:"إذا صلى الناس العشاء صدروا على ثلاث منازل: منهم من عليه ولا له ، ومنهم من له ولا عليه ، ومنهم من لا له ولا عليه: فرجل اغتنم ظلمة الليل وغفلة الناس فركب رأسه في المعاصي فذلك عليه ولا له ، ومنهم من اغتنم ظلمة الليل وغفلة الناس فقام يصلي فذلك له ولا عليه ، ومنهم من لا له ولا عليه ، فرجل صلى ثم نام فذلك لا له ولا عليه"** [نقلا عن كتاب"الحلية" لأبي نعيم (١/١٨٩)].

* **قال"الحسن البصري" رحمه الله:"ما عمل العبد عملا بعد الجهاد في سبيل الله أفضل من ناشئة الليل"** [نقلا عن كتاب"الزهد" للإمام أحمد] .

* **قال"ثابت البناني" رحمه الله:"لا يسمى عابد أبدا عابدا، وإن كان فيه كل خصلة خير، حتى تكون فيه هاتان الخصلتان: الصوم والصلاة، لأنهما من لحمه ودمه !!" .**

* **قال"طاووس بن كيسان" رحمه الله:"ألا رجل يقوم بعشر آيات من الليل ، فيصبح وقد كتب له مائة حسنة أو أكثر من ذلك"** [نقلا عن كتاب"حلية الأولياء" لأبي نعيم (٤/٦)].

* **قال"القاسم بن عثمان" رحمه الله:"أصل الدين الورع، وأفضل العبادة مكابدة الليل ، وأفضل طرق الجنة سلامة الصدر!! "** [نقلا عن كتاب" صفة الصفوة" لابن الجوزي (٤/٢٣٦)].

* قال"أبو سليمان الداراني"رحمه الله لتلميذه"أحمد بن أبي الحوارى":"يا أحمد كن كوكبا ، فإن لم تكن كوكبا فكن قمرا ، فإن لم تكن قمرا فكن شمسا !! فقال له"ابن الحوارى": يا أبا سليمان: القمر أضوأ من الكواكب، والشمس أضوأ من القمر!! فقال"أبو سليمان": يا أحمد كن مثل الكوكب يطلع من أول الليل إلى الفجر ، فقم أول الليل إلى آخره ، فإن لم تقو على قيام الليل فكن مثل الشمس تطلع من أول النهار إلى آخره (أي صلي لله بالنهار) ، فإن لم تقدر على قيام الليل فلا تعص الله بالنهار !! " [نقلا عن كتاب"حلية الأولياء"لأبي نعيم (٢٦١/٩)] .

* قال"عمر بن ذر" رحمه الله:"اعملوا لأنفسكم رحمكم الله في هذا الليل وسواده (أي صلوا في ظلام الليل) ، فإن المغبون من غبن خير النهار والليل ، والمحروم من حرم خيرهما ، وإنما جعلا سبيلا للمؤمنين إلى طاعة ربهم ، ووبالا على الآخرين للغفلة عن أنفسهم ، فأحيوا أنفسكم بذكر الله، فإنما تحيا القلوب بذكر الله" [نقلا عن كتاب"مختصر قيام الليل" للمقريزي].

* قال"شيخ من بني"تيم الله" لفتيان الحي ونساكه :"يا إخوتاه: قوموا !! (أي صلوا في ظلام الليل) قيام قوم قد يئسوا من المعاودة لمجلسهم (أي يئسوا من العودة إلى الدنيا) خوفا من خطفات الموكل بالنفوس(اي ملك الموت) ، ثم يبكي ويبكي من حوله" [نقلا عن كتاب"مختصر قيام الليل" للمقريزي] .

* وما أجمل ما قاله الأستاذ "حسن البنا" رحمه الله حاثا على قيام الليل: " دقائق الليل غالية ، فلا ترخصوها بالغفلة" [نقلا عن كتاب"الرقائق" للراشد].

* يا غافلا عن قيام الليل: لو استفاق قلبك المخمور بخمر الذنوب والمعاصي ، لاستنشقت عبير الأسحار ، ولاشتقت إلى أريج الاستغفار ، ولحننت إلى شذى البكاء والانكسار ، ولكنه إذا مات القلب لم يحزن لفوات طاعة ، ولم يندم على اقتراف معصية !! ولم يشعر بلذة مناجاة ، ولم يتلذذ بأنس خلوة !! فنعوذ بالله من الحرمان!! .

٤٠ محاسبة النفس وتوبيخها على ترك القيام

محاسبة النفس ومراقبتها، هي منهج الصالحين ، وطريق الصادقين، وزاد المتقين، وهي رأس مال الفائزين في جنات النعيم، وما نجا من نجا ـ بعد رحمة الله ـ إلا بمحاسبة النفس وإكراهها على فعل الطاعات، وما هلك من هلك إلا بترك محاسبة النفس وإطلاق العنان لها لترتع في الشهوات.

* وقد أمرنا المولى تبارك وتعالى بمحاسبة أنفسنا ومعاتبتها، فقال تعالى:{يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون} [سورة الحشر الآية(١٨)].

* واستمع إلى"ابن القيم" وهو يقول:" فإذا كان العبد مسئولا ومحاسبا على كل شيء حتى على سمعه وبصره وقلبه ،كما قال تعالى: {إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا} [سورة الإسراء الآية (٣٦)] ، فهو حقيق أن يحاسب نفسه قبل أن يناقش الحساب" [نقلا عن كتاب "إغاثة اللهفان" لإبن القيم ج١] .

* واستمع إلى "أبي حامد الغزالي"رحمه الله وهو يقرر هذا المبدأ بقوله :" عرف أرباب البصائر من جملة العباد ، أن الله تعالى لهم بالمرصاد، وأنهم سيناقشون الحساب ، وتحققوا أنهم لن ينجيهم من هذه الأخطار إلا لزوم المحاسبة وصدق المراقبة ، ومطالبة النفس في الأنفاس والحركات ، فمن حاسب نفسه قبل أن يحاسب ، خف في القيامة حسابه ، وحضر عند السؤال جوابه ، وحسن منقلبه ومآبه ، ومن لم يحاسب نفسه دامت حسراته ، وطالت في عرصات القيامة وقفاته ، وقادته إلى الخزي والمقت سيئاته" [نقلا عن كتاب"إحياء علوم الدين" لأبي حامد الغزالي ج٤] .

- واستمع معي إلى هذه المحاسبة الدقيقة لهذه النفس الظالمة الآثمة:

* كان العبد الصالح" عون بن عبدالله بن عتبة" رحمه الله يحاسب نفسه ويقول :" ويحي من خطيئة ذهبت شهوتها، وبقيت تبعتها ، عندي في كتاب كتبه كتاب لم يغيبوا عني!!

وآ سوأتاه لم أستحيهم ولم أراقب ربي !! ويحي نسيت ما لم ينسوا مني !! ويحي غفلت ولم يغفلوا عني !!...، وآ سوأتاه !! ويحي حفظوا ما ضيعت مني ، ويحي طاوعت نفسي وهي لا تطاوعني ، ويحي طاوعتها فيما يضرها ويضرني !!... ويحها تريد اليوم أن ترديني ، وغدا تخاصمني !! رب لا تسلطها على ذلك مني ،...، ويحي كيف أفر من الموت وقد وكل بي!! ويحي كيف أنساه ولا ينساني ؟!!.

ويحك يا نفس: ما لك تنسين ما لا ينسى؟!! وقد أوتيت ما لا يؤتى ، وكل ذلك عند ربي يحصى ، في كتاب لا يبيد ولا يبلى !! ، ويحك لا تخافين أن تجزي فيمن يجزى ، يوم تجزى كل نفس بما تسعى ، وقد آثرت ما يبقى على ما يفنى!!.

يا نفس: ويحك ألا تستفيقين مما أنت فيه ؟!! إن سقمت تندمين ، وإن صححت تأثمين ، مالك إن افتقرت تحزنين ، وإن استغنيت تفتنين ؟!! مالك إن نشطت تزهدين ؟!! فلم إن دعيت تكسلين؟!! أراك ترغبين قبل أن تنصبي، فلم لا تنصبين فيما ترغبين؟!!.

يا نفس: ويحك !! لم تخالفين ؟!! تقولين في الدنيا قول الزاهدين وتعملين فيها عمل الراغبين ؟!! ويحك لم تكرهين الموت ؟!! مالك إن سألت تكثرين ؟!! فلم إن أنفقت تقترين؟!!..." [نقلا عن كتاب"الحلية " لأبي نعيم ، في ترجمة"عون بن عبدالله بن عتبة"].

فحاسب نفسك أيها الحبيب وأيتها الغالية في كل يوم ، هل قمت البارحة بالليل تصلي لربك ومولاك؟!! فإن كان الجواب بالإيجاب ، فحاسب نفسك هل صليت القيام بخشوع وخضوع وإقبال على الله ؟!! هل تلذذت بالقيام كما كان الصالحون الأبرار يتلذذون به ؟!! هل بكيت من خشية الله وأنت في ظلام الليل ؟!! هل أطلت القيام وترسلت فيه أم أنك اسرعت فيه ونقرته ؟!! .

وإن كنت لم تقم البارحة لصلاة الليل ، فحاسب نفسك : إلى متى الغفلة ؟!! ما الذي منعك من القيام وصرفك عنه ؟!! لماذا تقوم للدوام المدرسي أو الوظيفي ولا تقوم لمناجاة الحي القيوم ؟!! ثم عليك بعد هذه المحاسبة أن تنتقل إلى مرحلة أخرى ، وهي معاقبة النفس على التقصير في قيام الليل ، وهذا سيرد بسطه في الطريقة

رقم (٦٧) من هذا الكتاب، فراجعه هناك مشكورا .

٤١ الرسول ﷺ يدعونا إلى التنافس في القيام

ومزية أخرى تزيدك أيها الحبيب وأيتها الغالية تحمسا لقيام الليل ،

ألا وهي أن تعلما أن النبي ﷺ يدعونا إلى التنافس والتسابق في قيام الليل، ويحثنا على المسارعة في ذلك ، {وفي ذلك فليتنافس المتنافسون} [سورة المطففين الآية (٢٦)]، فهلا أجبنا النداء ؟!! وهلا شمرنا عن ساعد الجد تسابقا وتنافسا في القيام والتعبد والصيام ، لنفوز بدار السلام؟!! .

* عن"يزيد بن الأخنس" رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:" لا تنافس بينكم إلا في اثنتين: رجل أعطاه الله قرآنا فهو يقوم به آناء الليل والنهار ، ويتبع ما فيه ، فيقول رجل: لو أن الله أعطاني ما أعطى فلانا فأقوم به كما يقوم ، ورجل أعطاه الله مالا فهو ينفق منه ويتصدق ، فيقول رجل مثل ذلك " [رواه الطبراني في" الكبير" ورواه أحمد في " المسند" وأبو يعلى من حديث " أبي سعيد" بسند جيد كما قال المنذري في" الترغيب والترهيب" وجود إسناده الألباني" في " صحيح الترغيب والترهيب" (٢٦١/١)].

* وعن"ابن عمر"رضي الله عنهما قال:قال الرسول ﷺ:" لا حسد (أي لا تنافس ولا غبطة) إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار" [رواه البخاري ومسلم].

* قال"داود الطائي" رحمه الله :"ما حسدت أحدا(أي ما غبطته) على شيء إلا أن يكون رجلا يقوم الليل!! فإني أحب أن أرزق وقتا من الليل" [نقلا عن كتاب" تاريخ بغداد" للبغدادي (٣٥٣/٨)].

* ولله در من قال:

قم في الدجى واتل الكتاب ولا ... تنم إلا كنومة حائر ولهان

فلربـــما تأتـــي الـــمـــنـــية بـــغـــتـــة ... فتساق من فـــرش إلى الأكفان
يا حبذا عـــيـــنـــان في غسق الدجـــى ... من خشيـــة الرحـــمن باكيتان.

٤٢ السلف يقومون الليل حتى في أرض الجهاد

قيام الليل في أرض الجهاد ، بين الدماء والأشلاء ، وفي شدة البرد والظلماء ، له طعم خاص ، ومذاق مختلف ، ومن ذاق عرف ، ولأجل ذلك كان سلفنا الأبرار يواظبون على القيام ولا يتركونه ، حتى وهم في ساحات المعارك والحروب ، وما أجمل أن يبيت المجاهد ليلته يحرس في سبيل الله ، ويصلي ويبكي من خشية الله!!.

*عن "جابر بن عبدالله" رضي الله عنهما قال:خرجنا مع الرسول ﷺ (أي في غزوة من الغزوات)، **فأصاب رجل** (أي من المسلمين) **امرأة رجل من المشركين** (أي سباها وأسرها)، **فحلف** (أي المشرك) **ألا أنتهي حتى أهريق دما في أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام ، فخرج يتبع أثر الرسول ﷺ وأصحابه ، فنزل الرسول ﷺ** (أي نزل هو والجيش الذي معه في شعب من الشعاب ليناموا)، **فقال الرسول عليه الصلاة والسلام: من يكلؤنا الليلة؟** (أي من يحرسنا؟)، **فانتدب رجل من المهاجرين** (هو عمار بن ياسر رضي الله عنهما)، **وانتدب رجل من الأنصار** (هو عباد بن بشر رضي الله عنه) ، **فقال الرسول ﷺ لهما:كونا بفم الشعب !! فلما خرج الرجلان إلى فم الشعب،...، فاضطجع المهاجري وقام الأنصاري يحرس ويصلي لله في ظلام الليل ، فأتى الرجل** (أي الرجل الكافر) ، **فلما رأى شخصه عرف أنه ربيئة القوم** (أي حارسهم) ، **فرماه بسهم** (أي رمى عبادا وهو يصلي) **فوضعه فيه ، فنزعه** (أي نزع عباد السهم من بطنه واستمر في صلاته) ، **حتى رماه بثلاثة أسهم ، ثم ركع "عباد" وسجد وأيقظ صاحبه المهاجري ، فلما رأى الرجل المشرك أنهم قد كشفوا أمره هرب ، فلما رأى"عمار" ما أصاب"عباد" من الدماء والجراح ، قال له:سبحان الله!! ألا أيقظتني أول ما رمى ؟! فقال عباد:لقد كنت**

في سورة أقرأها فلم أحب أن أقطعها !! وفي رواية:" أن عبادا قال: والله لولا أن أضيع ثغرا أمرني الرسولﷺبحراسته ، وإلا لذهب بروحي أو أكمل السورة!!" [رواه أبو داود في سننه، والحاكم في المستدرك وصححه، ورواه ابن حبان في صحيحه، وعلقه البخاري في صحيحه مختصرا، ورواه الدارقطني وصححه، ورواه ابن خزيمة وصححه،وصححه النووي في" المجموع" (١٥٦/١)، وصححه من المعاصرين الألباني في "صحيح سنن أبي داود].

- وعلى هذا المنهج الرشيد ، سار السلف الكرام غزواتهم وجهادهم :

* عن"جعفر بن زيد " قال:" خرجنا في غزاة إلى "كابو ل"، وفي الجيش" صلة بن أشيم العدوي" رحمه الله ، قال: فترك الناس بعد العتمة (أي العشاء) ، ثم اضطجع فالتمس غفلة الناس ، حتى إذا قلت هدأت العيون (أي نام أهل الجيش كلهم) ، وثب(أي صلة) فدخل غيضة (وهي الشجر الكثيف الملتف على بعضه) قريبا منه ، فدخلت في أثره ، فتوضا ثم قام يصلي فافتتح الصلاة ، وبينا هو يصلي إذ جاء أسد عظيم فدنا منه وهو يصلي !! ففزعت من زئير الأسد فصعدت إلى شجرة قريبة ، وأما صلة فوالله ما التفت إلى الأسد !! ولا خاف من زئيره ولا بالى به !! ثم سجد "صلة" فاقترب الأسد منه فقلت :الآن يفترسه !! فأخذ الأسد يدور حوله ولم يصبه بأي سوء!! ثم لما فرغ "صلة من صلاته وسلم ، التفت إلى الأسد وقال له: أيها السبع اطلب رزقك في مكان آخر !! فولى الأسد وإن له زئيرا تتصدع منه الجبال !! فما زال "صلة" يصلي حتى إذا قرب الفجر ، جلس فحمد الله بمحامد لم أسمع بمثلها إلا ما شاء الله ، ثم قال: اللهم إني أسألك أن تجيرني من النار ، أو مثلي يجترىء أن يسألك الجنة !!! ثم رجع رحمه الله إلى فراشه!! (أي ليوهم الجيش انه ظل طوال الليل نائما) ، فأصبح وكأنه بات على الحشايا (وهي الفرش الوثيرة الناعمة، والمراد أنه كان في غاية النشاط والحيوية) ، ورجعت إلى فراشي فأصبحت وبي من الكسل والخمول شيء الله به عليم " [راجع كتاب"الزهد" للإمام أحمد].

* كان العبد الصالح" عمرو بن عتبة بن فرقد" رحمه الله يخرج للغزو في سبيل الله ، فإذا جاء الليل صف قدميه يناجي ربه ويبكي بين يديه ، فكان أهل الجيش الذين خرج معهم "عمرو" لا يكلفون أحدا من الجيش بالحراسة ؛ لأن "عمرو" قد كفاهم ذلك بصلاته

طوال الليل ، وفي ذات ليلة بينا "عمرو بن عتبة" رحمه الله يصلي من الليل والجيش نائم ، إذ سمعوا زئير أسد مفزع ، فهربوا وبقي"عمرو" في مكانه يصلي وما قطع صلاتـــه!! ولا التفت فيها !! فلما انصرف الأسد ذاهبا عنهم رجعوا "لعمرو" فقالوا له: أما خفـت الأسد وأنت تصلي؟!! فقال: إني لأستحي من الله أن أخاف شيئا ســواه !! " [نقــلا عــن كتاب"حلية الأولياء" لأبي نعيم (٤/١٥٦)].

* خرج بعض الصالحين في إحدى الغزوات، فكان رحمه الله يحيي الليل حيث كان على ظهر دابته أو على الأرض !! وكان إذا نظر إلى الفجر يلمع ضوؤه قال: يا إخوتاه: عند بلوغ الماء يفرح الواردون بتعجيل الرواح" [نقلا عن كتاب" رهبان الليل" للعفاني (١/٥٢٦)].

* قال"محمد بن أعين":"كنت مع"عبدالله بن المبارك" رحمه الله في غزاة بأرض الـــروم ، فلما صلينا العشاء الآخرة ، وضع "ابن المبارك" رأسه ليريني أنه قد نام ، قال: فقلت أنا برمحي في يدي فقبضت عليه ووضعت رأسي على الرمح كأني أنام كذلك ، قال فظـــن "ابن المبارك" أني قد نمت ، فتسلل خفية حتى لا يسمعه أحد من الجيش ، وقام يصلي لله حتى طلع الفجر، فلما طلع الفجر جاء ليوقظني ، وظن أني نائم ، وقال: يا محمد قــم !! فقلت له: إني لم أنم !! قال:فلما سمعها "ابن المبارك" مني ، وعرف أني قد رأيت صلاتـــه البارحة ما رأيته بعد ذلك يكلمني ولا ينبسط إلي في شيء من غزواته كلها ، كأنــــه لم يعجبه ذلك مني لما فطنت إلى صلاته بالليل ، فلم أزل أعرفها في وجه"ابن المبارك" حـتى مات!! ولم أر رجلا أسر بالخير منه" [راجع كتاب"الجرح والتعديل" لابن أبي حاتم " (١/٢٦٦)].

* قال"أبو بكر المروزي" :" كنت مع الإمام أحمد رحمه الله ، نحوا مـــن أربعــة أشـــهر بالعسكر ، ولا يدع قيام الليل وقرآن النهار ، فما علمت بختمة ختمها ، وكان يســـر ذلك " [نقلا عن كتاب "مناقب الإمام أحمد " لابن الجوزي].

* قال الحافظ"ابن كثير" وهو يترجم للمجاهد الشجاع"نور الدين محمود زنكي"رحمه الله : "وكان كثير الصلاة بالليل ، من وقت السحر إلى أن يركب :

جمع الشجاعة والخشوع لديه ... ما أحسن الشجعان في المحراب.

وكان كثير الصلاة بالليل ،....، ولم ير على ظهر فرس قط أشجع ولا أثبت منه، .... ، وكان يقول: لقد تعرضت للشهادة غير مرة فلم يتفق لي ، ولو كان في خير ولي عند الله قيمة لرزقنيها ، والأعمال بالنية !!" [نقلا عن كتاب"البداية والنهاية" لابن كثير (١٢/٢٨٠)].

٤٣ إدراك أن القيام سبب للفوز بالجنان

وهبة ربانية ، ومنحة رحمانية ، يمن بها المولى تبارك وتعالى على من يقوم الليل ، ألا وهي دخول الجنان ، والتنعم بما فيها من الخيرات الحسان .

• قال الله تعالى:{ أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب} [سورة الزمر الآية(٩)].

* قال" ابن جرير"في تفسيره":"وقرأ "نافع وابن كثير ويحي بن وثاب و.... :{ أمن هو قانت .....} بالتخفيف على معنى النداء ،كأنه قال: يا من هو قانت،....، فالتقدير على هذا: قل تمتع بكفرك قليلا إنك من أصحاب النار، يا من هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما إنك من أصحاب الجنة ، كما يقال في الكلام: "فلان لا يصلي ولا يصوم ، فيا من يصلي ويصوم أبشر" ، فحذف لدلالة الكلام عليه" [نقلا عن" تفسير" ابن جرير الطبري" ج ٢٣].

* وقال الله تعالى مبينا أن القيام سبب للفوز بالجنان:{إن المتقين في جنات وعيون* آخذين ما آتاهم ربهم إنهم كانوا قبل ذلك محسنين* كانوا قليلا من الليل ما يهجعون* وبالأسحار هم يستغفرون} [سورة الذاريات الايات (١٥ ـــ ١٨)]، فتأمل كيف جعل الله من أسباب دخولهم الجنان قيامهم في ظلام الليل لمناجاته وذكره .

* وعن"أبي مالك الأشعري" رضي الله عنه أن النبيﷺقال : "إن في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها ، أعدها الله تعالى لمن أطعم الطعام ، وألان الكلام، وتابع الصيام، وصلى بالليل والناس نيام" [رواه أحمد في"المسند" وابن حبان وصححه ،

وحسنه"الألباني" في" صحيح الجامع" برقم (٢١١٩)].

*وعن"أبي هريرة" رضي الله عنه أن النبي قال :" أطب الكلام ، وأفش السلام ، وصل الأرحام ، وصل بالليل والناس نيام ، ثم ادخل الجنة بسلام " [رواه ابن حبان وصححه، وحكم بصحته "الألباني" كما في"السلسلة الصحيحة" برقم (٥٦٩)].

* قال"وهب بن منبه" رحمه الله : " لن يبرح المتهجدون من عــرصة القيامة ، حتى يؤتى بنجائب من اللؤلؤ قد نفخ فيها الروح ، فيقال لهم: انطلقوا إلى منازلكم من الجنة ركبانا ، فيركبونها فتطير بهم متعالية ، والناس ينظرون إليهم ، يقول بعضهم لبعض : من هؤلاء الذين قد من الله عليهم من بيننا ؟!! فلا يزالون كذلك حتى ينتهي بهم إلى مساكنهم من الجنة" [نقلا عن كتاب "مختصر قيام الليل" للمقريزي].

* كان بعض السلف نائما ذات ليلة ، فأتاه آت في منامه ، فقال له:" قم فصل ، أمــا علمت أن مفاتيح الجنة مع أصحاب الليل هم خزانها!! "[نقلا عن كتاب " رهبان الليل" للعفاني].

* أخي: من فقد الله فماذا وجد ؟!! ومن وجد الله فماذا فقد ؟!! لماذا الغفلة عن مناجاة ربك والإعراض ؟!! أما تشتاق لسكنى الجنان والرياض؟!!

عــبــاد أعــرضــوا عــنـــا ... بــلا جــرم ولا مــعــنــى
أســاءوا ظــنــهــم فــيــنا ... فــهــلا أحــســنوا الــظنــا
فــإن خــانــوا فمــا خــنــا ... وإن عــادوا فــقــد عــدنــا
وإن كانــوا قــد اســتــغــنوا ... فــإنــا عــنهــم أغــنــى .

٤٤ مــجــاهــدة النفــس وإكــراهــها على القــيام

من أعظم الوسائل المعينة على قيام الليل، مجاهدة النفس وإكراهــها وإرغامها على القيام، ولو نفرت منه ومالت عنه ، لأن النفس البشرية بطبيعتها ، أمــارة بالسوء ، تميل إلى كل شر ومنكر ، وتتباعد عن كل خير ومعروف ، فإذا أسلم المرء لها

الزمام ، وأطاعها فيما تدعوه إليه ، قادته إلى كل هلاك وعطب وأنزلت بـــه ســـخط الرب .

- وقد أمرنا المولى تعالى بمجاهدة أنفسنا على فعل الطاعات وترك المنكرات:

* قال الله تعالى{وجاهدوا في الله حق جهاده} [سورة الحج الآية (٧٨)] .

- ووعد ربنا سبحانه من جاهد نفسه وهواه لأجل الله، بالنصر والهداية والتثبيـــت:

*قال تعالى:{ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا} [سورة العنكبوت الآية (٦٩)] .

- ووصف المولى سبحانه عباده الأبرار ، بأنهم يجاهدون أنفسهم ويكرهونها على قيام الليل:

* قال تعالى:{ تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا وممـــا رزقنـــاهم ينفقون۞ فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملـــون } [ســـورة السجدة الايتان(١٦،١٧)].

* قال"الأستاذ سيد قطب" تعقيبا على هذه الآية:" إنهم يقومون لصلاة الليـــل ،.....، ولكن التعبير القرآني يعبر عن هذا القيام بطريقة أخرى:{تتجافى جنوبهم عن المضـجع}، فيرسم صورة المضاجع في الليل تدعو الجنوب إلى الرقاد والراحة والتذاذ المنام ، ولكـــن هذه الجنوب لا تستجيب ، وإن كانت تبذل جهدا في مقاومة دعوة المضاجع المشـتهاة ، لأن لها شغلا عن المضاجع اللينة ، والرقاد اللذيذ ، شغلا بربها ، شـــغلا بـــالوقوف في حضرته ، وبالتوجه إليه في خشية ، وفي طمع ، ينازعها الخوف والرجاء ، .....، الخوف من عذاب الله والرجاء في رحمته " [نقلا عن كتاب" في ظلال القرآن" (٥/٢٨١٢) لسيد قطب].

* قال الإمام"القرطبي" تعليقا على قوله تعالى:{ إنـــا سنلقي عليك قولا ثقيـــلا }[ســـورة المزمل الآية(٥)] :" هو متصل بما فرض من قيام الليل : أي سنلقي عليك بافتراض صـــلاة الليل قولا ثقيلا يثقل حمله ، لأن الليل للمنام ، فمن أمر بقيام أكثره لم يتهيأ له ذلـك إلا بحمل شديد على النفس ومجاهدة للشيطان ، فهو أمر يثقل على العبد !!" [نقلا عن" تفســير القرطبي" (١٩/٢٦)].

- وبين لنا الرسول ﷺ أن مجاهدة النفس من أعظم أنواع الجهاد:

* عن "فضالة بن عبيد" رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: " والمجاهد من جاهد نفسه في الله" [رواه الترمذي وابن حبان ، وصححه الألباني في "السلسلة الصحيحة" برقم (٥٤٩)] .

- وقد أخبرنا الرسول ﷺ عن الثواب العظيم الذي أعده الله لمن يجاهد نفسه ويكرهها على الصلاة في جوف الليل:

* عن "عقبة بن عامر" رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "الرجل من أمتي يقوم من الليل يعالج نفسه ،(أي يكرهها) إلى الطهور، وعليه عقد ، فإذا وضأ يديه انحلت عقدة ، وإذا وضأ رجله انحلت عقدة ، وإذا مسح رأسه انحلت عقدة ، وإذا وضأ رجليه انحلت عقدة ، فيقول الله عز وجل للذين وراء الحجاب: انظروا إلى عبدي هذا !! يعالج نفسه ويسألني ، ما سألني عبدي فهو له!! " [رواه أحمد وابن حبان وصححه، والحديث حسنه "الألباني" في "صحيح الترغيب" حديث رقم (٦٢٧)].

ولقد كان الصالحون قبلنا يجاهدون أنفسهم ويرغمونها على ترك المنكرات ، وفعل الطاعات ، ومن ذلك قيام الليل:

* قال "محمد بن المنكدر" رحمه الله: " كابدت نفسي أربعين عاما (أي جاهدتها وأكرهتها على الطاعات) حتى استقامت لي !!" [نقلا عن "صفة الصفوة" (١٤١/٢)] .

* كان "ثابت البناني" يقول : " كابدت نفسي على قيام الليل عشرين سنة !! وتلذذت به عشرين سنة !! " [نقلا عن كتاب "سير أعلام النبلاء" للذهبي (٢٢٤/٥)] .

* قال "عمر بن عبد العزيز" رحمه الله: "أفضل الأعمال ما اكرهت عليه النفوس" [نقلا عن كتاب "محاسبة النفس" لابن أبي الدنيا ص ٨٢] .

* قال "عبد الله بن المبارك" رحمه الله: "إن الصالحين فيما مضى كانت تواتيهم أنفسهم على الخير (أي تعينهم وتحثهم عليه) ، وإن أنفسنا لا تكاد تواتينا إلا على كره (أي إلا بأن نكرهها ونرغمها) ، فينبغي لنا أن نكرهها!! " [نقلا عن كتاب "محاسبة النفس" لابن أبي الدنيا] .

* أخي: أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك ، ومن انتصر على نفسه فملكها استطاع أن ينتصر على عدوه .

* قال"إبراهيم بن أدهم"رحمه الله:"أفضل الأعمال في الميزان أثقلها على الأبدان ، ومن وفى العمل وفي له الأجر ، ومن لم يعمل رحل من الدنيا إلى الآخرة بلا قليل ولا كثير" [نقلا عن كتاب"الزهد" للبيهقي].

* قال"قتادة بن دعامة السدوسي" رحمه الله:"يا ابن آدم: إن كنت لا تريد أن تأتي الخير إلا بنشاط ، فإن نفسك إلى السآمة وإلى الفترة وإلى الملل أميل ، ولكن المؤمن هو المتحامل (أي الذي يحمل على نفسه ويكرهها على الطاعة ولو نفرت منها)، والمؤمن المتقوي" [نقلا عن كتاب" حلية الأولياء" لأبي نعيم (٢/٣٣٦)].

* قال" ابن القيم"رحمه الله:"إحذر نفسك ، فما أصابك بلاء قط إلا منها ،ولا تهادنها، فوالله ما أكرمها من لم يهنها ، ولا أعزها من لم يذلها، ولا جبرها من لم يكسرها ، ولا أراحها من لم يتعبها، ولا أمنها من لم يخوفها ، ولا أفرحها من لم يحزنها!! " [نقلا عن" الفوائد" لابن القيم].

* كان "لابن عمر" رضي الله عنهما مهراش فيه ماء، فكان يصلي من أول الليل ما قدر له ، ثم يصير إلى الفراش فيغفي إغفاءة الطائر، ثم يقوم فيتوضأ ثم يصلي فيرجع إلى فراشه فيغفي إغفاءة الطائر ، ثم يثب فيتوضأ ثم يصلي !! يفعل ذلك في الليل أربع أو خمس مرات!! " [نقلا عن كتاب "الإصابة في تمييز الصحابة" لابن حجر (٢/٣٤٨)].

* قال"ذو النون المصري"رحمه الله:"إن سفر الآخرة لا يقطع بالراحات ، بل تحمل فيه النفس على التعب والمشقات" [نقلا عن كتاب"الصلاة والتهجد"لابن الخراط].

* ينسب "لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال:"وأيم الله يمينا أستثني فيها بمشيئة الله ، لأروضن نفسي رياضة تهش معها إلى القرص (أي الرغيف اليابس) إذا قدرت عليه مطعوما ، وتقنع بالملح مأدوما(أي إداما) ، ولأدعن مقلتي كعين ماء نضب معينها ، مستفرغة دموعها ، أتمتليء السائمة (أي البهيمة) من رعيها (وهو ما تأكله السائمة من الأعشاب) فتبرك!! وتشبع الربيضة (هي الغنم في مرابضها ومباركها) من عشبها فتربض؟!! ويأكل"علي" من زاده

فيهجع(أي ينام عن القيام)؟!! قرت إذا عينه إذا اقتدى بعد السنين المتطاولة بالبهيمة الهاملة والسائمة المرعية !! " [نقلا عن كتاب" نهج البلاغة"].

* كان"الفضيل بن عياض" رحمه الله يلقى له حصير في مسجده في بيته ، فيصلي من أول الليل ساعة حتى تغلبه عينه ، فيلقي نفسه على الحصير فينام قليلا ، ثم يقوم فيصلي ما شاء الله أن يصلي ، فإذا غلبه النوم نام ، ثم يقوم !! وهكذا لا يزال على هذه الحالة بين نوم وقيام حتى يطلع الفجر" [نقلا عن كتاب" الحلية" لأبي نعيم (٨٦/٨)].

* كان العبد الصالح"أبو مسلم الخولاني" رحمه الله يقوم الليل، وكان إذا أحس من نفسه تكاسلا وتخاذلا عن القيام أو ميلا إلى الغفلة والنوم ،أخذ سوطا عنده وضرب به ساقيه كالمؤدب لنفسه ، وقال لها: والله لأنت (أي يا نفس) أولى بالضرب من شر الدواب!!" [راجع كتاب"مختصر قيام الليل" للمقريزي ، وكتاب"تنبيه المغترين" للشعراني].

* قال الشاعر حاثا على مجاهدة النفس على القيام:

امنع جفونك أن تذوق مناما ... واذر الدموع على الخدود سجاما
واعلم بأنك ميت ومحاسب ... يا من على سخط الجليل أقاما
لله قوم أخلصوا في حبه ... فرضي بهم واختصهم خداما
قوم إذا جن الظلام عليهم ... باتوا هنالك سجدا وقياما
خمص البطون من التعفف ضمرا ... لا يعرفون سوى الحلال طعاما

[نقلا عن"تفسير القرطبي " للقرطبي (٤٧٨٧/٧)].

* كان الإمام أحمد" رحمه الله يقول لنفسه: يا نفس انصبي!!(اتعبي في طاعة ربك) ، وإلا فستحزني !! " [نقلا عن كتاب "مناقب الإمام أحمد " لابن الجوزي].

* قالت الأمة الصالحة"ماجدة القرشية" رحمها الله:" لم ينل المطيعون ما نالوا من حلول الجنان ورضا الرحمن ، إلا بتعب الأبدان لله ، والقيام لله بحقه في المنشط والمكره" [نقلا عن كتاب" صفة الصفوة" لابن الجوزي (٧٤/٤)].

- قال"سليمان بن طرخان "رحمه الله: "إن العين إذا عودها النوم اعتادت، وإذا عودها

السهر اعتادت!! " [نقلا عن كتاب"حلية الأولياء" لأبي نعيم (٢٩/٣)].

* أخي: اخلع الراحة وليكن شعارك قول معلم الخير "أحمد بن حنبل"رحمه الله لابنه: يا بني لقد أعطيت المجهود من نفسي!!

رحمك الله يا ابن حنبل ..... نفس لهوها التعب [نقلا عن كتاب"الرقائق" للراشد].

* كان العبد الصالح"علي بن بكار" رحمه الله تفرش له جاريته فراشه فيلمسه بيده ثم يقول: والله إنك لطيب!! والله إنك لبارد!! والله لا علوتك ليلتي (أي لا نمت عليك)!! ثم يقوم يصلي إلى الفجر !! " [نقلا عن كتاب"الحلية" لأبي نعيم (٣١٨/٩)].

* قال"نافع القاريء" :" كان "أبو جعفر القاريء" رحمه الله يقوم الليل ، فإذا قرأ ينعس ، فكان يقول لأهله:ضعوا الحصى بين أصابعي وضموها (أي لكي يطرد النوم عنه وهو يصلي)، فكانوا يفعلون ذلك والنوم يغلبه ، فقال: إذا أنا نمت (أي وأنا في الصلاة) فمدوا خصلة من لحيتي (أي لأنتبه من نعاسي) " [نقلا عن كتاب"سير أعلام النبلاء"للذهبي (٢٨٥/٥)].

* قال"ابن المبارك" رحمه الله واصفا مكابدة الصالحين لقيام الليل:

إذا ما الليل أظلم كابدوه ... فيسفر عنهم وهم ركوع

أطار الخوف نومهم فقاموا ... وأهل الأمن في الدنيا هجوع

لهم تحت الظلام وهم سجود ... أنين منه تنفرج الضلوع

وخرس بالنهار لطول صمت ... عليهم من سكينتهم خشوع

[نقلا عن كتاب" ديوان "ابن المبارك" ، تحقيق: مجاهد بهجت].

* أخي : أغلق باب الراحة وافتح باب الجهد ، وأغلق باب النوم وافتح باب السهر:

وخل الهوينا للضعيف ولا تكن .... نؤوما فإن الحزم ليس بنائم.

* أخي: كلما خطرت ببالك آلام المجاهدة فتذكر حلاوة المناجاة ، وكلما أحسست بمرارة إكراه النفس ، تذكر لذة الأجر والثواب، واعلم أن الأمر كما قال أحدالصالحين ، وهو يصف حال أهل الليل:" ذهبت الآلام عن أبدان الخدام ، وولهت بالطاعة

عن الشراب والطعام ، وألفت أبدانهم طول القيام بين يدي الملك العلام " [نقلا عن كتاب "صفة الصفوة" لابن الجوزي (٤/٣٥١)].

٤٥ المحافظة على الأذكار الشرعية عند الاستيقاظ من النوم

ومما يعين على القيام لصلاة الليل ، أن يبادر المرء عند استيقاظه من نومه إلى التلفظ بالأدعية والأذكار الشرعية ، التي كان يقولها الحبيب ﷺ عند استيقاظه من نومه ، فإن هذه الأذكار تطرد الشيطان عن المرء ، وتذهب عنه الكسل والخمول ، وتكون عونا له على القيام ، ومناجاة اللطيف العلام .

*عن" أبي هريرة" رضي الله عنه قال : قال الرسول ﷺ :"إذا استيقظ أحدكم فليقل: الحمد لله الذي رد علي روحي ، وعافاني في جسدي ، وأذن لي بذكره " [رواه الترمذي والنسائي ، وقال النووي " عنه: إسناده صحيح، وحسنه " ابن حجر"، وحسنه "الألباني" في" صحيح الجامع " برقم (٣٢٦)].

* وعن" عبادة بن الصامت" رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "من تعار من الليل فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، الحمد لله ، وسبحان الله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، ثم قال:" اللهم اغفر لي" ، أو دعا استجيب له ، فإن توضأ ثم صلى قبلت صلاته" [رواه البخاري وأبو داود والترمذي].

* قال الحافظ"ابن حجر" تعليقا على الحديث المتقدم":"...، ويحتمل أن تكون الفاء تفسيريه لما صوت به المستيقظ ، لأنه قد يصوت بغير ذكر ، فخص الفضل المذكور بمن صوت بما ذكر (أي في الحديث المتقدم) من ذكر الله تعالى ،.... وإنما يتفق ذلك (أي الاستيقاظ على ذكر الله) لمن تعود الذكر واستأنس به وغلب عليه ، حتى صار حديث نفسه في يقظته ونومه ، فأكرم من اتصف بذلك بإجابة دعوته ، وقبول صلاته ،...، وقال ابن بطال:وعد الله على لسان نبيه ﷺ أن من استيقظ من نومه لهجا بتوحيد ربه والاذعان له

بالملك ، والاعتراف بنعمه بحمده عليها ، وينـزهه عما لا يليق به بتسبيحه والخضوع له بالتكبير، والتسليم له بالعجز عن القدرة إلا بعونه ، أنه إذا دعاه أجابه، وإذا صلى قبلت صلاته ، فينبغي لمن بلغه هذا الحديث أن يغتنم العمل به ، ويخلص نيته لربه سبحانه وتعالى ،..." [نقلا عن كتاب"فتح الباري" لابن حجر، ج٣].

* وعن"البراء بن عازب" رضي الله عنهما قال: كان النبيﷺ إذا استيقظ من نومه قال:"الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور" [رواه مسلم وأحمد والنسائي] .

- ومن الأذكار المشروعة عند الاستيقاظ من النوم ، قراءة خواتيم سورة آل عمران ، وهي العشر آيات الأخيرة من السورة:

* فعن"ابن عباس"رضي الله عنهما أن النبيﷺ:" كان إذا استيقظ من الليل يمسح النوم عن وجهه بيده ، ثم ينظر إلى السماء ويقرأ العشر آيات الخواتم من سورة آل عمران:{إن في خلق السموات والأرض ،........، لعلكم تفلحون}" [رواه مسلم في صحيحه].

* قال"النووي"رحمه الله تعقيبا على هذا الحديث:" فيه استحباب مسح أثر النوم عن الوجه ، واستحباب قراءة هذه الآيات عند القيام من النوم " [نقلا عن" شرح مسلم" للنووي (٤١٦/٢)].

* وقال رحمه الله:" يسن لكل من استيقظ لقيام الليل أن يمسح النوم عن وجهه ، وأن يتسوك وأن ينظر في السماء ، ويقرأ الآيات التي في آخر سورة آل عمران :{إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار، ...... ، لعلكم تفلحون }، ثبت كل ذلك في الصحيحين عن الرسولﷺ " [نقلا عن كتاب" المجموع" للنووي].

* أخي:"يمم وجهك مثلما يمم المتهجدون بالليل ، إلى خيام تبدو فيها عرائس الجنان وهن يتبسمن لك!! .

* أخي:ابعث رسائل الأحزان مع رياح الأسحار ولو لم تصل .

٤٦ إدراك أن القيام سبب لتخفيف طول الوقوف يوم القيامة

وغنيمة أخرى يحصلها قائم الليل ، ألا وهي أن الله يخفف عنه ويهون عليه ، بطول قيامه وصلاته في ظلام الليل ، طول الوقوف والقيام في أرض المحشر يوم القيامة، والناس في ذلك الوقت شاخصة أبصارهم ، حاسرة رؤوسهم ، حافية أقدامهم ، قد اشتد عليهم حر الشمس ، وقد غطاهم العرق على حسب أعمالهم، جزاء وفاقا ، وما ربك بظلام للعبيد .

* وقد قرر الرب تعالى هذه الحقيقة ، في قوله عز وجل:{ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا ❁إن هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا } [سورة الإنسان الآيتان(٢٦ ــ ٢٧)] ، فتأمل رعاك الله كيف أعقب الله ذكر القيام الطويل ، بتوعد الغافلين باليوم الثقيل الشديد ، فدل ذلك بمعناه على أن الإنسان إذا قام متهجدا لله تعالى في ظلام الليل ، سهل الله عليه بقيامه ذلك القيام الأكبر ، يوم يقوم الناس لرب العالمين ، وأما من أمضى ليله في الغفلة والكسل والإعراض ، فإنه يتعب هناك في ذلك الموقف العصيب ، والجزاء من جنس العمل ، فمن أطال القيام بالليل في الدنيا ، هون عليه موقف يوم القيامة ، ومن أعرض عن القيام وغفل عنه فهو بضد ذلك.

* قال" ابن عباس"رضي الله عنهما:" من أحب أن يهون الله عليه طول الوقوف يوم القيامة ، فليره الله في ظلمة الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة " [نقلا عن كتاب "تفسير " ابن جرير الطبري (٢٣/٢٠٠)].

* قال الإمام" أبو عمرو الأوزاعي"رحمه الله: " من أطال القيام في صلاة الليل ، هون الله عليه طول القيام يوم القيامة " [نقلا عن كتاب" البداية والنهاية" لابن كثير (١٠/١١٧)].

* وكانت امراة"أبي عمران الجوني"رحمها الله ، تقوم تصلي بالليل ، حتى أنها تعصب ساقيها بالخرق من طول القيام ، فكان"أبو عمران" يقول لها:دون هذا يا هذه!! (أي خففي على نفسك وارفقي بها) فكانت تقول له: هذا عند طول القيام في الموقف قليل !! فكان "أبو عمران" يسكت عنها " [نقلا عن كتاب" صفة الصفوة" لابن الجوزي (٤/٤٣)].

* قال"ابن القيم":"للعبد بين يدي الله موقفين: موقف بين يديه في الصلاة ، وموقف بين يديه يوم لقائه ، فمن قام بحق الموقف الأول هون عليه الموقف الآخر ، ومن استهان بهذا الموقف ولم يوفه حقه شدد عليه ذلك الموقف، قال تعالى:{ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا * إن هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا }[سورة الإنسان الآيتان(٢٦ـ ٢٧)]" [نقلا عن" الفوائد" لابن القيم].

* أخي:" لقد تكاثفت ذنوبك يركب بعضها بعضا، وتعاظمت عيوبك فملأت الأرض طولا وعرضا، وهذا الموت يركض نحو روحك ركضا، وعندك من الدنيا فوق ما يكفي وما ترضى!!" [نقلا عن كتاب" التبصرة" لابن الجوزي (١٢٧/١)].



٤٧ معرفة أن الرسول ﷺ كان يتفقد أصحابه ويوقظهم للقيام

لقد بلغ من عناية الرسول ﷺ بقيام الليل ، وحرصه على تربية أصحابه وأمته على صلاة الليل، أنه عليه الصلاة والسلام كان يوقظ أصحابه للقيام ،ويحثهم على الاستيقاظ وترك المنام ، طلبا لمناجاة الملك العلام ، بل كان يتفقدهم في بيوتهم ومساجدهم وأحيائهم ، ويتسمع قراءتهم وصلاتهم بالليل، ويوقظ الغافل منهم !! فجزاه الله عن هذه الأمة ، خير ما جزى نبيا عن أمته .

*عن"قبيصة"رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا ذهب ثلث الليل ، قام فقال:"يا أيها الناس اذكروا الله(أي قوموا صلوا لله) ، جاءت الراجفة ، من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ، ألا إن سلعة الله غالية ، ألا إن سلعة الله الجنة ، جاءت الراجفة تتبعها الرادفة ، جاء الموت بما فيه!! " [رواه الترمذي" وقال:حديث حسن صحيح، ورواه أحمد في "المسند" والحاكم في "المستدرك" وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي على ذلك، والحديث حسنه الألباني في"السلسلة الصحيحة"برقم (٩٥٤)].

* عن"أبي قتادة" رضي الله عنه أن النبي عليه الصلاة والسلام خرج ذات ليلة ، فإذا هو

بأبي بكر الصديق رضي الله عنه ، يصلي يخفض من صوته ، قال: ثم مــــر بعمــــر بـــن الخطاب رضي الله عنه ، وهو يصلي رافعا صوته ، قال: فلما اجتمعا عند النبيﷺ قال لأبي بكر: يا أبا بكر مررت بك وأنت تصلي تخفض صوتك!!، فقال "أبو بكر": قــــد أسمعت من ناجيت يا رسول الله !! وقال عليه الصلاة والسلام"لعمر": مررت بك وأنت تصلي رافعا صوتك ، فقال عمر: يا رسول الله أوقظ الوسنان(أي النائم) وأطرد الشـــيطان !! فقال النبيﷺ:" يا أبا بكر ارفع من صوتك شيئا، وقال لعمر:اخفض من صوتــــك شيئا" [رواه أبو داود والترمذي والحاكم وصححه وأقره على ذلك الذهبي].

* وعن"أبي موسى الأشعري"رضي الله عنه، أن النبيﷺ قال: إني لأعرف أصوات رفقة الأشعريين بالقرآن ، حين يدخلون (أي بيوتهم) بالليل ، وأعرف منـــازلهم مـــن أصواتهـــم بالقرآن بالليل ، وإن كنت لم أر منازلهم حين نزلوا بالنهار " [رواه مسلم في صحيحه].

* روى"ابن المبارك" بإسناده: أن "عائشة" رضي الله عنها احتبســـت (أي تــأخرت) علـــى رسول اللهﷺ ذات ليلة ، فلما جاءت قال لها: ما حبسك ؟! قالت: سمعت قارئا يقـــرأ (أي يصلي الليل في المسجد) ، فذكرت من حسن قراءته ، فأخذ النبيﷺ رداءه (أي وخرج لينظــر من هذا القاريء الخاشع؟) ، فإذا هو "سالم مولى أبي حذيفة"، فقالﷺ:" الحمد لله الذي جعـــل في أمتي مثلك!!" [رواه أحمد وابن ماجة والحاكم، واخرجه "ابن المبارك" في كتاب"الجهاد"].

*وفي الصحيحين:" ان النبيﷺ مر ذات ليلة بأبي موسى الأشعري"رضي الله عنه، وهو يقرا القرآن ويصلي ، فأنصت لقراءته ، فلما لقيه في الصباح ، قال له عليـــــه الصــــلاة والسلام: لو رأيتني البارحة وأنا استمع إلى قراءتك!! لقد أوتيت مزمارا من مزامـــير آل داود !! فقال "أبو موسى": لو علمت بمكانك لحبرته لك تحبيرا" [متفق عليه].

* وقد تقدمت معنا قصة دخوله عليه الصـــلاة والســـلام على"علي"و"فاطمة"رضي الله عنهما في بيتهما في الليل ، وحثه لهما على التهجد والقـــيام ، وترك المـــنام ، فراجعها

مشكورا في الطريقة رقم (٣٥).

٤٨ إدراك مدى حسرة وبكاء السلف على فوات القيام

لـما أدرك السلف الأبرار أهمية القيام ، وعرفوا عظيم فضله ورفيع قدره عند المولى تعالى ، كانوا يحرصون عليه ، ويجتهدون فيه في كل ليلة ، وكانوا إذا فاتهم القيام وحرموا منه ليلة من الليالي ، اعتبروا ذلك من المصائب العظام ، ومن البلايا الجسام ، فحزنوا لذلك واغتموا ، وبكوا بكاء الثكلى التي فقدت ولديها وهو بين ثغرها ونحرها ، وذرفوا العبرات ، وزفروا الزفرات ، وأطلقوا الآهات أسفا على ما حل بهم من فوات القيام ، وحرمان التلذذ بمناجاة السلام ، فرحم الله تلك القمم العظام.

* قال بعضهم:"دخلت علىالعبد الصالح"كرز بن وبرة" رحمه الله وهو يبكي!! فقلت له: مالك ؟! هل أتاك نعي بعض أهلك(أي نبا موهم)؟!! فقال: بل أشد من ذلك!! فقلت : أوجع يؤلـمك ؟!! فقال: بل أشد من ذلك !! فقلت: وما ذاك ؟!! فقال: بابي مغلق وستري مسبل ، ولم اقرأ حزبي البارحة !!(أي لم أقم لصلاة الليل) !! ومـا ذاك إلا لذنب أحدثته ، وهذا لأن الخير يدعو إلى الخير، والشر يدعو إلى الشر، والقليل من كل واحد منهما يجر إلى الكثير" [نقلا عن كتاب" رهبان الليل" للعفاني(٤٧/٢)].

* قال"أبو جعفر البقال":"دخلت على"أحمد بن يحي"رحمه الله ،فرأيته يبكي بكاء كثيرا ما يكاد يتمالك نفسه !! فقلت له: أخبرني ما حالك؟!! فأراد أن يكتمني فلم أدعه ، فقال لي: فاتني حزبي البارحة!! ولا أحسب ذلك إلا لأمر أحدثته ، فعوقبت بمنع حزبي !! ثم أخذ يبكي !! فاشفقت عليه وأحببت أن أسهل عليه ، فقلت له: ما أعجب أمرك !! لم ترض عن الله تعالى في نومة نومك إياها ، حتى قعدت تبكي !! فقال لي: دع عنك هذا يا أبا جعفر !! فما أحسب ذلك إلا من أمر أحدثته !! ثم غلب عليه البكاء، فلما رأيته لا يقبل مني انصرفت عنه وتركته !!" [نقلا عن كتاب"الصلاة والتهجد" لابن الخراط].

* وما أجمل ما قاله الشاعر:

أيا صـــاح هذا الركب قد ســـار مسرعـــا ... ونحن قـــعـــود، ما الذي أنت صـــانع

أترضـــى بأن تبـــقـــى الـــمخلف بعدهم ... صريع الأمـــاني والـــغـــرام يـــنـــازع

عـــلى نـــفـــسه فليـــبك مـــن كان باكيا .... أيذهـــب وقت وهو باللهـــو ضائع ؟

*قال بعض السلف: لو أن رجلا سمع برجل أطوع لله منه ، فانصدع قلبه فمـــات!! لم يكن ذلك بعجب!! " [نقلا عن كتاب" لطائف المعارف" لابن رجب الحنبلي].

* قال بعض السلف:" لو أن رجلا سمع برجل أطوع لله منه ،كان ينبغي أن يحزنه ذلك"

[نقلا عن كتاب" لطائف المعارف" لابن رجب].

* قال"مخلد بن الحسين":" ما انتبهت من الليل إلا أصبت "إبراهيم بن أدهم" يذكـــر الله ويصلي ، فأغتم لذلك(أي حسرة على ضعف إيماني وتقصيري في القيام) ، ثم أتعزى بهذه الآية:

{ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء} " [نقلا عن كتاب"الحلية" لأبي نعيم (٢٢/٨)].

* وما أجمل ما قاله العبد الصالح"أبو سليمان الداراني"رحمه الله حـــيث يقـــول:"لـــو لم يـــبك الغافل باقي عمره إلا على ما فاته من لذة الطاعة فيما مضى من عمره، لكـــان ينبغي أن يبكي على ذلك حتى يخرج من الدنيا!!" [نقلا عن كتاب"الصلاة والتهجد"لابن الخراط].

* قال رجل من بني تميم "لزيد بن أسلم" رحمه الله: يا أبا أسامة صفة لا أجدها فينـــا!! ذكر الله قوما فقال: {كانوا قليلا من الليل ما يهجعون}[سورة الذاريات الآية(١٧)] ، ونحـــن والله قليلا من الليل ما نقوم !! فقال" زيد":" طوبى لمن رقد إذا نعس ، واتقـــى الله إذا استيقظ!!

وكيف تنام العين وهي قريرة .... ولم تدر في أي المجالس تنـــزل؟!!

[نقلا عن كتاب" رهبان الليل" للعفاني (٧٥/١)].

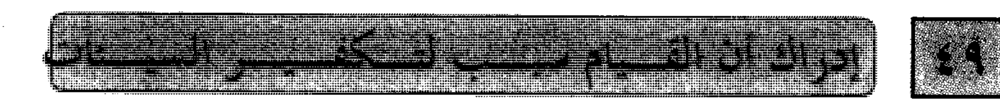
* "يا ابن آدم: لو علمت مقدار صلاتك بالليل ، لأكثرت على فوتها من العويل والويـــل !! ولو علمت تنوير هذا الظلام للقلوب والأجسام ، لقمت في ســـــواده وتقلبـــت في حداده ، ورغبت في طوله وازدياده!! " [نقلا عن كتاب"الصلاة والتهجد" لابن الخراط].

* أخي:"ويحك اعرف ما ضاع منك ، وابك عليه بكاء من يدري قيمة الفائت، بعت قيام الليل بفضل لقمة !! وشربت كأس النعاس ففاتك الرفقة ، والله لو بعت لحظة من تهجد بعمر نوح في ملك قارون لكنت الخاسر المغبون ، ومن ذاق عرف ، ومن لم يكن له مثل تقواهم ، لم يعلم ما الذي أبكاهم !! .

*قال الشاعر يصف حال الأبرار:

وصلوا إلى مولاهم وبقينا ... وتنعموا بوصاله وشقينا

فتجمعوا أهل القطيعة والجفا ... نبكي شهورا قد مضت وسنينا .



٤٩ إدراك أن القيام سبب لتكفير السيئات

ومزية أخرى من مزايا قيام الليل ، تجعل المرء يحرص عليه ولا يفرط فيه أبدا ، ألا وهي أن القيام سبب لتكفير السيئات ، ومحو الخطيئات ، والتجاوز عن الزلات ، والعفو عن الهفوات ، اللهم فاغفر زلاتنا ، وكفر سيئاتنا ، واستر عوراتنا، يا أرحم الراحمين.

* عن"معاذ بن جبل" رضي الله عنه قال:قلت: يارسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار؟!! فقالﷺ:" لقد سألتني عن عظيم !! وإنه ليسير على من يسره الله عليه ، تعبد الله لا تشرك به شيئا ، وتقيم الصلاة المكتوبة ، وتؤتي الزكاة المفروضة ، وتصوم رمضان وتحج البيت، ألا أدلك على أبو اب الخير ؟! الصوم جنة ، والصدقة تطفيء الخطيئة كما يطفيء الماء النار ، وصلاة الرجل في جوف الليل (أي تطفيء الخطيئة وتكفرها)، ثم قرأ: {تتجافى جنوبهم عن المضاجع} الآية،...." [رواه الترمذي وابن ماجة وأحمد في المسند، والحاكم في المستدرك،والحديث قال عنه الترمذي:حديث حسن صحيح، وقال"الحاكم":صحيح على شرط الشيخين وأقره على ذلك الذهبي] .

* قالت "عائشة" رضي الله عنها : "بلغني عن قوم يقولون : إن أدينا الفرائض لم نبال ألا نزداد(أي ألا نزيد عليها من النوافل) !! ولعمري لا يسألهم الله إلا عما افترض عليهم ، ولكنهم قوم يخطئون بالليل والنهار (أي والنوافل كفارة للسيئات) ، وما أنتم إلا من نبيكم ، وما نبيكم ﷺ إلا منكم ، والله ما ترك رسول الله ﷺ قيام الليل ، ثم استشهدت بكل آية فيـــها ذكر قيام الليل" [نقلا عن كتاب" رهبان الليل" للعفاني (٢/٣٢)].

* وعن"أبي أمامة الباهلي" رضي الله عنه قال:قال الرسول ﷺ:"عليكم بقيام الليـــــل ؛ فإنه دأب الصالحين قبلكم ، وقربة إلى الله تعالى ، ومنهاة عن الإثم ، وتكفير للســيئات، ومطردة للداء عن الجسد" [رواه الترمذي والحاكم والبيهقي في"سننه"، والحديث صححه الحاكم وقال:علــى شرط البخاري ،وأقره على ذلك الذهبي، والحديث صححه كذلك"الألباني" في "صحيح الجامع" برقم (٣٩٥٨)].

* قال"ابن الحاج" رحمه الله: " وفي القيام من الفوائد أنه يحط الذنوب كما يحط الريـــح العاصف الورق الجاف من الشجرة ، وينور القبر ، ويحسن الوجه ، وينشط البـــدن" [نقلا عن كتاب"فيض القدير" للمناوي (٤/٣٥١)].

* ورحم الله من قال:

لولا الذين لـــهـــم ورد يـــقـــومونـــا ... وآخرون لـــهم سرد يـــصـــومـــونا
لدكدكت أرضكم من تحتكم سحـــرا ... لأنكـــم قوم ســـوء لا تـــطيعـــونـــا .

* قال رجل لآخر: من أين أقبلت ؟! فقال: من عند قوم لا تلهيهم تجارة ولابيـــع عـــن ذكر الله ، فقال: وأين تريد؟!! فقال: إلى قوم تتجافى جنوبهم عن المضاجع !! ثم قال: وآ أسفا !! فقال له صاحبه: على ماذا ؟!! فقال: على ماهم فيه !! إذ كانوا بأعمالهم علــى طريق نجاهم" [نقلا عن كتاب"التبصرة" لابن الجوزي (١/١٣١)].

* أخي:" يا من راح في المعاصي وغدا ، ويقول: سأتوب اليوم أو غدا ، كيف تجمع قلبا قد صار في الهوى مبددا ، كيف تلـــيـــنه وقد أمسى بالجهل جلمدا ، كيف تحثـــه وقد راح بالشهوات مقيدا ، لقد ضاع قلبك فاطلب له ناشدا ، تفكر بأي وجه تتلقى الردى ، تذكر ليلة تبيت في القبر مفردا !!" [نقلا عن كتاب" التبصرة" لابن الجوزي (١/١٤٧)].

٥٠ الحرص على أكل الحلال

من الأمور المهمة التي تعين على القيام ــ ويغفل عنها أكثر الناس ــ الحرص على أكل الحلال ، فإن نوعية الطعام الذي يدخله المرء في جوفه ، لها تأثير على قلبه من حيث القسوة أو الرقة ، ولها تأثير على جوارحه من حيث النشاط للطاعات أو النفرة والاعراض عنها.

- وقد أمرنا المولى سبحانه بالحرص على أكل الحلال ، والابتعاد عن أكل الحرام:

* قال الله تعالى:{يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا } [سورة البقرة الآية(١٦٨)].

- وقد حذرنا الرسولﷺ من أكل الحرام ، وبين لنا العقوبة المترتبة على ذلك:

* عن"جابر بن عبدالله" رضي الله عنهما أن النبيﷺ قال:" كل جسد نبت من سحت ، فالنار أولى به" [رواه أحمد والحاكم وابن حبان وصححه، كما صححه "الألباني"في"صحيح الجامع" برقم (٤٥١٩)].

- وقد أوصانا سلفنا الكرام بالحرص على أكل الحلال ، واجتناب المطعم الحرام:

* قال عمر الطرسوسي : ذهبت أنا و"يحى الجلاء" إلى أبي عبدالله أحمد بن حنبل رحمه الله ،فسألته فقلت : رحمك الله يا أبا عبدالله ! بم تلين القلوب ؟!! فنظر الى أصحابه ، ثم أطرق ساعة ثم رفع رأسه ، فقال : يا بني بأكل الحلال !! فمررت إلى أبي نصر "بشر بن الحارث الحافي" رحمه الله ، فقلت له : يا أبا نصر؟!! بم تلين القلوب ؟!! فقال : ألا بذكرالله تطمئن القلوب ،فقلت : فإني جئتك من عند أبي عبدالله، فقال : هيه إيش قال لك أبو عبدالله ؟!! قلت : قال: بأكل الحلال، فقال : جاء بالأصل ، فمررت إلى "عبدالوهاب بن أبي الحسن" رحمه الله ، فقلت : يا أبا الحسن: بم تلين القلوب ؟!! قال : ألا بذكرالله تطمئن القلوب، قلت : فإني جئت من عند أبي عبدالله أحمد بن حنبل ، فاحمرت وجنتاه من الفرح وقال : أيش قال أبو عبدالله ؟ فقلت : قال : بأكل الحلال ،

فقال : جاءك بالجوهر!! جاءك بالجوهر!! الأصل كما قال !! الأصل كما قال !!" [نقلا عن كتاب" الحلية "(١٨٢/٩)].

* قال"سهل بن عبدالله التستري" رحمه الله:" من أكل الحلال أطاع الله شاء أم أبى!! ومن أكل الحرام عصى الله شاء أم أبى!! .

* قال"إبراهيم بن أدهم"رحمه الله:"أطب مطعمك ، ولا عليك ألا تقوم بالليل وتصوم بالنهار" [نقلا عن كتاب"الحلية" لأبي نعيم (٣١/٨)].

* قال"الفضيل بن عياض"رحمه الله :" لم يتزين الناس بشيء أفضل من الصدق وطلب الحلال !! فقال ابنه"علي":يا أبت إن الحلال عزيز!! فقال: يا بني: وإن قليله عند الله كثير !! " [نقلا عن كتاب" سير أعلام النبلاء" للذهبي (٣٧٦/٨)].

* قال"وهب بن منبه":" أزهد الناس في الدنيا ـ وإن كان مكبا عليها حرصا ـ من لم يرض منها إلا بالكسب الحلال الطيب ، وإن أرغب الناس فيها ـ وإن كان معرضا عنها ـ من لم يبال ما كان كسبه فيها حلالا أو حراما " [نقلا عن كتاب" الحلية" لأبي نعيم (٤٩/٤)].

* قال"يحي بن معين"رحمه الله:

المال يذهب حله وحرامه ... طرا ، وتبقى في غد آثامه
ليس التقي بمتق لإلهه ... حتى يطيب شرابه وطعامه
ويطيب ما يحوي ويكسب كفه ... ويكون في حسن الحديث كلامه
نطق النبي لنا به عن ربه ... فعلى النبي صلاته وسلامه

[نقلا عن كتاب" المنهج الأحمد" للعليمي (٩٥/١)].

* قال" ابن القيم":"الدراهم أربعة: درهم اكتسب بطاعة الله واخرج في حق الله ، فذاك خير الدراهم ، ودرهم اكتسب بمعصية الله وأخرج في معصية الله فذاك شر الدراهم ، ودرهم اكتسب بأذى مسلم وأخرج في أذى مسلم فهو كذلك ، ودرهم اكتسب بمباح وأنفق في شهوة مباحة فذاك لا له ولا عليه، هذه أصول الدراهم ، ويتفرع عليها دراهم

أخر: منها درهم اكتسب بحق وأنفق في باطل ، ودرهم اكتسب بباطل وأنفق في حـــق فإنفاقه كفارته ، ودرهم اكتسب من شبهة فكفارته أن ينفق في طاعة ، وكمـــا يتعلـــق الثواب والعقاب والمدح والذم بإخراج الدرهم ، فكذلك يتعلق باكتسابه ، وكذلـــك يسأل عن مستخرجه ومصروفه: من أين اكتسبه ؟!! وفيم أنفقه ؟!!" [نقلا عن" الفوائد" لابن القيم].

* قال بعضهم لأحد الصالحين: أوصني!! فقال: دع الدنيا لأهلها كما تركوا هم الآخرة لأهلها، وكن في الدنيا كالنحلة !! إن أكلت أكلت طيبا ، وإن أطعمت أطعمت طيبـــا، وإن سقطت على شيء لم تكسره ولم تخدشه" [نقلا عن" الفوائد" لابن القيم].



التواصي بالحق وأعمال البر ، خصلة حميدة ، وعادة كريمة مجيـــدة ، ومن مجالات التواصي المهمة في حياتنا ، ان نتواصى فيما بيننا بقيام الليل ، سواء كـــان التواصي بين الزملاء في العمل ، او الزملاء في المدرسة ، أو شباب المسجد الواحـد ، أو أبناء الحارة الواحدة ، أو الحاضرين في وليمة أو اجتماع عام أو عائلي.

- وقد بين لنا المولى سبحانه ، أن التواصي بالحق والبر والتقوى ، هو من علامـــات النجاح والفلاح،

* قال تعالى: { والعصر* إن الإنسان لفي خسر* إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحـات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر} [سورة العصر]،

والتواصي بقيام الليل له صور متعددة وطرائق مختلفة من أهمها:

أ ــ إهداء الأشرطة والكتب الاسلامية التي تتحدث عن قيام الليل وترغب فيه ، لمـــن تيسر من الأهل والأصحاب والأحباب والزملاء.

ب ــ تخصيص بعض خطب الجمعة بين الفينة والأخرى للحـــديث عن هـــذه الشعيرة

، وحث الناس على المحافظة عليها والالتزام بها .

جـ ـــ تخصيص بعض المحاضرات والدروس العامة التي تلقى في المساجد ، للحديث عن قيام الليل وبيان فضائله ومزاياه والوسائل المعينة عليه .

د ـــ الحرص على إثارة هذا الموضوع في اللقاءات والجلسات العامة ، كالاجتماعات العائلية والجلسات الأسرية والمنتديات والديوانيات واللقاءات الطلابية والولائم و..... .

فإن قلتَ لي: كيف كان السلف الكرام يتواصون فيما بينهم بقيام الليل؟!! فأقول لك: اقرأ الطريقة التالية ففيها جواب لما سألتَ عنه .

٥٢ معرفة كيف كان السلف يتــواصون فيما بينهم بقيام الليل

لقد ضرب سلفنا الكرام أروع الأمثلة في النصيحة لعامة المسلمين وخاصتهم ، والتعاون على أسباب الخير والنجاة ، ومن صور ذلك التعاون والتناصح أن كان بعضهم يوصي بعضا بالتهجد بالليل ، ويحثه على المواظبة عليه وعدم تركه :

* عن"أبي غالب" قال:"كان"ابن عمر" رضي الله عنهما يترل علينا بمكة، وكان يتهجد من الليل، فقال لي ذات ليلة قبل الصبح: يا أبا غالب ألا تقوم تصلي؟!! ولوتقرأ بثلث القرآن، فقلت: يا أبا عبد الرحمن: قد دنا الصبح فكيف اقرأ بثلث القرآن ؟!! فقال: إن سورة الإخلاص {قل هو الله أحد} تعدل ثلث القرآن " [نقلا عن كتاب"الزهد" للإمام أحمد].

* عن"المعلى بن زياد" قال:"كان"هرم بن حيان" رحمه الله يخرج في بعض الليالي ويُنادي بأعلى صوته :"عجبتُ من الجنة كيف ينام طالبها ؟!! وعجبتُ من النار كيف ينام هاربها ؟!!، ثم يقرأ:{ أفأمِنَ أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتاً وهم نائمون} [سورة الأعراف الاية (٩٧)]، ثم يقرأ:{والعصر ... } ، ثم يقرأ:{ ألهاكم التكاثر ......}، ثم يرجع إلى بيته " [نقلا عن كتاب"الزهد" للإمام أحمد].

* عن"معاوية بن قرة" رحمه الله أن أباه رضي الله عنه كان ل لأبنائه إذا صلوا العشاء :

يا بَنِيَّ : ناموا لعل الله أن يرزقكم من الليل خيرا " [نقلا عن كتاب"مختصر قيام الليل" للمقريزي].

* كان"أبو إسحاق السبيعي"رحمه الله يقول:"يا معشر الشباب: جِدُّوا واجتهدوا ، وبادروا قوتكم ، واغتنموا شبيبتكم قبل أن تعجزوا، فإنه قلما مرَّت عليَّ ليلة إلا قرأتُ فيها بألف آية !! " [نقلا عن كتاب"الصلاة والتهجد" لابن الخراط].

* قال"عبد الله بن عون" رحمه الله:"أحبُّ لكم معشر إخواني ثلاثا: هذا القرآن تتلونه آناء الليل والنهار، ولزوم الجماعة، والكفَّ عن أعراض المسلمين" [نقلا عن كتاب" حلية الأولياء" لأبي نعيم (٤١/٣)].

* طرقَ جماعةٌ من الناس على"الفضيل بن عياض"رحمه الله داره فخرج إليهم فقال لهم: ما بالكم؟!! فقالوا: عظنا يا أبا علي !! فقال: عليكم بالقرآن ، عليكم بالسنة ، عليكم بالصلاة، احفظ لسانك، وأخفِ مكانك ، وعالج الليل (أي قم فتهجد فيه) " [نقلا عن كتاب"العوائق" للراشد].

* كان بعض الصالحين يقوم من الليل،فإذا كان السحر نادى بأعلى صوته :"يا أيها الركب المعرِّسون (أي النائمون)، أكلَّ هذا الليل ترقدون ؟!! ألا تقومون فترحلون؟! (أي إلى الله بطاعته وتقواه ومناجاته في ظلام الليل)، فإذا سمع الناس صوته وثبوا من فُرُشِهم، فيُسمَع من هنا باكٍ ومن هنا داعٍ ومن هنا تالٍ لكتاب الله ومن هنا متوضيء، فإذا طلع الفجر نادى بأعلى صوته:"عند الصباح يحمد القوم السُّرى !! (وهذا مثل عربي معناه أن من سافر بالليل إذا طلع الفجر اغتبط بسفر ه ليلا لأنه قد وصل إلى مقصوده ومطلوبه، وكذلك من قام الليل يفرح بهذا القيام في قبره وفي الآخرة) " [نقلا عن كتاب"لطائف المعارف" لابن رجب الحنبلي] .

* كان العبد الصالح"عبد الواحد بن زيد" رحمه الله يقول لأهله في كل ليلة: يا أهل الدار انتبهوا !! (أي من نومكم) ، فما هذه (أي الدنيا) دار نوم، عن قريبٍ يأكلكم الدود !! " [نقلا عن كتاب" تنبيه المغترين" للشعراني].

* عن"عبد الرحمن بن يزيد" قال:" كنا في غزاة وكان"عطاء الخراساني" رحمه الله يُحيي الليل صلاة، فإذا مضى من الليل ثلثه أو نصفه أقبل علينا ونحن في فسطاطنا فنادى: قوموا فتوضأوا ، وصِلوا صيام هذا النهار بقيام هذا الليل ، فهو أيسر من مُقطَّعات

الحديد وشراب الصديد، الوحاء الوحاء (أي عجلوا وبادروا وسارعوا) ثم النجاء النجـــاء !! ثم يُقبل على صلاته " [نقلا عن كتاب"مختصر قيام الليل" للمقريزي].

* قال"محمد بن يوسف":"كان"سفيان الثوري" رحمه الله يُقيمنا في الليل ويقول :قوموا يـا شباب!! صلوا ما دمتم شبابا !! إذا لم تصلوا اليوم فمتى ؟!! (أي متى ستصلون؟) " [نقـــلا عـــن كتاب" الحلية" لأبي نعيم (٧/٥٩)].

* وأمَّا الأمة الصالحة" عمرة" امرأة حبيب العجمي" عليهما رحمة الله:"فقد قـــامت ذات ليلة تصلي من الليل، وزوجها نائم ، فلما دنا السحر ولم يزل زوجها نائمـــا، أيقظتــه وقالت له: قم يا سيدي، فقد ذهب الليل وجاء النهار، وبين يديك طريـــق بعيـــد وزاد قليل، وقوافل الصالحين قد سارت قدَّامنا ونحن قد بقينا !!" [نقلا عن كتاب"صفة الصفـــوة"لابـــن الجوزي (٤/٣٥)].

٥٣ إدراك أنَّ الـــقيام هـــو الشـــرف الحـــقيقي للمؤمن

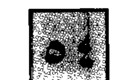
إذا كان أهل الغفلة وأرباب الدنيا يفتخرون ويتشرفون بـــأموالهم أو أحسابهم أو أنسابهم أو عقاراتهم ، فإن للمؤمن الصادق شرفاً من نوع آخـــر لا يعادلـــه شرفٌ أبدا !! فما هو ذلك الشرف؟!! .

* عن"سهل بن سعد" رضي الله عنه قال: قال الرسولﷺ:أتاني جبريل فقال: يا محمـد : عشْ ما شئتَ فإنك ميت، وأحبب مَنْ شئت فإنك مفارقه ، واعمل ما شئتَ فإنك مجزيٌّ به، واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل وعزَّه استغناؤه عن الناس" [رواه الحاكم في" المســـتدرك" والبيهقي في" شعب الإيمان"وحسنه الحافظ العراقي ،كما حسنه"المنذري" في"الترغيب والترهيب"، وحســـنه الألبـــاني في" السلسلة الصحيحة" برقم (٨٣١)].

* قال"المناوي" تعقيبا على الحديث:" الشرف لغةً: العلو، وشرف كل شيء :أعلاه، فلما وقف(أي المصلي) في ليله وقت صفاء ذكره متـــذللا متخـــشعا بين يدي مولاه،...، شرَّفه بخدمته ورفع قدره عند ملائكته وخـــواص عباده بعـــز طاعته عـــلى مَن سواه" [نقلا عن

كتاب"فيض القدير" للمناوي (٤/١٦٠)].

* وقال" الزمخشري" تعليقا على الحديث:"قوله عليه الصلاة والسلام :"شرف المؤمن قيامه بالليل": أي علاه ورفعته إحياء الليل بدوام التهجد فيه والذكر والتلاوة، ... وقال"الغزالي":" جمعت هذه الكلمات حكم الأولين والآخرين، وهي كافية للمتأمل فيها طول العمر إذ لو وقف على معانيها وغلبت على قلبه غلبة يقين استغرقته وحالت بينه وبين النظر إلى الدنيا بالكلية والتلذذ بشهواتها " [نقلا عن كتاب" فيض القدير" للمناوي(١/١٠٢)].



معرفة مدى اجتهاد العلماء في القيام

لقد أدرك علماء السلف الأبرار أن قيام الليل علامة من علامات العلم النافع ولازمٌ من لوازمه، فأيُّ خير في علم لا يُوصل صاحبه إلى خشية الله ومراقبته والتلذذ بمناجاته والانكسار بين يديه ، كما قال الإمام "سفيان بن عيينة" رحمه الله :"إذا كان نهاري نهار سفيه (أي أقطعه باللغو والغفلة) ، وليلي ليل جاهل (أي أقطعه بالنوم والكسل) ، فما أصنع بالعلم الذي كتبتُ؟!! (أي فأيُّ فائدة استفدتها من علمي وكتبي؟!!) " [نقلا عن كتاب" حلية الأولياء" لأبي نعيم (٧/٢٧١)] ، ولقد كان حال علماء السلف مع القيام عجبا ، فهاكَ شيئا منه:

* قال"أبو مسهر": كان الإمام "الأوزاعي" الحافظ الفقيه المحدث رحمه الله يُحيي الليل صلاة وقرآنا وبكاءً !!" [نقلا عن كتاب" تذكر ة الحفاظ " للذهبي (١/١٧٩)].

* دخلت أحدى النساء على زوجة الإمام "الأوزاعي" رحمه الله، فرأت تلك المراة بللاً في موضع سجود الأوزاعي، فقالت لزوجة الأوزاعي: ثكلتك أمك!! أراكِ غفلتِ عن بعض الصبيان حتى بال في مسجد الشيخ (أي مكان صلاته بالليل)، فقالت لها زوجة "الأوزاعي": ويحكِ هذا يُصبح كل ليلة !!! من أثر دموع الشيخ في سجوده " [نقلا عن كتاب"البداية والنهاية" لابن كثير (١٠/١١٧)].

* وقال"الوليد بن مسلم: " ما رأيت أكثر اجتهادا في العبادة من الأوزاعي!!" [نقلا عن كتاب" سير أعلام النبلاء" للذهبي (٧/١١٩)].

* قال"ابن جريج":لزمتُ"عطاء بن أبي رباح" ــ فقيه أهل مكة ــ رحمه الله ، ثماني عشرة سنة، فكان بعدما كبر وضعُفَ، يقوم إلى الصلاة، فيقرأ مائتي آية من البقرة وهو قائم لا يزول منه شيء ولا يتحرك!!" [نقلا عن كتاب"سير أعلام النبلاء" للذهبي (٥/٨٧)].

- أما الإمام "أبو حنيفة " رحمه الله فقد كان حاله مع قيام الليل عجيبا:

* قال "أبو عاصم النبيل" :كان "أبو حنيفة" يُسمى "الوتد" لكثرة صلاته " [نقلا عن كتاب" تاريخ بغداد" للخطيب البغدادي (١٥٣/٣)].

* قال"الخطيب البغدادي":" وكان "أبوحنيفة"رحمه الله يُحي الليل كله، ويبكي حتى يرحمه جيرانه !! وتواترت الأخبار عنه أنه كان يُحيي الليل كله ، حتى قال مغسله بعد الفراغ من غسله : لقد أتعبتَ منْ بعدك !! وفضحت القرَّاء !! " [نقلا عن كتاب" تاريخ بغداد " للخطيب البغدادي (١٥٣/٣)].

* عن"القاسم بن معين" رحمه الله قال:"قام "أبو حنيفة" رحمه الله ليلة بهذه الاية:{ بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمرُّ} [سورة القمر الآية(٤٦)]، يرددها ويبكي ويتضرع حتى طلع الصبح" [نقلا عن كتاب" تاريخ بغداد" للخطيب البغدادي (١٥٥/٣)].

* قام "أبو حنيفة" ذات ليلة يصلي من الليل فأتى على هذه الآية:{فمنَّ الله علينا ووقانا عذاب السموم} [سورة الطور الآية(٢٧)]، فظل يرددها حتى أصبح!! " [نقلا عن نفس المصدر السابق].

* عن"يزيد بن الكميت" قال:"كان"أبو حنيفة" رحمه الله شديد الخوف من الله، فقرأ بنا"علي بن الحسين المؤذن" ذات ليلة في صلاة العشاء:{إذا زُلزلت الأرض زلزالها}، وأبو حنيفة خلفه، فلما انصرف الناس قام أبو حنيفة يصلي إلى الصباح وهو يردد: يا من يجزي بمثقال ذرة خيرٍ خيرا، ويا مَن يجزي بمثقال ذرة شرٍّ شرا، أجِرْ عبدك النعمان من النار، وما يُقرِّب منها من السوء، وأدخله في سعة رحمتك!!" [نقلا عن نفس المصدر السابق].

- وأما الإمام "مالك بن انس" إمام دار الهجرة رحمه الله فقد كان حاله عجبا:

* قال"أشهب بن عبدالعزيز": خرجت ذات ليلة بعدما رقد الناس ، فمررتُ بمنزل"مالك بن أنس"، فإذا هو قائم يصلي، فلما فرغ من قراءة:{الحمد لله رب العالمين} ،

ابتدأ:{ألهاكم التكاثر }حتى بلغ :{ثم لتُسئلنَّ يومئذٍ عن النعيم} فبكى بكاء طويـــــلا، ثم جعل يرددها ويبكي،وشغلني ما أسمع من كثرة بكائه عن التوجه إلى حاجتي التي خرجـت إليها، ولم أزل قائما وهو يرددها ويبكي حتى طلع الفجر، فلما تبين له الفجـــر ركـــع، فانصرفتُ إلى منزلي فتوضأتُ ثم أتيت المسجد، فإذا به في مجلسه والناس حولـــه، فلمـــا أصبح نظرتُ إلى وجهه وقد علاه نور!!" [نقلا عن كتاب"الصلاة والتهجد" لابن الخراط].

- وأما الإمام الشافعي رحمه الله فقد كان يواظب على قيام الليل دون أن يشغله ذلـك عن طلب العلم :

* قال"الربيع بن سليمان" تلميذ"الشافعي":"كان الإمام "الشافعي" رحمه الله قد جزّأ الليل ثلاثة أجزاء: الأول يكتب، والثاني يصلي، والثالث ينام" [نقلا عن كتاب" معرفة الســـنن والآثـــار" للبيهقي].

* قال"حسين الكرابيسي":"بتُّ مع "الشافعي" ، فكان يُصلي نحوا من ثلث الليـــل، ...، وكان لا يمر بآية رحمة إلا سأل الله لنفسه وللمؤمنين أجمعين، ولا يمر بآية عذاب إلا تعـوَّذ بالله منه وسأل النجاة لنفسه وللمؤمنين أجمعين، فكأنما جُمع له الرجاء والرهبة معا" [نقــلا عن كتاب" تاريخ بغداد "للخطيب البغدادي (٢/٦٢)].

- وأما إمام أهل السنة الإمام"أحمد بن حنبل" رحمه الله، فقد كان حاله مع قيام الليـــل هو حال العلماء الربانيين ، والأئمة المهديين:

* قال"إبراهيم بن شمّاس "العابد:"كنتُ أرى "أحمد بن حنبل" رحمه الله يحيي الليل وهـــو غلام!! " [نقلا عن كتاب"رهبان الليل" للعفاني (٤١٤/١)].

* قال"عبدالله بن الإمام أحمد":" كان أبي يقرأ في كل يوم سُــبُعا(أي سبع القرآن)، يختــم في كل سبعة أيام، وكانت له ختمة في كل سبع ليال سوى صلاة النهار ، وكـــان ســاعةَ يُصلي عشاء الآخرة ينام نومة خفيفة، ثم يقوم إلى الصباح يصلـــي ويدعــو" [نقــلا عــن كتاب"الحلية" لأبي نعيم (١٨١/٩)].

* قال"أبو بكر المروذي" :" كنت مع الإمام أحمد رحمه الله نحوا من أربعة أشهر بالعسكر، ولا يدع قيام الليل وقرآن النهار، فما علمتُ بختمةٍ ختمها !! وكان يُسرُّ ذلك" [مناقب

الإمام أحمد " لابن الجوزي].

* قال"إبراهيم بن هانئ":"كان الإمام "أحمد" رحمه الله يصلي بعد العشاء ركعات ، ثم ينلم نومة خفيفة، ثم يقوم فيتطهر ولا يزال يصلي حتى يطلع الفجر، ثم يوتر بركعة، وكان هذا دأبه طول مقامه عندي، ما رأيته فتر ليلة واحدة،وكنت لا أقوى معه على هذه العبادة!! " [نقلا عن كتاب"مناقب الإمام أحمد" لابن الجوزي].

- وأما أمير المؤمنين في الحديث الإمام" محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله ، فإن تعجب فاعجب لحاله مع التهجد والقيام !! :

* كان" البخاري" يقوم فيتهجد من الليل عند السحر فيقرأ في السحر ما بين النصف إلى الثلث من القرآن فيختم عند السحر في كل ثلاث ليال" [نقلا عن كتاب" تاريخ بغداد" للخطيب البغدادي (١/١٢)].

* قال"محمد بن أبي حاتم الورّاق":"كان"أبو عبدالله البخاري" رحمه الله إذا كنت معه في سفر يجمعنا بيتٌ واحد، فكنت أراه يقوم في الليلة الواحدة خمس عشرة مرة إلى عشرين مرة، في كل ذلك يأخذ القدَّاحة فيُوري نارا بيده ويُسرج، ثم يُخرج أحاديث فيُعلِّم عليها ثم يضع رأسه لينام!! وكان يصلي في وقت السحر ثلاث عشرة ركعة يوتر منها بواحدة، وكان لا يوقظني في كل ما يقوم به، فقلت له: إنك تحمل على نفسك كل هذا ولاتوقظني؟!!فقال: أنت شاب ولا أحبُّ أن أفسد عليك نومك" [نقلا عن كتاب" تاريخ بغداد" للخطيب البغدادي (١/١٣)].

* قال رجل لابن المبارك: قرأت البارحة القرآن في ركعة !! فقال: لكني أعرف رجلا لم يزل البارحة يكرر:{ ألهاكم التكاثر} إلى الصباح!!ما قدر أن يتجاوزها !! يعني نفسه — " [نقلا عن كتاب" سير أعلام النبلاء" للذهبي (٨/٣٩٧)].

* قال"عمرو بن عون": "مكث "هشيم" رحمه الله ــ المحدث المشهور ــ يصلي الفجر بوضوء العشاء قبل أن يموت عشرين سنة!!"[نقلا عن كتاب"سير أعلام النبلاء" (٨/٢٩٠)].

* قال الحافظ"الذهبي" وهو يترجم للإمام المحدث"إساعيل بن عياش" رحمه الله:"عن أبي اليمان قال:كان منزل إسماعيل بن عياش إلى جانب منزلي، فكان يُحيي الليل (أي بالصلاة

والقراءة)، وكان ربما قرأ ثم يقطع!! ثم رجع فقرأ من الموضع الذي قطع منه، فلقيته يوما فقلت له: يا عمِّ قد رأيت منك في القراءة كيتَ وكيتَ!! فقال: يا بنيَّ وما سؤالك؟!! فقلت :أريد أن أعلم، فقال: يا بنيَّ إني أُصلي فأقرأ فأذكر الحديث في الباب من الأبواب التي أخرجتها فأقطع الصلاة فأكتبه فيه، ثم ارجع إلى صلاتي فابتديء من الموضع الذي قطعت منه" [نقلا عن كتاب" سير أعلام النبلاء" للذهبي (٨/٣١٥)].

* قال"الوليد بن مسلم": كان"سعيد بن عبد العزيز" رحمه الله يحيي الليل، فإذا طلع الفجر جدد وضوءه وخرج إلى المسجد!! وقال له أحدهم: ما هذا البكاء الذي يعرض لك في الصلاة؟!! فقال: وما سؤالك عن ذلك ؟!! فقال السائل: عسى الله أن ينفعني به، فقال" سعيد": ما قمتُ إلى صلاة إلا مُثِّلت لي جهنم!! وكان رحمه الله إذا فاتته الجماعة بكى" [نقلا عن كتاب" سير اعلام النبلاء" للذهبي (٨/٣٣)].

* قال الحافظ"الذهبي" وهو يترجم للإمام المحدث"أبي بكر بن أبي مريم" رحمه الله:

"قال "بقية": قال لنا رجل من أهل قرية"أبي بكر بن أبي مريم" :" ما في هذه القرية من شجرة إلا وقد قام "أبو بكر" إليها ليلته جمعاء، وقيل: كان في خديه أثر من الدموع !! رحمة الله عليه" [نقلا عن كتاب"سير أعلام النبلاء" للذهبي (٧/٦٥)].

- وأما شيخ الإسلام"ابن تيمية" رحمه الله فقد بلغ مرتبة سامقة في القيام والمناجاة والتلاوة والتعبد والتهجد:

* قال"ابن عبدالهادي" تلميذ "ابن تيمية" واصفا ليل شيخه:" وكان في ليله منفردا عن الناس كلهم خاليا بربه، ضارعا مواظبا علىتلاوة القرآن العظيم، مكررا لأنواع التعبدات الليلية والنهارية، وكان إذا دخل في الصلاة ترتعد فرائصه وأعضاؤه حتى يميل يمنةً ويسرةً" [نقلا عن كتاب"العقود الدرية في مناقب ابن تيمية" لابن عبد الهادي].

* وقال الشاعر"شمس الدين الحنبلي" راثيا "ابن تيمية" بعد موته:

ولم يزل في قيام الدين مجتهدا .... وإنْ خلا في الدياجي فهو مبتهل

لتبكينك دار كنت تسكنها ... وتشتكي فقدك الأسحار والأُصُلُ

[نقلا عن نفس المصدر السابق].

*وقال"تقي الدين الدقوقي" راثيا ابن تيمية:

مضى الزاهد الندب ابن تيمية الذي ... أقرَّ له بالعلم والفضل ضدُّه

يحنُّ إليه في النهار صيامه ... ويشتاقه في ظلمة الليل ورده"

[نقلا عن نفس المصدر السابق].

- وأما شيخ الإسلام" ابن قيم الجوزية" رحمه الله ، فقد سار على نهج شيخه"ابن تيمية" في كثرة العبادة والصلاة والتأله والتهجد:

* قال"الحافظ ابن رجب الحنبلي" واصفا حال شيخه"ابن القيم" في العبادة:"وكان ذا عبادةٍ وتهجدٍ وطولِ صلاة إلى الغاية القصوى، ولم أُشاهد مثله في عبادته وعلمه بالقرآن والحديث وحقائق الإيمان، وليس هو بالمعصوم ولكن لم أرَ في معناه مثله !! "[نقلا عن كتاب"المنتظم" لابن الجوزي (١٩٤/٧)].

* قال"علي بن الحسن" :" لم أرَ أحدا من الناس اقرأ من"ابن المبارك" ولا أحسن قراءة ، ولا أكثر صلاة منه، وكان يصلي الليل كله في السفر وفي غيره!! " [نقلا عن كتاب" الجرح والتعديل" لابن أبي حاتم (٢٦٦/١)].

* قال الحافظ" الحلبي" وهو يترجم للإمام الفقيه"ابن دقيق العيد" رحمه الله:" وكان آية في الحفظ والإتقان والتحري، شديد الخوف، دائم الذكر، لا ينام الليل إلا قليلا، ويقطعه فيما بين مطالعة وتلاوة وذكر وتهجد حتى صار السهر له عادة، أوقاته كلها معمورة!! لم يُرَ في عصره مثله!! " [نقلا عن كتاب"تذكرة الحفاظ" للذهبي (١٤٨١/٤)].

* وأما المحدث الكبير"شعبة بن الحجاج" رحمه الله فقد كان من العبَّاد الكبار:

* قال"أبو قطن":"ما رأيت شعبة" ركع إلا ظننت أنه قد نسي(أي بسبب إطالته للركوع)، ولا قعد بين السجدتين إلاظننت أنه قد نسي!!" [نقلا عن كتاب" صفة الصفوة" لابن الجوزي (٣٤٩/٣)].

* كان المحدث الجليل" وكيع بن الجرّاح" رحمه الله لا ينام بالليل حتى يقرأ ثلث القرآن، ثم يقوم في آخر الليل فيقرأ "المفصَّل"، ثم يجلس فيأخذ في الاستغفار حتى يطلع الفجر" [نقلا عن كتاب " صفة الصفوة" لابن الجوزي (١٧٠/٣)].

* قال"الذهبي" وهو يترجم للمحدث الصالح"ابن أبي ذئب" رحمه الله :"وكـــان يصلـــي اللليل أجمع ويجتهد في العبادة، ولو قيل له : إن القيامة تقوم غدا ما كان عنـــده مزيـــد اجتهاد، وكان يصوم يوما ويفطر يوما" [نقلا عن كتاب" سير أعلام النبلاء" للذهبي(١٤١/٧)].

* قال"عبد الكريم":" كان "طلق بن حبيب" رحمه الله لا يركع إذا افتتح سورة البقرة حتى يبلغ سورة "العنكبوت"!! وكان يقول: اشتهي أن أقوم حتى يشتكي صلبي!!(أي مـــن طـــول القيام) " [نقلا عن كتاب"سير أعلام النبلاء" للذهبي (٦٠١/٤)].

* نزل"سفيان الثوري" رحمه الله على رجل من أهل مكة فأكرمه الرجل وقرَّب له الطعام، فلما أكل "سفيان" قام فشدَّ وسطه وقال: يُقال شبِّع الحمار ثم كُدَّه!! ثم قام يصلـــي لله حتى طلع الفجر!!" [نقلا عن كتاب" الجرح والتعديل" لابن أبي حاتم (٩٦/١)].

* قال"أبو يزيد المعنَّى":"كان"سفيان الثوري" رحمه الله إذا أصبح مدَّ رجليه إلى الحـــائط ورأسه إلى الأرض حي يرجع الدم إلى مكانه من قيام الليل!! " [نقلا عن كتاب"الجرح والتعديـــل" لابن أبي حاتم " (٩٥/١)].

* قال"محمد بن مسعر":"كان أبي ـــ"مسعر بن كدام" رحمه الله المحدث المشهور ـــ لا ينام حتى يقرأ نصف القرآن، فإذا فرغ من ورده لفَّ رداءه عليه ثم هجع هجعة خفيفـــة، ثم يثبُ كما يثبُ الرجل الذي فُقد منه شيء فهو يطلبه، وإنما هو الســـواك والطـــهور، ثم يستقبل المحراب فلا يزال كذلك إلى الفجر، وكان يجتهد على إخفاء ذلك جدا" [نقلا عـــن كتاب" حلية الأولياء" لأبي نعيم (٢١٦/٧)].

* قال"علي بن المديني" :"كان المحدث"عبد الرحمن بن مهدي" رحمه الله يختم القـــرآن في كل ليلتين، وكان ورده كل ليلة نصف القرآن" [نقلا عن كتاب" تاريخ بغداد" للخطيـــب البغـــدادي (٢٤٧/٧)].

* قال"أحمد بن سنان":" ما رأيت عالما قط أحسن صلاةً من "يزيد بن هارون " رحمـــه الله المحدث الحافظ، يقوم كأنه اسطوانة، وكان يصلي بين المغرب والعشاء، والظهر والعصر، لم يكن يفتر من صلاة الليل والنهار، هو و"هُشيم" جميعا معروفان بطول الصلاة بـــالليل والنهار" [نقلا عن كتاب" صفة الصفوة" لابن اجوزي (١٧/٣)].

* وأما الإمام"النووي" رحمه الله فقد كان ممن جمع سعة العلم وكثرة التعبد والتهجد لله:

* قال"أبو عبدالله البعلي":" كنت ليلة من الليالي في آخر الليل في جامع دمشق، والإمام"النووي" رحمه الله واقف يصلي إلى سارية في ظلمة وهو يردد قوله تعالى: {وقِفُوهم إنهم مسئولون} [سورة الصافات الآية(٢٤)]، مراراً بخوف وخشوع، حتى حصل عندي من ذلك أمر عظيم" [نقلا عن كتاب" الإمام النووي "للسخاوي].

* وقشَّر له أحد أصحابه خيارة لِيُطعمه إياها فامتنع من أكلها وقال: اخشى أن ترطِّب جسمي وتجلب لي النوم (أي النوم الكثير) " [نقلا عن نفس المصدر السابق].

* قال"ابن العماد الحنبلي" وهو يترجم للعالم الصالح" ابن بطة الحنبلي"رحمه الله:" وكان يقوم الليل كله، وكان يجعل عَشاءه قبل الفجر بيسير ولا ينام حتى يُصبح" [نقلا عن كتاب" شذرات الذهب" لابن العماد (١٢٣/٣)].

* كان"أبو عبيد القاسم بن سلاَّم" رحمه الله يقسم الليل أثلاثا: فيصلي ثلثه وينام ثلثه ويُصنف الكتب في ثلثه" [نقلا عن كتاب" سير أعلام النبلاء" للذهبي (٤٩٧/١٠)].

* قال"ابن بدران" وهو يترجم للإمام"ابن قدامة المقدسي" رحمه الله:"وكان كثير العبادة دائم التهجد، لم يُر مثله ولم يرَ هو مثل نفسه، وقال"سبط ابن الجوزي عنه:"من رآه كأنما رأى بعض الصحابة وكأنَّ النور يخرج من وجهه!! وكان كثير العبادة يقرأ في كل يوم وليلة سُبُعا من القرآن " [نقلا عن مقدمة كتاب"روضة الناظر وشرحه" لابن بدران].

* قال الشيخ"صلاح الدين المقدسي" يرثي"الموفق ابن قدامة المقدسي" ويذكر عبادته وقيامه بالليل:

قد كنتَ عبدا طائعا لا تنثني ... عن باب ربك في العبادة توسعُ

كم ليلةٍ أحييتها وعمرتها ... والله ينظرُ والخلائق هُجَّعُ

تتلو كتاب الله في جنح الدجى ... كزبور داود النبيِّ تُرجِّعُ .

* قال الحافظ"ابن حجر" وهو يترجم لشيخه"الحافظ زين الدين العراقي" رحمه الله :" وقد لازمته ، فلم أرهُ ترك قيام الليل بل صار له كالمألوف !! وكان كثير التلاوة إذا ركب " [نقلا عن مقدمة كتاب"تعليق التعاليق" لابن حجر].

* قال الحافظ"ابن حجر" وهو يترجم للإمام"نور الدين الهيثمي" رحمه الله:" وكـــان (أي الهيثمي) قد تزوج إبنة الشيخ (أي ابنة الحافظ العراقي) ورُزق منها بأولاد، وقد عاشرهما مدة فلم أرهما يتركان قيام الليل" [نقلا عن نفس المصدر السابق].

* وأما الحافظ ابن حجر فقد :" كان ملازما لقيام الليل وسنة الضحى ويسرد الصـــوم، وواظب أخيرا على صوم يوم وإفطار يوم، وكان كثير البرِّ بـــالفقراء" [نقـلا عـن مقدمـة كتاب"تعليق التعاليق" لابن حجر].

*وأما الحافظ"عبد الغني المقدسي" رحمه الله فقد كان:"إذا غربت الشمس أفطر إنْ كـــان صائما، وإلا صلى من المغرب إلى العشاء، ثم يصلي العشاء، ثم ينام إلى نصف الليـــل أو بعده، ثم يقوم كأن إنسانا يُوقظه، فيصلي لحظة، ثم يتوضأ ويصلي إلى قرب الفجر، وربما توضأ سبع مرات أو ثماني مرات من الليل، ويقول: ما تطيب لي الصلاة إلا مـــا دامـــت أعضائي رطبة!! ثم ينام نومة يسيرة إلى الفجر !! وهذا دأبه" [نقلا عن كتاب"سير أعلام النبـــلاء" للذهبي (٤٥٥/٢١)].

* وأما الفقيه الألمعي"أبو إسحاق الشيرازي" رحمه الله فقد كان إذا جنّ عليه الليل يقـــوم ليناجي رب العالمين بالصلاة والقرآن والدموع ويُرددعند قيامه أبياتٍ جميلة يقول فيها:

لبستُ ثوب الرجا والناس قد رقدوا .... وقمـــت أشكو إلى مولاي ما أجدُ

وقلتُ:يا عُـــدَّتي في كـــل نائـــبـــةٍ .... ومـــنْ عليه لكشف الضرِّ أعتمدُ

أشكو إليك أمـــورا أنت تعـــلمـــها ... مـــا لي على حملها صبرٌ ولا جَلَدُ

وقد مـــددتُ يدي بالذلّ مـــعترفـــا.... إليك يا خيـــر منْ مُدَّت إليه يدُ

فلا تـــردنَّها يـــــا ربِّ خـــائـــبـــةً ... فبحر جودكَ يروي كلَّ منْ يَردُ

[نقلا عن كتاب"طبقات الشافعية"للسبكي(٢٢٥/٤)].

* وأما المحدث الحافظ" عاصم بن سليمان الأحول" رحمه الله فقد كان إذا صلى العشـــاء تنحى عن مكانه فقام يصلي لله حتى يطلع الفجر" [نقلا عـــن كتـــاب" تذكـرة الحفـــاظ" للذهـــبي (١٤٩/٤)].

٥٥ تـربـيـة النفـس على علو الـهمة والتعلق بالمـعالي

الهمة العالية تقود صاحبها إلى كل خير وبرٍّ ، وتنأى به عن كل سوء وشر ، وما حاز السبق إلى الله إلا أصحاب الهمم العلية ، وصدق النية والطوية ، ولن يقوم الليل إلا صاحب همة عالية ، قد سمت وارتفعت اهتمامها عن هذا المتاع الدنيوي الزائل ، وتعلقت بالرفيق الأعلى ، واشتاقت إلى جنانه ورضوانه ،فكن ذا همة تصل إلى القمة بإذن الله .

* تأمل في همة الصحابي الجليل"عبدالله بن عمرو بن العاص" لقيام الليل:

* عن"عبدالله بن عمرو" رضي الله عنهما قال:"أُخبرَ رسول اللهﷺ أني قلتُ:"لأقومنَّ الليل ولأصومنَّ النهار ما عشتُ!!" فقال لي النبي عليه الصلاة والسلام:"أ أنت الذي تقول ذلك؟!! فقلت: قد قلته يا رسول اللهﷺ، فقال:فإنك لا تستطيع ذلك، فصم وأفطر، ونم وقم، وصم من الشهر ثلاثة أيام فإن الحسنة بعشر أمثالها وذلك مثل صيام الدهر، فقلت:فإني اُطيق أفضل من ذلك، فقال: صم يوما وأفطر يومين"، فقلت: فإني أطيق أفضل من ذلك!! فقال:صم يوما وأفطر يوما وذلك صيام داود عليه السلام وهو أعدل الصيام، فقلت: فإني أطيق أفضل من ذلك، فقال عليه الصلاة والسلام:لا أفضل من ذلك" [رواه مسلم في صحيحه].

* كان"أبو مسلم الخولاني" رحمه الله يصلي من الليل فإذا أصابه فتور أو كسل قال لنفسه:"أيظن أصحاب محمدﷺ أن يسبقونا عليه، والله لأزاحمنَّهم عليه ، حتى يعلموا أنهم خلّفوا بعدهم رجالا !! ثم يصلي إلى الفجر " [نقلا عن كتاب"بستان العارفين" للنووي].

* قال"ابن القيم" مبينا أهمية الهمة العالية للسائر إلى الله تعالى:"والكيِّس يقطع من المسافة بصحة العزيمة وعلو الهمة وتجريد القصد وصحة النية مع العمل القليل أضعاف أضعاف ما يقطعه الفارغ من ذلك، مع التعب الكثير والسفر الشاق، فإنَّ العزيمة والمحبة

تُذهب المشقة وتطيب السير،والتقدم والسبق إلى الله إنما هو بـــالهمم وصـــدق الرغبـــة والعزيمة، فيتقدم صاحب الهمة مع سكونه صاحب العمل الكثير بمراحل" [نقلا عن كتـــاب" الفوائد" لابن القيم]،

* وصدق من قال واصفا أحد أصحاب الهمم العلية:

منْ لي بمثل سيرك المدللِ ..... تمشي رويدا وتجي في الأولِ

* أمَّا الأمة الصالحة"زجلة" رحمها الله، فقد كانت على قدر كبير من الاجتهاد في العبـــادة والطاعة، فكلَّمها بعضهم أن ترفق بنفسها !! فقالت لهم: ما لي وللرفق بها ؟!! فإنما هـــي أيام مبادرة!! فمن فاته اليوم شيء لم يُدركه غدا، والله يا إخوتاه لأُصلـــينَّ مـــا أقلتـــني جوارحي ولأصومنَّ له أيام حياتي ، ولأبكينَّ له ما حمل الماء عينيَّ !! ثم قالت: أيُّكم يـــأمر عبده بأمر فيحب أن يُقصِّر فيه ؟!!" [نقلا عن كتاب" صفة الصفوة"لابن الجوزي (٤/٤٠)].

* قيل لبعض العباد: ارفق بنفسك!! فقال: الرفقَ اطلبُ !! أو قال: من الرفق أُتيـــتُ " [نقلا عن كتاب " اللطف في الوعظ" لابن الجوزي].

* أخي:"هناك همة تدور حول الأنتان والحش: ذكر الله حسب صاحبها وموته، وذكـــر الناس فاكهته وقوته، يُنادَى إلى الله عزَّ وجلَّ والدار الآخرة من مكان قريب، فلا يجيـــب النداء، الدنيا تصِمُّه عما سوى الباطل وتُعميه،....، وهمة أخرى قد ارتبطت بمن فـــوق العرش جل وعلا، إرادة وطلبا وشوقا ومحبة وإخباتا وإنابة، لا مستراح لهـــا إلا تحـــت شجرة طوبى، ولا قرار لها إلا في يوم المزيد، كلما طال عليها الطريق تلمحت المقصـــد، وكلما أمرَّت الحياة تذكرت {هذا يومكم الذي كنتم توعدون} :

قد هيأوك لأمر لو فطنت له .... فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهملِ "

[نقلا عن كتاب"مدارج السالكين " لابن القيم].

*أخي:"استجلب نور القلب بدوام الجد، إنه استعلاء ثمنه التعب، وليكن شعارك الصـــبر وراحتك التعب:

* قال"عمر بن الخطاب" رضي الله عنه:"الراحة للرجال غفلة، وللنساء غلمة (أي زيـــادة في هيجان الشهوة) !!.

* سال سائل "ابن الجوزي" : أيجوز ان أُفسح لنفسي في مباح الملاهي؟!! فقال له: عند نفسك من الغفلة ما يكفيها" [نقلا عن كتاب"الرقائق" للراشد].

* أخي: من علم ما يطلب من ربه ، هان عليه ما يبذل من نفسه!!

جلّت مطالبه فهانت عنده ... أوصابهُ وحياته ومماتهُ .

* قال"شعبة بن الحجاج" رحمه الله:" لا تقعدوا فِراغاً ، فإن الموت يطلبكم" .

* قال"ابن القيم" :"النية الصالحة والهمة العلية نفس تضيء وهمة تتوقد" [نقلا عن كتاب"الفوائد" لابن القيم].

* وأمَّا "جارية خالد الورّاق" رحمها الله فقد كانت ذات همة علية يعجز عن الوصول إليها أكثر الرجال، فاسمع إلى سيدها"خالد الورّاق" وهو يقول:"كانت لي جارية شديدة الاجتهاد، فدخلتُ عليها يوما فأخبرتها برفق الله وقبوله يسير العمل، فبكت ثم قالت:يا خالد إني لأؤمل من الله تعالى أمالا لو حملتها الجبال لأشفقت من حملها كما ضعفت عن حمل الأمانة ،وإني لأعلم أن في كرم الله مستغاثا لكل مذنب، ولكن كيف لي بحسرة السباق؟!!فقلت: وما حسرة السباق؟!! فقالت: غداة الحشر إذا بُعثر ما في القبور، وركب الأبرار نجائب الأعمال فاستبقوا إلى الصراط، وعزّة سيدي لا يسبق مقصر مجتهدا أبدا، ولو حبا المجدُّ حبوا، أم كيف لي بموت الحزن والكمد إذا رأيت القوم يتراكضون وقد رُفعت أعلام المحسنين وجاز الصراط المشتاقون، ووصل إلى الله المحبون، وخُلّفتُ مع المسيئين المذنبين؟!! ثم بكت وأنتحبت!!" [نقلا عن كتاب" صفة الصفوة" لابن الجوزي (٤٦/٤)].

* ورحم الله الشاعر إذ يقول:

كذاك الفخر يا همم الرجال ... تعالي فانظري كيف التعالي.

* قال"ابن القيم":"فمن علَت همته، وخشعت نفسه ، اتصف بكل جميل ، ومن دنت همته ، وطغت نفسه ، اتصف بكل خلق رذيل" [نقلا عن كتاب"الفوائد" لابن القيم].

* أخي: كلما تعاظمت الهمم تصاغرت الجثث:

ولستَ ترى الأجسام وهي ضئيلة .... نواحلُ إلا والنفوس كبارُ

[نقلا عن كتاب"اللطف في الوعظ" لابن الجوزي].

* أخي: إن مفاوز الدنيا تُقطع بالأقدام، ومفاوز الاخرة تُقطع بالقلوب، فلتكن همة طالب الاخرة عالية فإن سلعة الله غالية" .

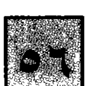
* أخي:"ماذا فاته من فاته قيام الليل؟!!، أمَّا لكم همة تنافسون بها الحسن وسفيان وفضيل ؟!! .. أمَّا سمعتم قول "السري":" رأيت الفوائد ترد في ظلم الليل"؟!!... نادِ في الدجى: قد قَدِمَ الغائب!! " [نقلا عن كتاب"عقود اللؤلؤ والمرجان" لإبراهيم بن عبيد].

* أخي : أما لك همة أن تكون كقوم قال فيهم الشاعر:

عبَّاد ليلٍ إذا جنَّ الظلام بهم ... كم عابدٍ دمعةُ في الخد أجراهُ

وأُسدُ غابٍ إذا نادى الجهاد بهم ... هبُّوا إلى الموت يستجدون رؤياهُ

يا ربِّ فابعث لنا من مثلهم نفرا ... يُشيِّدون لنا مجدا أضعناهُ .




وقيام الليل اتصال بالرب تعالى ، لا يشبهه اتصالٌ أبدا ، إنه اتصال بين الخالق العظيم والمخلوق الحقير ، اتصالٌ بين السيد ومولاه ، فهل أعددتَ نفسك لهذا الاتصال ؟!! وهل أنتَ ممن يحرص على ذاك الاتصال ؟!! .

*عن"أبي هريرة" رضي الله عنه أن النبيﷺ قال:"الصلاة خير موضوع، فمن استطاع أن يستكثر فليستكثر" [رواه الطبراني في"المعجم الأوسط"،ورواه أحمد وابن حبان وصححه من حديث أبي ذر، والحديث حسنه "الألباني" في" صحيح الجامع" برقم (٣٧٦٤)].

* قال العلامة"المناوي" مبينا سبب كون الصلاة خير موضوع:" لأنَّ بها تبدو قوة الإيمان في شهود ملازمة خدمة الأركان، ومن كان أقواهم إيمانا كان أكثرهم وأطولهم صلاة وقنوتا وإيقانا" [نقلا عن كتاب"فيض القدير" للمناوي (٤/٢٤٧)].

* قال"الجريري":قصدت"الجنيد" رحمه الله فوجدته يصلي ، فأطال جدا، فلما فرغ قلت له: قد كبرتَ ووهن عظمك ورقّ جلدك وضعُفت قوتك فلو اقتصرت على بعض صلاتك!! فقال: اسكت!! طريق عرفنا به ربنا لا ينبغي لنا أن نقتصر منه على بعضه، والنفس ما حملتها تتحمل، والصلاة صلة ، والسجود قربة، ومَنْ ترك طريق القُرَب، يوشك أن يُسلك به طريق البعد !! ثم أنشد:

صبرتُ عن اللذات حتى تولّتِ ... وألزمتُ نفسي هجرها فاستمرتِ

وكانت على الأيام نفسي عزيزةً ... فلما رأت صبري على الذلّ ذلّتِ

وما النفس إلا حيث يجعلها الفتى ... فإنْ تُوقت تاقت وإلا تسلّتِ

[نقلا عن كتاب"الصلاة والتهجد" لابن الخراط].

* قال"الأُستاذ "سيد قطب" مقررا أن القيام صلة بالمولى تعالى :" هنا تبدو قيمة الصلاة:

إنها الصلة المباشرة بين الإنسان الفاني ومولاه الباقي.

إنها الموعد المختار للالتقاء بالنبع الذي لا يغيض.

إنها مفتاح الكنز الذي يُغني ويقني ويفيض.

إنها الانطلاقة من حدود الواقع الأرضي الصغير إلى مجال الواقع الكوني الكبير.

إنها اللمسة الحانية للقلب المتعب المكدود.

إنها زاد الطريق ومدد الروح وجلاء القلب" [نقلا عن كتاب" في ظلال القرآن" لسيد قطب ، ج١].

*قال"بكر بن عبدالله المزني" رحمه الله:"منْ مثلك يا ابن آدم؟!! خُلّيَ بينك وبين المحراب والماء ، كلما شئت دخلت على الله عزَّ وجلّ ليس بينك وبينه ترجمان" [نقلا عن كتاب" استنشاق نسيم الأنس" لابن رجب].

٥٧ استحضار الجنّة ونعيمها

تذكر الجِنان ، واستحضار نعيمها بالذهن والجَنان ، وتخايل ما أعده الله فيها لأهل الليل والقرآن ، يُعين على التحمس لمناجاة الرحيم الرحمان :

* كان العبد الصالح"أبو معاوية الأسود" رحمه الله،إذا قام ليتوضأ لصلاة الليل ، قال: ما ضرّهم (أي أهل قيام الليل) ما أصابهم في الدنيا !! (اي من ترك الفراش والزوجة والراحة) ، جبر الله لهم كل مصيبة بالجنة!! " [نقلا عن كتاب" الحلية" لأبي نعيم (٨/٢٧٣)].

* قيل للإمام أحمد رحمه الله:"متى يجد العبد طعم الراحة؟!! فقال: عند أول قدم يضعها في الجنة" [نقلا عن كتاب"الرقائق" للراشد].

* كان العبد الصالح" عبد العزيز بن أبي روّاد" رحمه الله يُفرش له فراشه لينام عليه بالليل، فكان يضع يده على الفراش فيتحسسه ثم يقول: ما ألينك!! ولكنَّ فراش الجنة ألينُ منك!! ثم يقوم إلى صلاته" [نقلا عن كتاب" تنبيه المغترين" للشعراني].

* قال"ابن القيم" في وصف الجنة:" فيا عجباً لها كيف نام طالبها، وكيف لم يسمح بمهرها خاطبها،وكيف طاب العيش في هذه الدار بعد سماع أخبارها، وكيف قرَّ للمشتاقين القرار دون معانقة أبكارها؟!! وكيف قرّت دونها أعين المشتاقين؟!! وكيف صبرت عنها أنفسُ الموقنين؟!! وكيف صدفت عنها قلوب أكثر العالمين؟!! وبأيِّ شيء تعوَّضت عنها نفوس المعرضين؟!!" [نقلا عن كتاب" حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح" لابن القيم].

* قام بعض الصالحين يصلي من الليل، فأتى على هذه الآية :{ سارعوا إلى معفرة من ربكم وجنّةٍ عرضها السموات والأرض} [سورة آل عمران الآية(١٣٣)] ، فجعل يرددها ويبكي حتى طلع الصباح!! فلما طلع الصباح قيل له: لقد أبكتكَ آية ما مثلها يُبكي!! إنها جنة عريضة!! فقال:يا ابن أخي: وما ينفعني عرضها إنْ لم يكن لي فيها موضع قدم!!" [نقلا عن كتاب"الصلاة والتهجد"لابن الخراط].

* قال"ابن القيم":"فيا عجباً من سفيهٍ في صورة حليم، ومعتوهٍ في مسلاخ عاقل، آثر الحظ الفاني الخسيس على الحظ الباقي النفيس، وباع جنة عرضها الأرض والسموات بسجن ضيق بين أرباب العاهات والبليات.

ومساكن طيبة في جنات عدن تجري من تحتها الأنهار، بأعطان ضيقة آخرها الخراب والبوار.

وأبكارا عربا اترابا كأهن الياقوت والمرجان،بقذرات دنسات سيئات الأخلاق مسافحات أو متخذات أخدان.

وحوراً مقصورات في الخيام بخبيثات مسيـــّباتٍ بين الأنام، وأهاراً من خمر لذة للشاربين، بشراب نجس مُذهبٍ للعقل، مُفسدٍ للدين.

ولذة النظر إلى وجه العزيز الرحيم، بالتمتع برؤية الوجه القبيح الدميم.

وسماع الخطاب من الرحمن ، بسماع المعازف والغناء والألحان.

والجلوس على منابر اللؤلؤ والياقوت والزبرجد في يوم المزيد، بالجلوس في الطرقات مـــع كل شيطان مريد.

فلو توهَّم المتخلف عن هذه الرفقة ما أعد الله لهم من الإنعام، وادخر لهم مـــن الفضـــل والإكرام، وما أخفىَ لهم من قرة أعين لم يقع على مثلها بصر، ولا سمعته أذن ولا خطـــر على قلب بشر، لعلم أيَّ بضاعة أضاع !! وأنه لا خير له في حياته وهو معدود من سقط المتاع!! [نقلا عن كتاب" حادي الأرواح" لابن القيم].

* رأى أحد الصالحين في منامه خياما مضروبة فسأل: لمن هذه الخيام ؟!! فقيل له: هـــذه خيام المتهجدين بالقرآن!! فكان لا ينام الليل بعدها !!.

* قال"ابن القيم" في"النونية" واصفا خيام الجنان:

وخيامها منصوبة برياضـــها ... وشواطيء الأهار ذي الجريان

لله هاتيك الخيام فكـــم بها ... للقلب من عِلَقٍ ومن أشجان

[نقلا عن"نونية"ابن القيم].

* كان رجل من الموالي يُقال له" صهيب" وكان يكثر القيام بالليل والبكاء،فعوتـــب في ذلك فقال: إن صهيبا إذا ذكر الجنة طال شوقه، وإذا ذكر النار طار نومه!! " [نقـــلا عـــن كتاب" التخويف من النار" لابن رجب الحنبلي].

* فيا أخي الحبيب: أمَّا تشتاق إلى الجنان؟!! فإن الجنان تشتاق إلى الصالحين الأخيار:

إلى العُـــبَّاد في الدنيا .... جنان الخـــلد تشـــتاق

عبيدٌ من خطـــاياهم .... إلـــى الرحمـــن أُبَّـــاقُ

عليهم حـــين تلقاهم .... سكــينات وإطـــراق
يضجُّـــون إلـــى الله ... ودمـــع العين مهـــراق
[نقلا عن كتاب"التبصرة" لابن الجوزي (٤٩٨/١)].

*أخي :"عزَّت الدار وجلَّ المرام ، ونال ساكنها فوق المُرام ، فيا مشغولا عنها بأضغـــاث أحلام ، وصل كتاب الملك العلاَّم :{والله يدعو إلى دار السلام}.

دار الإعزاز والإكرام ، بُنيت لقوم كرام ، لا غُرم فيها ولا غرام، ما يسكنها من يُضام ، ثمنها يا مشتري بـــيـــنٌ: صلاة وصيام ، نعيمها في دوام لذاتهـــا في تمـــام ،والحـــور في القصور والخيام ، شهواتها لم تخطر على الأوهام ، انتبهوا لطلبها يا نيام ، قد جمعتْ كـــل مشتهى وزادت على كل الغرض المنتهى ، عجبا لمن غفل وسها، انهض لها يا غـلام{ والله يدعو إلى دار السلام}" [نقلا عن كتاب"التبصرة" لابن الجوزي(٤٣٤/١)].

٥٨ نـــضح الماء على الوجـــه عند الاستـــيقاظ من النوم

ومما يُعين على القيام نضح الوجه بالماء عند الاستيقاظ مـــن النـــوم ، سواء نضح المرء وجهه بنفسه ، أو كلَّف من يوقظه بذلك، فإن للماء خاصية عجيبـــة في طرد النعاس وأثر النوم عن المرء:

* عن"أبي هريرة"رضي الله عنه أن النبي قال:" رحم الله رجلا قام من الليل فصلى، وأيقظ امرأته فصلت، فإن أبت نضح (أي رشَّ) في وجهها الماء، ورحم الله امرأة قامت من اللـــيل فصلت، وأيقظت زوجها فصلى، فإن أبى نضحت في وجهه الماء" [رواه أبو داود والنسائي وابـــن ماجة، والحاكم، وقال: صحيح على شرط مسلم، وصححه " ابن حبان"، وقال" النووي": إسناده صحيح].

* قال"المناوي" تعليقا على هذا الحديث:"وخُصَّ الوجه بالنضح لشرفه ولأنه محل الحواس التي بها يحصل الإدراك" [نقلا عن كتاب"فيض القدير" للمناوي (٢٥/٤)].

- ولقد سار سلفنا الكرام على هذا التوجيه النبوي الكريم :

* قال" الحسن": تزوج"عثمان بن أبي العاص"رضي الله عنه امرأة من نساء عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال: والله ما نكحتها رغبة في مال ولا ولد، ولكني أحببت أن تخبرني عن ليل"عمر"!! فسألتها فقلت: كيف كانت صلاة عمر بالليل؟ فقالت: كان يصلي العشاء ثم يأمرنا ان نضع عند رأسه تورا (أي إناءً) فيه ماء، فيتعارُّ من الليل، فيضع يده في الماء فيمسح وجهه ويديه ثم يذكر الله عزَّ وجلَّ حتى يُغفي، ثم يتعار حتى تأتي الساعة التي يقوم فيها" [نقلا عن" الزهد" للإمام أحمد].

* قال"الهيثم":" كانت لي امرأة لا تنام بالليل، وكنت لا أصبر معها على السهر، فكنتُ إذا نعستُ ترش عليَّ الماء في أثقل ما أكون من النوم وتُنبهني برجلها وتقول: أما تستحي من الله!! إلى كم هذا الغطيط؟!!، قال: فوالله إن كنتُ لأستحي مما تصنع" [نقلا عن كتاب" صفة الصفوة" لابن الجوزي ، جـ ٤].

* أخي:" يا من يصير عن قليلٍ إلى حفرة ، تنبـَّه لنفسك من هذه السكرة ، لو أنك تذكرت لحدك كيف تبيت وحدك ، ويُباشر التراب خدك وتتقسَّم الديدان جلدك ، ويضحك المحبُّ بعدك ناسيا عنه بُعدك ،والأهل قد وجدوا المال وما وجدا فقدَك، إلى متى وحتى متى تترك رشدك؟!! أما تُحسن أن تُحسن قصدك؟!! الأمر مُجدٌّ جدا فالزم جِدّك!!

ذهب الأحبـَّة بعد طول تودد ... ونأى المزار فأسلموك وأقشعوا
خذلوك أفقر ما تكون لغربةٍ ... لم يُؤنسوك وكربةً لم يدفعوا
قُضي القضاء وصرتَ صاحب حفرة .... عنك الأحبة أعرضوا وتصدَّعوا "

[نقلا عن كتاب" التبصرة" لابن الجوزي (٢/٦٤)].

٥٩ إدراك أنَّ القيام سببٌ لحُسن الخاتمة

ولا بدَّ للمرء من ساعة الرحيل والفراق لهذه الدار ، وحينئذ يأتي قيام الليل لينفع صاحبه في تلك اللحظات العصيبة ، وليكون عونا له على الخاتمة الحسنة ، فطالما وقف هذا العبد وانتصب بين يدي مولاه ، وتضرع وانكسر وتذلل لمن خلقه وبراه

، أفترى ربَّه يخذله في ساعة الفراق ؟!!، ويكِلُه إلى شيطانه إذا التفت الساق بالسلق ؟!! حاشا وكلا !! بل يرعاه ويكلأه ، ويعينه ويثبته في تلك اللحظات الحاسمة:

*عن هشام بن يحي الكناني"قال: غزونا أرض الروم سنة ثمانٍ وثلاثين،وعلينا "مسلمة بن عبد الملك"....،وكنا رُفقةً من أهل البصرة نتناوبُ الخدمة والحراسة وطلب الزاد والعلوف في موضع واحد،وكان معنا رجلٌ يُقال له "سعيد بن الحارث"رحمه الله،وكان يصوم النهار ويقوم الليل (أي في أرض الجهاد)، وما رأيته في ليلٍ ولا نهارٍ إلا في حال اجتهاد،فإن لم يكن وقت الصلاة أو كنا نسير لم يفتر عن ذكر الله تعالى ودراسة القرآن ، فأدركتني وإياه النوبة ذات ليلةٍ في الحراسة ونحن محاصرون حصناً من حصون الروم قد استصعب علينا أمره،فرأيت من"سعيد" في تلك الليلة من شدة الصبر على العبادة والقيام والصلاة ما احتقرتُ معه نفسي، وعجبت من قوة جسمه على ذلك!! فكلمته أن يرفق بنفسه فقال لي: يا أخي إنما هي أنفاسٌ تعدُّ وعمرٌ يفنى وأيام تنقضي!! وأنا رجل أرتقب الموت وأبادر خروج نفسي!!فأبكاني جوابه ودعوت الله له بالعون والتثبيت!! ثم قلت له: نم قليلا لتستريح فإنك لا تدري ما يحدث من أمر العدو،.....،فنام "سعيد" في الخيمة لوحده وبقيتُ أنا أحرس،وفجأة سمعتُ كلاماً في الخيمة، فتعجبتُ لأنه ليس فيها إلا"سعيد"وهو نائم،وما لم أرَ أحدا يدخلها سواه، فذهبتُ إلى الخيمة فنظرت داخلها، فإذا"سعيد" نائم إلا أنه يضحك ويتكلم وهونائم، وحفظتُ من كلامه:"ما أحبُّ أن أرجع!!"، ثم مدَّ يده اليمنى كأنَّه يأخذ شيئا ثم ردَّها بلطف وهو يضحك!! ثمَّ قال:"فالليلةَ !!" ثمَّ وثب من نومه وهو يرتعد فاحتضنته وهدَّأتُه، فلما هدأ جأشه أخذ يهلل ويكبر ويحمد الله تعالى!! فسألته أن يقصَّ عليَّ الخبر، فأخبرني أنَّ رجلين أتياه في المنام علىأحسن هيئة وقالا له:قم حتى نُريكَ ما أعد الله لكَ مِن النعيم!! قال أبو الوليد: وظل "سعيد" يسرد عليَّ ما رأه من القصور والحور وترحيبهنَّ به،والجواري حتى انتهى إلى سريرٍ وعليه واحدة من الحور العين وكأنّها اللؤلؤ المكنون، فقالت له:قد طال انتظارنا إياك!! فقال لها"سعيد":مَنْ أنتِ؟ فقالت:أنا زوجتك الخالدة!!قال: فمددتُ يدي إليها

فردَّهَا بلطفٍ وقالت:أما اليوم فلا !! إنك راجعٌ إلى الدنيا !! فقلتُ لها:ما أحبُّ أن أرجع!! فقالت:لا بُدَّ مِن ذلك،وسُتقيم في الدنيا ثلاثا ثمَّ تُفطر عندنا في الليلة الثالثة إن شاء الله !! فقلت:فالليلةَ الليلةَ (أي ما أريد أن أرجع إلى الدنيا،بل أريد الأنتقال إليكِ هذه الليلة) ، فقالت:إنه كان أمراً مقضيا،ثم نَهَضَتْ من مجلسها واستيقظتُ أنا حينئذٍ من نومي.

قال أبو الوليد:ثم ذهب"سعيد" فاغتسل وتطهَّر وتحنَّط ولَبِسَ أكفانه، فلمَّا كان الصبح هجم على الأعداء يُقاتلهم ببسالة وضراوة، يطلب الموت في سبيل الله ، فلمّا حلّ المساء وتوقَّف القتال أفطر وكان صائما نهاره كله،وبات ليلته تلك يصلي لله، فلما كان اليوم الثاني صنع كصنيعه في اليوم السابق، فلما كان اليوم الثالث صنع كصنيعه في اليومين السابقين، فقاتل الأعداء ببسالة ــ وهو صائم ــ كأنما هو عاشقٌ للموت في سبيل الله ، لكن الله له لم يرزقه إياه طوال النهار،فلما دنت الشمس من الغروب،رماه رجل من الروم بسهم فخرَّ صريعا،فأسرعتُ إليه وقلت له:هنيئا لك بما تُفطر عليه الليلة !! يــاليتني كنتُ معك!!قال أبو الوليد:فضحك "سعيد" في وجهي!! ثم قال:الحمد لله الذي صدقنا وعده!! ثم فاضت روحه إلى بارئها،فَصِحتُ بأعلى صوتي وناديت :"لمثل هذا فليعمل العاملون!!.

ثمَّ أخبرتُ الناس الخبر، فبكوا وضجُّوا بالنحيب، ثم كبَّروا تكبيرة اظطرب لها العسكر،...، وبات الناس يذكرون حديثه ويحرض بعضهم بعضا على قتال الأعداء، فلما أصبحوا نهضوا إلى حصن العدو بنيّات مجددة وقلوبٌ مشتاقة إلى لقاء الله عزَّ وجلَّ، فما أضحى النهار حتى فتح الله علينا ذلك الحصن!!"[نقلا عن كتاب"مشارع الأشواق"لابن النحاس]

*قال"أبو الزاهرية":" سمعتُ "أبا ثعلبة الخشني" رضي الله عنه يقول:إني لأرجو ألا يخنقني الله ما أراكم تُخنقون !! فبينما هو يصلي في جوف الليل قُبض وهو ساجد، فرأت ابنته في منامها أن أباها قد مات، فاستيقظت فزعةً فنادتْ أمَّها وقالت: أين أبي؟!! قالت: في

مصلاه، فقامت البنت فنادت أباها فلم يُجبها، فحركته من سجوده فوجدته ميتـــا !! " [نقلا عن كتاب"سير اعلام النبلاء" للذهبي (٢/٥٧٠)].

*لما احتضرت العابدة الصالحة" معاذة العدوية" رحمها الله ــ وكانت صوَّامة قوَّامـــة ــ بكت ثم ضحكت!! فقيل لها: ممَّ بكيتِ وممَّ ضحكتِ؟!! فقالت: أما البكاء الذي رأيتم فإني ذكرت مفارقة الصيام والصلاة والذكر فكان البكاء لذلك!! وأما الذي رأيتم مـــن تبسمي وضحكي فإني نظرت إلى أبي الصهباء" ــ وهي كنية زوجها"صلة بـــن أشـــيم العدوي" وكان قد مات قبلها ــ قد أقبل في صحن الدار وعليه حلتان خضراوان في نفر والله ما رأيت لهم في الدنيا شبهاً (تعني أنهم ملائكة) ، فضحكتُ إليـــه!! ولا أراني (اي لا أظنـــني) أُدرك بعد ذلك فرضا !!، قال الراوي: فماتت قبل أن يدخل وقت الصلاة" [نقلا عن كتاب" صفة الصفوة" لابن الجوزي (٤/٢٤)].

*قال"نافع":لما غُسِّل العبد الصالح" أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدني " رحمه الله ــ وكـان أحد أئمة القراءات ــ نظروا ما بين نحره إلى فؤاده كورقة المصحف !! فما شك مـــن حضره أنه نور القرآن !! " [نقلا عن كتاب"سير أعلام النبلاء" للذهبي (٥/٢٨٦)].

* أخي: كن في الدجى مع قومٍ :"جرت دموع حزنهم في سواقي أســـفهم ، إلى ريـــاض صفائهم فأورقت اشجار وصالهم ، ودموعهم تجري كالدِّيم كلما ذكروا زلَّـــة قـــدم ، يرعون العهد والذمم ، يحذرون نارا تعيد الجسم كالحمم ، يخافون حرها ومن له بتحلـــة القسم ،الليل قد سجى والدمع قد سجم(أي سال)، يراوحون بين الجبهة والقدم ، وكـــم بينك وبينهم عند النقد تبين القيم ، تالله ما جُعل من نام مثل من لم ينم ، جاعوا عن طعام الهوى وآذاك التّخم ،يا قبيح العزائم يا سيء الهمم، يا مرذول الصفات يا رديء الشـــيم ، كأني بك تتمنى إذا حُشرتَ العدم!! " [نقلا عن كتاب"التبصرة" لابن الجوزي(١/٤٣٦)].

٦٠ معرفة كيف كان السلف يؤثرون القيام على مجالسة النسوان والولدان

لقد بلغ من حرص السلف الأبرار على القيام ، واجتهادهم فيه ، أنهم كانوا يؤثرونه ويتلذذون به أكثر من لذة مضاجعة الزوجات الجميلات الحسناوات ومجالستهنَّ ، ولا عجبَ في ذلك ، فإن أبكار المعاني ألذ واشهى من أبكار الغواني ، وإن لذة القلب وانشراح الصدر وطمأنينة النفس حين تقف بين يدي خالقها في الظلام لتتلو كلامه وتسكب العبرات شوقا إلى لقائه ، وتطلق الزفرات خوفا من عقابه ، إن هذه اللذات لا تعدلها أبدا لذة افتضاض الأبكار ،أومداعبة الجواري الحسان ، أو ملاعبة الأبناء والولدان:

* رجع الصحابي الجليل" أبو ريحانة" رضي الله عنه من غزوة غزاها، فأتى أهله فتعشى ثم دعا بوضوء فتوضأ بعد العشاء ثم قام يصلي لله فقرأ سورة حتى ختمها ثم أخرى ولم يزل على حاله تلك كلما فرغ من سورة افتتح أخرى حتى إذا أذَّن المؤذن من السحر شدَّ عليه ثيابه، فأتته امرأته فقالت له: يا أبا ريحانة قد غزوتَ فتعبت في غزوتك، ثم قدمتَ إلينا ولم يكن لي منك حظ ونصيب هذه الليلة !! فقال لها:بلى والله ما خطرتِ لي على بال !! ولو ذكرتكِ لكان لك عليَّ حق!! فقالت امرأته:فما الذي يُشغلك يا أبا ريحانة؟!! فقال: لم يزل يهوي قلبي فيما وصف الله في جنته من لباسها وأزواجها ونعيمها ولذاتها حتى سمعتُ المؤذن!! " [نقلا عن كتاب"الزهد والرقائق" لابن المبارك].

* لما أُهديت"معاذة العدوية" رحمها اله إلى زوجهاط صلة بن أشيم العدوي" رحمه الله، أدخله ابن أخيه(وهو أخو معاذة) الحمام (أي ليغتسل ويتنظف)، ثم أدخله غرفة النوم المطيَّبة المنعَّمة، فلما دخل "صلة" على "معاذة" قام يصلي الليل، وقامت الزوجة الصالحة" معاذة" وراءه تصلي إلى أن طلع الفجر !! فلما أصبح الصباح سأله أخوها: كيف وجدتَ أهلك البارحة؟!! فأخبره أنه ظل هو وزوجته طوال الليل في صلاة!! فعاتبه أخو معاذة على ذلك ، فقال له صلة:إنك أدخلتني بيتا أذكرتني به النار(يعني الحمام)!! ثم أدخلتني بيتا أذكرتني به الجنة، فما زلت طوال الليل بين رغبة ورهبة، وما زالت فكرتي فيهما حتى أصبحتُ!! "[نقلا عن كتاب" التخويف من النار" لابن رجب].

* قال"عبدالله بن غالب" رحمه الله:"لقد ذهب الطاعون الجارف بأبنائي وما شبعتُ من حديثهم ، أما النهار فكما ترون ـ وكان يصلي ما بين الظهر والعصر، وما بين المغرب والعشاء يسبح تسبيحا كثيرا دائما ـ وأما الليل فأقول(أي لأولادي):الحقوا بأمكم!!(أي لأجل أن أتفرغ لمناجاة ربي) " [نقلا عن كتاب"الزهد" للإمام أحمد].

* أخي : تأمل في أهل الليل:"يا حسنهم في الدجى ونورهم قد أشرق، والحياء قابض والراس قد أطرق ، والأسير يبكي ويشكو ويرجو أن يُعتق ، فإذا جاء النهار دخلوا سورا من التقى بعد خندق ، تعرفهم بسيماهم وللصدق رونق ،اسلك طريقهم وسلْ مُعينهم تُوفَّق " [نقلا عن كتاب"التبصرة"لابن الجوزي (٢/٥٥)].

* أخي:" نُثرت عطايا الأسحار فبسط القوم حجور الآمال، كاتبوا بالدموع فجاءهم ألطف جواب ، اجتمعت أحزان السر على القلب فأوقد حوله الأسف ، وكان الدمع صاحب الخبر فنمَّ!! " [نقلا عن كتاب"التبصرة" لابن الجوزي(١/٤٣٧)].

٦١ اتهام النفس بالتقصير في القيام

وخصلة أخرى تزيدك تحمسا للقيام ، وتُعينك عليه ، ألا وهي أن تتهم نفسك دوماً وأبدا بالتقصير في القيام ، والتفريط في مناجاة العلام في جنح الظلام .

فإن كنت ـ يا رعاك الله ـ ممن منَّ الله عليه بالقيام ، طرد هذا الاتهام للنفس بالتقصير ، عنك كل عجب وغرور ، وأوقف النفس في مقام الانكسار والخضوع للملك القهار ، ودعاك إلى المزيد من الاجتهاد في مناجاة رب العباد .

وإن كنتَ ممن لا يقوم الليل أصلاً ، كان هذا الاتهام للنفس حاديا وحافزا للنفس على تدارك تقصيرها ، والتيقظ من غفلتها .

- وقد وصف المولى تعالى عباده الأبرار ، بأنهم يقومون الليل ويناجونه ، ومع ذلك فهم يتهمون أنفسهم بالتقصير في طاعاتهم ويستغفرون الله مما وقع فيها من خلل أو زلل:

* قال الله تعالى:{كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون* وبالأسحار هم يستغفرون} [سورة الذاريات الآيتان(١٧، ١٨)].

* قال"أبو القاسم القشيري" تعليقا على قوله تعالى:{ وبالأسحار هم يستغفرون}:" يُنزلون انفسهم في الأسحار منزلة العاصين ، فيستغفرون استصغارا لقدرهم واستحقاراً لفعلهم " [نقلا عن كتاب" لطائف الإشارات" للقشيري (٣١/٦)].

* كان"الأحنف بن قيس" رحمه الله يُواظب على قيام الليل، وكان يضع إصبعه بجانب المصباح ويقول: حِسَّ يا أحنف (أي بحرارة النار) يا أحنف ما حملكَ على ما صنعت يوم كذا وكذا؟!! وفي ذات يوم نشر المصحف وجعل يقرأ فيه فمرَّ بقوله تعالى:{كانوا قليلا من الليل ما يهجعون* وبالأسحار هم يستغفرون} ، ومرَّ بقوله تعالى:{ تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً }، فوقف وقال: اللهم لست أعرف نفسي ها هنا (أي لستُ من أهل هذه الأوصاف الكريمة) " [راجع كتاب"الزهد" للإمام أحمد ، وكتاب"مختصر قيام الليل" للمقريزي].

* كان العبد الصالح" يزيد الرقاشي" رحمه الله إذا قام لصلاة الليل يقول: اللهم إن فراري من النار إلى رحمتك بطيء !! فقرِّب رحمتك مني يا أرحم الراحمين ، وطلبي لجنتك ضعيف!! فقوِّ ضعفي في طاعتك يا أكرم المسئولين" [نقلا عن كتاب" الصلاة والتهجد" لابن الخراط].

* كان محمد بن علي يقوم في جوف الليل ويقول : "إلهي: أمرتني فلم أئتمر، وزجرتني فلم أزدجر.إلهي هذا عبدك بين يديك ولا أعتذر" [نقلا عن"الحلية" لأبي نعيم (١٨٦/٣)].

* كان"ثابت البناني" رحمه الله يقوم الليل حتى تنتفخ قدماه فإذا أصبح أمسك قدميه وأخذ يعصرهما (أي يدلكهما) ثم يقول : مضى العابدون وقُطع بي (أي سبقني الصالحون وتخلفتُ عنهم) !! وآ لهفاه (أي وآ حسرتاه على التقصير في طاعة الله!!) " [نقلا عن كتاب" صفة الصفوة" لابن الجوزي ، ج١].

* كان"عامر بن عبدالله بن قيس" رحمه الله يصلي الليل حتى انتفخت ساقاه وقدماه من طول القيام ــ وله في ذلك أسوة بالرسولﷺ ــ ثم يقول لنفسه: يا نفسُ إنما خُلقتِ للعبادة!! يا أمارة السوء!! قومي يا مأوى كل سوء!! فوعزة ربك لأزحفنَّ بك زحوف

البعير، ...، ثم يقول:اللهم إن النار قد منعتني من النوم فاغفر لي" [نقلا عن كتاب" تنبيه المغترين" للشعراني].

* قال"مطرف بن عبدالله بن الشخير" رحمه الله:"إني لأستلقي من الليل على فراشي، فأتدبر القرآن وأعرض عملي على عمل أهل الجنة فإذا أعمالهم شديدة:{كانوا قليلا من الليل ما يهجعون}، { يبيتون لربهم سُجداً وقياماً}، { أمَّنْ هو قانتٌ آناء الليل ساجدا وقائما}، فلا أراني فيهم !! فأعرض نفسي على هذه الآية:{ما سلككم في سقر} فأرى القوم مكذبين ، وأمرُّ بهذه الاية:{وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا}، فأرجو أن أكون أنا وأنتم يا إخوتاه منهم" [نقلا عن كتاب"الزهد" للإمام أحمد].

* كان العبد الصالح" علي بن الفضيل بن عياض" رحمه الله يصلي من الليل حتى ما يقدر على أن يأتي فراشه إلا حبوا، ثم يلتفت إلى أبيه ويقول: يا أبتِ سبقني المتعبدون!! " [نقلا عن كتاب "الحلية" لأبي نعيم (٢٩٨/٨)].

* كان العبد الصالح"موسى الطبراني"رحمه الله يقوم الليل كله، فإذا كان السحر نادى:حتى متى أصفُ الطريق للمريدين؟!! وأنا في جادة المتحيرين!! عمل العاملون ومضى الصالحون وفاز المتقون!! ثم يبكي وينشج" [نقلا عن كتاب"الصلاة والتهجد"لابن الخراط].

* كان"عبدالله بن غالب" رحمه الله يقول في دعائه:"اللهم إنا نشكو إليك سفهَ أحلامنا ونقص علمنا، واقتراب آجالنا وذهاب الصالحين منا" [نقلا عن كتاب"الزهد" للإمام أحمد].

* أخي: مهما عملت من طاعات وقدَّمت من باقيات صالحات، فاجعل نصب عينك هذه الوصية الغالية التي أوصى بها"أحمد الموصلي" أخاه" أحمد الميموني" رحمهم الله أجمعين ، حيث قال له:"يا أحمد إنْ تعمل فقد عمل العاملون قبلك، وإنْ تعبد فقد تعبَّد المتعبدون قبلك، أولئك الذين قرَّبوا الآخرة، وباعدوا الدنيا، أولئك الذين ولِيَ الله إقامتهم على الطريق، فلم يأخذوا يمينا ولا شمالا،فلو سمعت نغمةً من نغماتهم (أي بالبكاء من خشية الله) المختمرة في صدورهم، المتغرغرة في حلوقهم، لغيَّبت عليك عيشك، ولطردت عنك البطالة أيام حياتك" [نقلا عن كتاب" صفة الصفوة" لابن الجوزي (١٨٩/٤)].

* كان العبد الصالح"عتبة الغلام" رحمه الله إذا توضأ من الليل قبل أن ينتصب للصلاة قال:"اللهم إني قد حمَّلتُ نفسي ما لا أطيق من المعاصي والقبائح حتى استحقيتُ الخسف والمسخ ودخول النار، وها أنا أريد أن أقف بين يديك خلف كل عارض على وجه الأرض رجاء أن تغفر لأحد منهم فيصيبني شيء من المغفرة" [نقلا عن كتاب"تنبيه المغترين" للشعراني].

* كان العبد الصالح" كهمس الدعَّاء" رحمه الله يقوم من الليل ويُطيل القيام، ثم يقول لنفسه: قومي يا مأوى كل سوء!! فوالله ما رضيتكِ لله ساعة قط !! " [نقلا عن كتاب" الحلية" لأبي نعيم].

٦٢ استحضار النَّار وعذابها وأنكالها

ومما يُعين على التحمس للقيام ، أن يستحضر المرء بقلبه ـ ولا سيما قبل النوم ـ نار الجحيم ، وما فيها من صنوف العذاب وأنواع النكال ، ويُجيل خاطره في ذكر حيَّاتها وعقاربها وأليم عقابها ، ثم يتذكر أن قيام الليل سبب للنجاة من هذه الأهوال وتلك الأنكال ، كما تقدم معنا تقرير ذلك في الطريقة رقم (٣٧) ، وحينئذٍ ستتعلق همته بالقيام خوفا من سخط ذي الجلال والإكرام ، وطلبا لتكفير الذنوب والآثام.

وكم بكى الصالحون من ذكر النيران وأنكالها ، وكم أشفقوا من حميمها وغساقها ، وكم وجلت قلوبهم من لظاها وسعيرها، وكم جفا النوم أعينهم خوفا من زقومها وشرابها:

* كان"شداد بن أوس" رضي الله عنه إذا دخل في فراشه يتقلب عليه بمنزلة القمحة في المقلاة على النار ويقول:"اللهم إن النار قد أذهبت مني النوم!! ثم يقوم يصلي إلى الفجر" [نقلا عن كتاب"حلية الأولياء" لأبي نعيم (١/٢٦٤)].

* كان"عامر بن عبدالله بن قيس" رحمه الله إذا قام من الليل ليصلي يقول: أبتْ عينايَ أن تذوقا طعم النوم مع ذكر النار" [نقلا عن كتاب"مختصر قيام الليل" للمقريزي].

* قيل"لعامر بن عبدالله بن قيس"رحمه الله: ما للناس ينامون بالليل وأنت لا تنام؟!! فقال: إن جهنم لا تدعني أنام !! " [نقلا عن كتاب"مختصر قيام الليل" للمقريزي].

* كان التابعي الجليل" عامر بن عبدالله بن قيس" رحمه الله إذا جاء الليل قال: اذهبَ حرُّ النار النوم !! فما ينام حتى يُصبح!! وكان إذا جاء الليل يقول لنفسه:" من خاف أدلج، وعند الصباح يحمد القوم السُّرى" [نقلا عن كتاب"مختصر قيام الليل" للمقريزي].

* وكان رحمه الله دائما يُردد:" ما رأيت مثل الجنة نام طالبها، ولا مثل النار نام هاربها".

* كان"طاووس بن كيسان" رحمه الله يفرش فراشه ثم يضطجع عليه يتقلى كما تتقلى الحبة في المقلاة، ثم يثبُ فيلفهُ ويستقبل القبله يصلي لله حتى الصباح ويقول: طيّر ذكر جهنم نوم العابدين" [نقلا عن كتاب"مختصر قيام الليل " للمقريزي].

* قال"عبد الرحمن بن مهدي":" ما عاشرتُ في الناس رجلاً أرقَّ من"سفيان الثوري" رحمه الله، وكنت أرمقه الليلة بعد الليلة، فما ينام إلا أول الليل، ثم ينتفض مرعوبا فَزِعاً يُنادي: النار النار!! شغلني ذكر النار عن النوم والشهوات!! ثم يقوم فيتوضأ ويقول على إثر وضوئه:"اللهم إنك عالِمٌ بحاجتي غير مُعلَّم، وما أطلب إلا فكاك رقبتي من النار،إلهي إن الجزع قد أرّقني، وذلك من نعمك السابغة عليَّ،...، ثم يُقبل على صلاته وكان البكاء يمنعه من القراءة حتى إنْ كنتُ لا استطيع سماع قراءته من كثرة بكائه" [نقلا عن كتاب" حلية الولياء" لأبي نعيم (٧/٦٠)].

* قالت"بنت الربيع بن خيثم" للربيع: يأأبتاه مالي أرى الناس ينامون ولا أراك تنام؟!! (أي أراك تقوم تصلي بالليل؟!!) فقال لها:إن النار لا تدع أباكِ ينام" [نقلا عن كتاب الزهد" للإمام أحمد].

* قال"مالك بن دينار" رحمه الله:"لو استطعت ألا أنام لم أنم !! مخافة أن يترل العذاب وانا نائم، ولو وجدتُ أعوانا لفرقتهم يُنادون في سائر الدنيا كلها: أيها الناس: النار .. النار!! [نقلا عن كتاب"الحلية" لأبي نعيم (٢/٣٦٩)].

* كان العبد الصالح" صفوان بن محرز المازني" رحمه الله إذا أقبل عليه الليل يخور كما يخورالثور !! ويقول: منع خوف النار مني الرقاد!! " [نقلا عن كتاب" التخويف من النار" لابن رجب الحنبلي"].

* كان"مالك بن دينار" رحمه الله إذا قام في محرابه يصلي بالليل يقول:يا ربِّ قد علمتَ ساكن الجنة وساكن النار، فأيُّ الدارينِ دار مالك؟!! ثم يبكي " [نقلا عن كتاب"الحلية" لأبي نعيم (٣٦٩/٢)].

* لما عوتب العبد الصالح"عطاء السليمي " رحمه الله على كثرة بكائه قال:"إني إذا ذكرتُ أهل النار وما يترل بهم من عذاب الله وعقابه تمثلت لي نفسي بهم !! فكيف لنفسٍ تُغلُّ يدها إلى عنقها وتُسحب في النار؟!! ألا تصيح فتبكي؟!! وكيف لنفس تُعذَّب ألاَّ تبكي ؟!! ويحك ما أقلَّ غناء(أي نفع) البكاء عن أهله إن لم يرحمهم الله، إني لأشتهي أن ابكي حتى لا اقدر أن أبكي" [نقلا عن كتاب" صفة الصفوة" لابن الجوزي (٣٢٧/٣)].

* قال الحسن البصري" رحمه الله واصفا المتقين:"إن المؤمنين قوم ذلت والله منهم الأسماع والأبصار والأبدان، حتى حسبهم الجاهل مرضى، وهم والله أصحاب القلوب ، ألا تراه يقول:{وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنَّا الحَزَنَ} [سورة فاطر الآية(٣٤)]، والله لقد كابدوا في الدنيا حزنا شديدا، وجرى عليهم ما جرى على مَنْ كان قبلهم، والله ما أحزنهم ما أحزن الناس، ولكن أبكاهم وأحزنهم الخوف من النار" [نقلا عن كتاب" التخويف من النار" لابن رجب].

* وما أجمل ما قاله الشاعر:

قم الليل يا هذا لعلك ترشد ... إلى كم تنام الليل والعمر ينفد

اراك بطول الليل ويحك نائمٌ ... وغيرك في محرابه يتهجد

أترقدُ يا مغرور والنار توقد ... فلا حرُّها يُطفى ولا الجمر يُخمد

الا إنها نارٌ يُقال لها : لظى ... فتُظلم أحياناً وحيناً توقَّد

فيا راكب العصيان ويحك خلّها ... ستُحشرُ عُرياناً ووجهك أسود

ولو علم البطَّال ما نال زاهدٌ ... من الأجر والإحسان ما كان يزهد

فصامَ وقامَ الليل والناس نُوَّمُ ... ويخلو بربٍّ واحد يتعبَّد

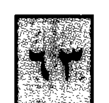
فلو كانت الدنيا تدوم لأهلها ... لكان رسول الله حيَّاً يُخلَّد.

* أخي : " لتعظُمنَّ على أهل المخالفات الآفات ، ولتقطعنَّ أفئدة المفرطين بالزفرات

،وليشتهرن الفاجر في الخلوات بالجلوات ، ولتمورنَّ السُّوق يوم السَّوق إلى سُوق المحاسبات ، ولتسيلنَّ الدماء بعد الدموع على الوجنات ، وليتحسرنَّ أهل المعاصي إذا لاحت درجات الجنات ، وليناديَنَّ منادي الجزاء يُخبر بتفاوت العطاء ووقوع السيئات، {أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات} " [نقلا عن كتاب"التبصرة" لابن الجوزي (٢/٥٨)].

* أخي: سهر القوم يقع ضرورة، لأن القلق مانع من النوم، وليس لهم في تلك الشدائد إلا جريان الدموع!! .

وفي ختام هذه الطريقة أوجه إخواني الكرام إلى أن من أنفع الكتب في وصف النار وجحيمها كتاب"التخويف من النار" لابن رجب الحنبلي ، فأوصي كل مسلم بقراءته والاستفادة مما فيه .



٦٣ معرفة أنَّ القيام سببٌ لإجابة الدعاء

وخصلة أخرى تزيدك تحمسا لقيام الليل ، ألا وهي أن تعلم أن التهجد والقيام ، والتضرع والانكسار ،بين يدي رب الأرض والسماء ، وسيلة ناجحة لإجابة الدعاء ،وحصول المطلوب بدون مشقة أو عناء:

* عن"عمرو بن عبسة" رضي الله عنه أن النبيﷺ قال:"أقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الآخر، فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن" [رواه الترمذي وصححه،والنسائي والحاكم وقال:هو على شرط مسلم، وأقره على ذلك الذهبي].

* وعن"عمرو بن عبسة" رضي الله عنه أن النبيﷺ قال:"أفضل الساعات جوف الليل الأخير" [رواه الطبراني في"المعجم الكبير"،والحديث صححه الألباني في"صحيح الجامع" برقم (١١١٧)].

* عن"عبدالله بن عامر بن ربيعة" قال: لما وقعت الفتنة أيام "عثمان" رضي الله عنه نام أبي في الليل، فأتاه آتٍ في المنام وقال له: قم فسلِ الله أن يُعيذك من الفتنة، فقام"عامر بن

ربيعة" رضي الله عنه فتوضأ وصلى من الليل ما كُتب له ثم دعا الله فقال:اللهم قني من الفتنة بما وقيت به الصالحين من عبادك" قال: فما خرج إلا في جنازة" [نقلا عن كتاب"الحلية" لأبي نعيم (١٧٨/١)].

* تمثَّل أحدهم ببيتٍ من الشعر في السحر عند العبد الصالح"هرم بن حيان" رحمه الله ، فغضب هرم عليه وروفع عليه السوط وجلده به في ظهره وقال له:افي هذه الساعة التي يترل فيها الرحمن ويُستجاب فيها الدعاء تتمثل بالشعر؟!! " [نقلا عن كتاب"الزهد" للإمام أحمد].

* لما أحسَّ الإمام"البخاري" رحمه الله في أخريات حياته ، بغربة الدين وتغير أخلاق الناس عما كانوا عليه في القرون الأولى، وخاف الفتنة في دينه، قام ذات ليلة يصلي لربه في ظلام الليل ويُناجيه، فلما فرغ من قيامه دعا الله قائلا:"اللهم إنه قدضاقت عليَّ الأرض بما رحبت !! فاقبضني إليك !! فما أتمَّ الشهر رحمه الله حتى قبضه الله إليه" [نقلا عن كتاب"تاريخ بغداد" للخطيب البغدادي (٣٤/١)].

* لما استولى الظالم الغاشم"أحمد بن عبدالله" على مدينة"نيسابور"، ضجَّ أهلها وغضبوا، فلما كان ذات ليلة صلى العبد الصالح" أبو عمرو أحمد بن المبارك" رحمه الله صلاة العشاء، ثم قام طوال الليل يصلي ويدعو ربه بصوت عالٍ على هذا الغاشم الظالم ويقول: اللهم شُقَّ بطنه!! اللهم شقَّ بطنه!! فما أصبح الصباح إلا ووجدوا هذا الظالم مقتولا " [نقلا عن كتاب" سير أعلام النبلاء" للذهبي (٣٧٤/١٣)].

* قال"ابن الجوزي" سجعاً على آية:{وجوهٌ يومئذٍ ناعمة}:

"كانت أقدامهم في الدجى قائمة ، وعيوهُم ساهرة لا نائمة ، وقلوبهم على الطاعات كل ساعة عازمة ، وهذه أفعال النفوس الحازمة ، فوجبت لهم نجاةٌ قطعية جازمة،{ وجوه يومئذ ناعمة} " [نقلا عن كتاب"التبصرة"لابن الجوزي (٤٢٢/١)].

* أخي: أهل القيام والتهجد:" وجوهٌ طالما غسلتها الدموع ، وجوهٌ طالما أذلها الخشوع ، وجوهٌ أظهر عليها الإصفرار الجوع ، خاطرت في المهالك فأصبحت سالمة،{وجوهٌ يومئذٍ ناعمة}.

وجوهٌ أذعنت إذ عنت ولذّت ، وجوهٌ أَلِفَت السجود فما ملّت ، وجوه إلينا توجَّهت

وعن غيرنا تولّت ، زالت عنها فترة الهجر وتجلّت ، فحلّت غانمة،{ وجوهٌ يومئذٍ ناعمة} سهرهم إلى الصَباح قد أثــّر في الوجوه الصِّباح،...،وعل الحقيقة فكــــل الأرواح مـــن الخوف هائمة، { وجوهٌ يومئذٍ ناعمة}" [نقلا عن كتاب"التبصرة"لابن الجوزي(٤٢٣/١)].

٦٤ الـــتـــســـوك عنـــد الاســـتـــيـــقـــاظ من الـــنـــوم

ومن الأمور التي تعين على التحمس للقيام ، وتطرد النوم عن المـــرء ، أن يحرص ويواطب على البدء بالسواك عند استيقاظه من نومه للتهجد :

* عن"حذيفة بن اليمان" رضي الله عنه قال:"كان النبيﷺ إذا قام مـــن الليـــل ــ وفي رواية عند مسلم في الصحيح :إذا قام ليتهجد ــ يشوص فاه بالسواك "[متفق عليه].

* قال الحافظ"ابن حجر" تعليقا على الحديث:"يشوص فاه" الشَّوص :بــــالفتح الغســـل والتنظيف،.....،قال"ابن دقيق العيد:فيه استحباب السواك عند القيام مـــن النـــوم، لأن النوم مقتضٍ لتغير الفم لما يتصاعد إليه من أبخرة المعدة" [نقلا عن كتاب"فتح الباريء" لابـــن حجـــر (٣٥٦/٢)].

* قال"الحافظ ابن رشيد" تعليقا على حديث حذيفة:"ولفظ التهجد مع ذلـــك مشـــعر بالسهر، ولا شك أن في التسوك عونا على دفع النوم فهو مشعرٌ بالاستعداد للإطالـــة(أي إطالة القيام)" [نقلا عن كتاب" فتح الباري" لابن حجر (١٩/٣)].

* وعن"ابن عمر" رضي الله عنهما أن النبيﷺ كان لا يتعارّ من الليل إلا أجرى السواك على فيهِ (أي تسوك به)" [رواه الطبراني في"المعجم الكبير" وأبو يعلى، والحديث حسنه الألباني في صحيح الجامع برقـــم (٤٧١٨)].

* وعن"عائشة " رضي الله عنها أن النبيﷺ:"كان لا يرقد من ليل ولا نهار فيستيقظ إلا تسوّك" [رواه أبو داود وابن أبي شيبة في"المصنف"، والحديث حسنه الألباني في صحيح الجامع برقم (٤٨٥٣)].

*وعن "ابن عمر" رضي الله عنهما أن النبيﷺ : " كان لا ينام إلا والسواك عند رأسه ،

فإذا استيقظ بدأ بالسواك" [رواه أحمد في"المسند" وابن حبان وصححه، وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم (٤٧٤٨)].

* وعن"جابر بن عبدالله "رضي الله عنهما أن النبيﷺ قال:"إذا قام أحدكم يصلي من الليل فليستك ، فإن أحدكم إذا قرأ في صلاته وضع ملَكٌ فاه على فيه ، ولا يخرج من فيه شيء إلا دخل فم المَلَك" [رواه البيهقي في"شعب الإيمان"، والمقدسي في"المختارة"، وصححه"الألباني" في" صحيح الجامع" برقم (٧٣٣)].

* قال"المناوي" تعقيبا على الحديث المتقدم:"قوله"إذا قام أحدكم" أي إذا أراد القيام فيه، كقوله تعالى{فإذا قرأتَ القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم}،...، قوله"فليستك":أي يستعمل السواك" [نقلا عن كتاب"فيض القدير" للمناوي (٤١٢/١)].

* قال"عبد العزيز بن أبي روّاد" رحمه الله:"خلقان كريمان من أخلاق المرء المسلم: التهجد بالليل والمداومة على السواك" [نقلا عن كتاب"مختصر قيام الليل" للمقريزي].

* ذكر "محمد بن النضر الحارثي" رحمه الله قيام الليل والسواك قبله فقال: ذاك عادة المتهجدين" [نقلا عن نفس المصدر السابق].

وبالجملة فإن السواك علاوة على كونه مطهرا للفم ومزيلا للرائحة الكريهة المتصاعدة منه بعد الاستيقاظ من النوم، فهو كذلك" يُساعد على طرد النوم والنعاس والكسل عن النائم عند استيقاظه،ولذا حث الشارع عليه عند الاستيقاظ من النوم" [نقلا عن كتاب"فتح الباري" لابن حجر (٣٥٦/٢)].

* أخي: أما تشتاق أن تكون من قومٍ:" طالما أطالوا البكاء في الليل ، تجري دموعهم جري السيل ، وتستبق في صحراء الخدود كالخيل ، وإنما يُكال للعبد على قدر الكيل ، فإذا دخلوا الجنة فلكلٍ عين جارية، {فيها عينٌ جارية}.

جنَّ الليل وهم قيام ، وجاء النهار وهم صيام ، وتورّعوا قبل الكلام ، وسلّموا على الدنيا لدار السلام ، فالبطون جائعة والأجساد عارية، ائتزروا بمئزر القنوع ، وارتدوا

ببرداء الخشوع ، واستلذوا بشراب الدموع ، ولولا صحو السهر والجوع ما سكنوا الجنان العالية ،{فيها عين جارية}" [نقلا عن كتاب"التبصرة"لابن الجوزي (١/٤٢٣) بتصرف].

٦٥ إدراك أن المواظبة على القيام سبب لترك الذنوب

ومزية أخرى من مزايا قيام الليل: ألا وهي أنه سبب للإقلاع عن الذنوب والمعاصي التي يبتلى العبد بالوقوع فيها ، علاوة على كونه تكفيرا للسيئات ورفعة للدرجات ، فما أعظم هذه البضاعة وأربحها ؟!! ولكن أين المشتري؟!! .

* وقد قرر الرسولﷺ هذه الحقيقة بقوله:"عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم،...، ومنهاةٌ عن الإثم (أي ينهى صاحبه عن الذنوب والمعاصي)، ..." [وقد تقدم تخريجه] .

* وعن"أبي هريرة" رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبيﷺ فقال:إنَّ فلانا يصلي بالليل، فإذا أصبح سرق!! فقال:إنه سينهاه (أي عن السرقة) ما تقول (أي ستنهاه صلاته عن السرقة) " [رواه أحمد في "المسند" والبيهقي في"شعب الإيمان"،وقال"الألباني" في"مشكاة المصابيح" حديث رقم(١٢٣٧):إسناده صحيح] .

* وتأمل في قصة توبة العبد الصالح"الفضيل بن عياض" رحمه الله ،فستجد أن قيام الليل كان هو السبب في توبته ورجوعه إلى الله، وذلك أن"الفضيل" كان في بداية شبابه قاطعا للطريق، وكان يعشق جارية من الجواري، فبينا هو ذات ليلة يتسور عليها جدارا (أي يتسلق الجدار ليدخل عليها) إذ سمع رجلا يصلي لله في ظلام الليل ويقرأ قوله تعالى:{ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق} [سورة الحديد الآية(١٦)] ، فقال: بلى قد آن !! ثم تاب وأناب وأصبح سيدا من سادات المسلمين في الزهد والتقى والعبادة" [وراجع قصة توبته بتمامها في كتاب"التوابين"لابن قدامة المقدسي] .

* أخي:" يا من لا يُرى من توبته إلا الوعود ، فإذا تاب فهو عن قريب يعود ، أرضيتَ بفوت الخير والسعود ، أأعددت عدة لنزول الأخدود ، أما علمتَ أن الجوارح من جملة

الشهود ، تالله إن حوض الموت عن قريب مورود ، والله ما الزاد في الطريق بموجـــود ، والله إن القيامة تُشيِّب المولود ، والله إن العمر محسوبٌ معدود ، والوجوه غدا بين بيض وسود " [نقلا عن كتاب"اتبصرة"لابن الجوزي (١/٤٦٢)].

- **أخي: " متى تظهر عليك سيما المتقين ، متى تتر قى إلى مقام السابقين ، كـأني بـك تذكر قولي وقد عرق الجبين، وخابت الآمال وعبثت الشمال باليمين ، وبرق البصـو وجاء الحق واليقين ،ولا ينفع الانتباه حينئذٍ يا مسكين !!"** [نقـلا عـن كتـاب"التبصـرة" (١/٤٦٣)].

٦٦ معـــرفة كيف كان نساءالسلف يوقـــظن أزواجهن للقيام

لئن كان رجال السلف قد آثروا لذة القيام ومناجاة الرحمن علـــى لذة معانقة الخرَّد الحسان ، فإن نساء السلف الصالحات قد آثرن لذة التـــهجد والقيـــام على لذة مضاجعة الأزواج في الفرش ، وهكذا فلتكن الهمم !! .

*** تزوج "رياح القيسي" رحمه الله من الأمة الصالحة"ذؤابة"رحمها الله فبنى بها، فلما أصبح الصباح قامت إلى عجينها تخبزه، فقال لها"رياح":لو نظرتٍ إلى امرأة تكفيكِ هذا**(أي لأنـك ما زلت عروسا) **فقالت: إنما تزوجتُ رياحا القيسي، ولم أرني تزوجتُ جبارا عنيدا، فلما جاء الليل أراد "رياح" أن يختبرها ويعرف مدى اجتهادها في القيام، فنام "ريـــاح" وقـــامت "ذؤابة"تصلي، فلما مضى ربع الليل نادته "ذؤابة":قم يار ياح!! فقال: أقوم!! فصلّـــت الربع الثاني ولم يقم "رياح"، فنادته : قم يا رياح، فقال: أقوم، فصلّت الربع الثـــالث ولم يقم رياح ، فلما جاء الربع الآخر نادته: قم يا رياح، فقال: أقوم!! فصلّت الربع الآخـــر ثم قالت:مضى الليل وعسكر المحسنون وأنت نائم!! ليت شعري منْ غـــرَّني بـــك يـــا رياح؟!!"** [راجع كتاب"صفة الصفوة" لابن الجوزي (٤/٤٣)].

***واسمع إلى زوجها"رياح"وهو يصف طاعتها له وموازنتها بين الحقوق الواجبـــة عليـــها فيقول: تزوجت "ذؤابة" فكانت إذا صلت عشاء الاخرة تطيبت وتدخَّنت ولبست ثيابها**

ثم تأتيني فتقول لي: ألكَ حاجة؟!! فإن قلت: نعم ، كانت معي وإن قلتُ :لا ، قـــامت فنزعت ثيابها (أي التي تتزين بها لزوجها) ثم صفَّت قدميها تصلي لربها حتى يطلع الصباح" [راجـع كتاب" صفة الصفوة" لابن الجوزي (٤/٤٣)].

* قال"الهيثم بن جماز":كانت لي امرأة لا تنام بالليل(أي تصلي طوال الليل)، وكنتُ لا أصـــبر معها على السهر، فكنتُ إذا نعستُ ترش عليَّ الماء وأنا في أثقل ما أكـــون مـــن النـــوم وتنبهني برجلها وتقول لي: أمَّا تستحي من الله!! إلى كم هذا الغطيط؟!!قال"الهيثم":فوالله إنْ كنتُ لأستحي مما تصنع!! (أي من اجتهادها وكسلي)" [نقلا عن كتاب"صفة الصفوة" لابن الجـــوزي ، جـــ ٤].

* وأمَّا الأمة الصالحة"هنيدة" رحمها الله فقد كانت إذا مضى ثلث الليل أو نصفه أيقظـــت زوجها وأولادها ومواليها لقيام الليل وتقول لهم: قوموا فتوضأوا وصلُّوا فســـــتغتبطون بكلامي هذا!! فكان هذا دأبها حتى ماتت، فلما ماتت رأى زوجها في المنام قائلا يقـــول له:إن كنتَ تحبُّ أن تتزوجها هناك(أي في الجنة) فاخلفها في أهلها بمثـــل فعلـــها !! فكـــان زوجها يفعل مثلما كانت تفعل في الليل، وظل على هذا حتى وافاه الأجل ومات، فـــرأى الابن الأكبر قائلا يقول له في المنام:إن كنت تحب أن تلحق بدرجـــة أبويـــك في الجنـــة فاخلفهما في أهلهما بمثل عملهما، فكان الابن الأكبر يصنع كصنيع أمه وأبيه بالليل!! ولم يزل كذلك حتى مات !! فكان الناس يُسمون أهل تلك الدار"القوَّامـــين" !!" [نقـــلا عـــن كتاب"صفة الصفوة" لابن الجوزي (٤/٣٩١)].

* وأمَّا الأمة الصالحة" عمرة" امرأة حبيب العجمي" عليهما رحمة الله:"فقد قـــامت ذات ليلة تصلي من الليل،وزوجها نائم فلما دنا السحر ولم يزل زوجها نائما، أيقظته وقـــالت له: قم يا سيدي، فقد ذهب الليل وجاء النـــــهار، وبـــين يديـــك طريـــق بعيـــد وزاد قليل،وقوافل الصالحين قد سارت قدامنا ونحن قد بقينا!!" [نقلا عن كتاب"صفـــة الصفـــوة"لابـــن الجوزي (٤/٣٥)].

* كانت أحدى الصالحات العابدات تصلي من الليل ، وكانت تقـــول لزوجـــها: قـــم ويحك!! إلى متى تنام !! قم يا غافل!! قم يا بطَّال!! إلى متى وأنت في غفلتك؟!! أقســـمت

علي ألا تكسب معيشتك إلا من حلال!! أقسمت عليك الا تدخل النار من أجلي!! بـرَّ أمَّك وصِلْ رحمك، لا تقطعهم فيقطع الله بك" [نقلا عن كتاب" صفة الصفوة" لابن الجوزي (٤/٤٣٧)].

* قال"أبو عبدالله البراثي":" كانت زوجتي"جوهرة" توقظني من الليل وتقول لي:يا أبا عبدالله قد سارت القافلة!! (أي فقم للصلاة والمناجاة)، قال:ورأت في منامها خياما مضروبة،فقالت: لمن هذه الخيام!! فقيل لها: للمتهجدين بالقرآن !! فكانت بعد ذلك لا تنام بالليل" [نقلا عن كتاب"صفة الصفوة" لابن الجوزي (٢/٥٢١)].

* عن"الحسن بن صالح بن حيي" رحمه الله أنه باع جارية له، فلما صارت عند الذي اشتراها، قامت في جوف الليل لتصلي فأيقظت أهل الدار لقيام الليل وقالت لهم:الصلاة الصلاة!! فقالوا لها: أوَ قد طلع الفجر؟!! قالت: لا !! وليس تصلون إلا المكتوبة ؟!! قالوا: نعم ليس نصلي إلا المكتوبة!! فرجعت إلى الحسن وقالت له: يا سيدي قد بعتني إلى قوم سوء!! ليسوا يصلون بالليل!! فردني إليك فردها إليه" [نقلا عن كتاب" الثقات" للعجلي].

* عن"السري"رحمه الله قال:"دخلت سوق النخَّاسين (أي سوق بيع العبيد والإماء) فرأيت جارية يُنادى عليها بالبراءة من العيوب، فاشتريتها وانصرفت بها إلى المترل ، فلما صرنا في الدار عرضتُ عليها الطعام فقالت لي: والله يا مولاي ما رأيت أحدا في دارنا أكل نهارا قط!! (أي أنهم كانوا يواظبون على الصيام)،...، فلما كان العشاء أتيتها بطعام فأكلت منه ثم قالت: يا مولاي بقيت لك خدمة؟!! (أي هل تريد مني أي عمل أقوم به لك؟) فقلت: لا، قالت: فدعني لخدمة مولاي الأكبر، قلت:إي وكرامة، قال: فانصرفتْ إلى بيت تصلي فيه، وصليتُ أنا العشاء الآخرة ثم رقدتُ ، فلما مضى من الليل ثلثه ضربتْ الباب عليَّ فقلت لها : ما تريدين؟!! فقالت: يا مولاي أما لك حظ من الليل؟!! فقلت لها: لا !! فمضت وعادت إلى صلاتها، فلما مضى نصف الليل عادت فضربت عليَّ الباب فقلت لها: ما تريدين؟!! فقالت: يا مولاي قام المتهجدون إلى وردهم ، فقلت لها: يا جارية أنا بالليل خشبة وبالنهار جلبة !! فقالت: يا ويلاه!! ثم عادت إلى صلاتها، فلما بقي من الليل الثلث

الآخر ضربت الباب عليَّ ضربا عنيفا وقالت: أما دعاك الاشتياق إلى مناجاة الملك الخلاّق!! قم خذ لنفسك مكانا!! فقد سبقك الخدّام !! فهاج مني كلامها خاطرا فقمت فاسبغتُ الوضوء وركعت ركعات ، ثم بحثت عنها فرأيتها ساجدة وسمعتها وهي تقول في سجودها مناجية ربها: بحبِّك لي إلا ما غفرتَ لي !! فلما كان بعد ذلك قلت لها: ومن أين علمتِ انه يحبكِ ؟!! فقالت: يا مولاي: لولا محبته لي ما أنامك وأقامني!! فقلت لها: اذهبي فأنت حرة لوجه الله العظيم، فدعت لي ثم خرجت وهي تقول:هذا العتق الاصغر وبقي العتق الأكبر(أي من عذاب النار) " [نقلاعن كتاب"الصلاة والتهجد" لانب الخراط].

* اشترى"أبو عبدالله النباجي"رحمه الله جارية سوداء للخدمة، فلما صارت عنده في مترله قالت له: أتقرأ شيئا من القرآن؟!! فقال لها:نعم ، فقالت: اقرأ عليّ !! فقرأ عليها :بسم الله الرحمن الرحيم ، فقالت:يا مولاي هذه لذة الخبر فكيف لذة النظر؟!! فلما جنَّ عليها الليل وطّأ "أبو عبدالله"لنفسه فراشا للنوم ، فقالت له: أما تستحي من مولاك!! إنه لا ينام وأنت تنام؟!! (أي أنه ينبغي لك أن تكون في عبادة وفي عمل يقربك منه حتى يغلبك النوم فإذا غلبك النوم نمتَ ، لا أن تتكلف النوم وتتطلبه تطلبا) ، ثم أنشدت:

عجبا للمحب كيف ينام... جوف ليلٍ وقلبه مستهام
إن قلبي وقلبُ منْ كان مثلي ...طائران إلى مليك الأنام
فأرضِ مولاك إنْ أردتَ ... نجاةً وتجافى عن اتباع الحرام

قال:ثم قامت ليلتها تصلي لله" [نقلا عن كتاب"الصلاة والتهجد"لابن الخراط].

* أخي: اقعد على جانب وادي السحر فلعل إبل القوم تمر بك، وآ أسفَ المتقاعد عنهم ،وآ حسرة البعيد منهم .

* أخي: إن اشتاقت نفسك إلى دارك التي طُردت منها (أي الجنة) فعرِّج بوادي المتهجدين فهناك تمر القافلة.

٦٧ معاقبة النفس على ترك القيام

النفس البشرية بطبيعتها تميل إلى الشهوات ، والتوسع في المباحات ، وتحب الكسل والدعة ، وتكره الطاعات وتنفر منها ، ومن هنا فلا بدَّ للمرء من إكراه نفسه على فعل الطاعات وإرغامها عليها ، ثم بعد ذلك مراقبتها أثناء قيامها بالطاعة ، ثم بعد ذلك محاسبتها على تلك الطاعة ، ثم إن ظهر بعد المحاسبة تفريط وتقصير من النفس فلا بدَّ حينئذ من معاقبتها بالعقاب المناسب حتى لا يتكرر التقصير والتفريط .

ومن أنفع العقوبات لهذه النفس الأمارة بالسوء تكليفها بالقيام بطاعات أخرى ، جزاء لما اقترفته من تفريط في الطاعة ، وردعا لها عن الوقوع في مثل هذا التفريط مرة أخرى .

وكلامنا المتقدم ينسحب على موضوعنا"وهو قيام الليل" ، فيمكن للمرء أن يُعاقب نفسه إذا قصرت وتكاسلت عن القيام ، بصيام أُسبوع تطوعا لله ، أو بالصدقة بمبلغ مائة ريال مثلا ، أو بقراءة عشرة أجزاء من القرآن ، أو بحرمان نفسه عن بعض لذاتها لمدة يوم كامل ، وذلك عن كل ليلة يعزم على القيام فيها ثم لا يقوم تكاسلا وغفلة.

- ولقد سار سلفنا الكرام على هذا المسلك الرشيد ، والطريق الحميد:

* عن"نافع" :أن"ابن عمر" رضي الله عنهما كان إذا فاتته صلاة العشاء جماعة أحيا بقية ليلته" [نقلا عن كتاب"الإصابة" لابن حجر (٢/٣٤٩)].

* نام الصحابي الجليل" تميم الداري" رضي الله عنه ليلة فلم يقم يتهجد !! فقام سنةً لم ينم فيها(أي بالليل) عقوبة للذي صنع!! " [نقلا عن كتاب" سير أعلام النبلاء" للذهبي (٢/٤٤٥)].

* وهذا "عمر بن الخطاب" رضي الله عنه ، خرج إلى حائط له (أي بستان وزروع وثمار) في بعض ضواحي المدينة ، ثم عاد إلى المدينة وقد صلى الناس صلاة العصر ، فحزن أشد الحزن على هذه المصيبة العظيمة ، ألا وهي فوات صلاة الجماعة عليه ، وعاقب نفسه التي شغلها البستان عن طاعة الملك الديان ، بأن تصدق بالبستان لوجه الله ، ولسان حاله: لا بارك الله في بستان يُلهي عن طاعة الله !!"[وراجع القصة بتمامها في كتاب"الزهد"لأبي داود].

* إخواني: عباد الله هذا الليل قد انتصف، فمن منكم حاسب نفسه فيه لله وأنصَفَ ، من منكم قام في هذا الليل بحقه الذي عرف؟!! ، من منكم عزم قبل غلق أبواب الجنـــة أن يبني له فيها غُرفا من فوقها غُرف ، ألا إن عمركم قد أخذ في النقص ، فزيدوا أنتـــم في العمل فكأنكم به وقد انصرف، فكل شيء عسى أن يكون عنه عوضٌ وخَلَف ، وأمـــا ليلكم هذا فمن أين لكم منه خلف؟!!

* أخي: قف مع نفسك وقفة محاسبة صادقة وقل لها:

إلى كم أقــول ولا أفــعلُ ... وكم ذا أحوم ولا أنزل؟!!

وأزجرُ عــيني فلا ترعوي ... وأأصحُ نفسي فلا تقبلُ

وكــم ذا تعلـــل ويحها ... بعلّ وسوف وكم تمطلُ ؟!!

وكم ذا أُؤمل طــول البقا ... وأغفل والموت لا يغفلُ

[نقلا عن كتاب"رهبان الليل"للعفاني (٢/٤٧١)].

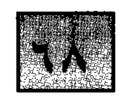
*إخواني: رحم الله منْ قال:

تــنصــّف الليل وآلهفاه وانــهدما ... واختُصَّ بالفوز بالجنات منْ خدما

وأصبح الغاأفل المسكين منكــسرا .... مثلــي فيا ويله، يا عُظم ما حُرما

من فاته الزرع في وقــت البــدار ... فما تراه يحــصد إلا الهمَّ والندما

طوبى لمن كانت التقوى بضــاعته ... في ليــله وبــحبل الله معتــصما .



٦٨ إدراك أن القيام سببٌ للثبات على طريق الاستقامة

وخصلة أخرى تزيدك أيها الحبيب حرصا على القيام ، وشــوقا إلى مناجاة اللطيف السلام ، ألا وهي أن تعلم أن القيام سبب للثبات على طريق الاســتقامة والهداية ، ومعينٌ على عدم النكوص عنه ، ومانعٌ بإذن الله من الارتداد على الأدبار:

*وقد قرر الله تعالى هذه الحقيقة في قوله:{واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرةٌ إلا على

الخاشعين} [سورة البقرة الآية(٤٥)].

***قال"الأُستاذ"سيد قطب" تعليقا على الآية المتقدمة:" حين يطول الأمد ويشق الجهد قد يضعف الصبر ــ الصبر على الطاعات، والصبر على بطء النصر، والصبر على بعد الشقة، والصبر على انتفاش الباطل، والصبر على قلة الناصر،...، والصبر على التواء النفوس،... ــ أو ينفد إنْ لم يكن هناك زاد ومدد، ومن ثم يقرن الصلاة إلى الصبر فهي المعين الذي لا ينضب، والزاد الذي لا ينفد.**

المعين(أي الصلاة) **الذي يجدد الطاقة، والزاد الذي يزود القلب، فيمتد حبل الصبر ولا ينقطع، ثم يضيف إلى الصبر الأرضى والبشاشة والطمأنينة والثقة واليقين ، ....، "** [نقلا عن كتاب" في ظلال القرآن" لسيد قطب ، ج ١].

*** وقال رحمه الله مقررا نفس المعنى السابق:"إنه لا بد للإنسان الفاني الضعيف المحدود أن يتصل بالله حين يتجاوز الجهد قواه المحدودة، حينما تواجهه قوى الشر الظاهرة والباطنة، حينما يثقل عليه جهد الاستقامة على الطريق بين دفع الشهوات وإغراء المطامع، وحينما تثقل عليه مجاهدة الطغيان وهي عنيفة، حينما يطول به الطريق،... ، حينما يجد الشر نافشا والخير ضاويا، لا شعاع في الأفق، ولا معلم في الطريق، هنا تبدو قيمة الصلاة"** [نقلا عن كتاب" في ظلال القرآن" لسيد قطب ، ج ١] .

***قال"ابن الجوزي" رحمه الله واصفا حال أهل الليل مع القيام:"لو ذاق العاقل شراب أنسهم في الظلام ، أو سمع الجاهل صوت حنينهم في القيام !! وقد نصبوا لما انتصبوا له الأقدام ، وترنموا بأشرف الذكر وأحلى الكلام ،وضربوا على شواطيء أنهار الصدق الخيام ، وركزوا على باب اليقين بالحق الأعلام، وزمُّوا مطايا الشوق إلى دار السلام ، وسارت جنود حبهم والناس في الغفلة نيام ، ووجدوا من لذة الليل ما لا يخطر على الأوهام ، نورهم يُخجل شمس الضحى ويُذري بدر التمام، فلأجلهم تنبت الأرض ومن جرَّاهم يجري الغمام ، وبهم يُسامَح الخطَّاؤن ويُصفَح عن أهل الإجرام، فإذا نازلهم الموت طاب لهم كأس الحمام ، وإذا دُفنوا في الأرض فَخِرَت بحفظها تلك العظام"** [نقلا عن كتاب"التبصرة" لابن الجوزي (٢/٣٢٥)].

*قال الأُستاذ"سيد قطب" تعليقا على قوله تعالى:{ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا} [سورة الإنسان الآية(٢٦)] :" هذا هو الزاد حيث يلتقي العبد بربه في خلوة وفي نجاء وفي تطلع وفي أنس، تفيض منه الراحة على التعب والضنى، وتفيض منه القوة على الضعف والقلة، وحيث تنفض الروح عنها صغائر المشاعر والشواغل، وترى عظمة التكليف وضخامة الأمانة فتستصغر ما لاقت وما تلاقي من أشواك الطريق، هذا هو الزاد الحقيقي الصالح لهذه الرحلة المضنية في ذلك الطريق الشائك،...هذا هو زاد أصحاب الدعوة إلى الله في كل أرض وفي كل جيل" [نقلا عن كتاب" في ظلال القرآن" لسيد قطب، ج ٦].

* قال"الراشد":"وأي دعوة تريد أن تستقيم إلى الله فعليها أن تدلف من باب الإستقامة، وبابها المحراب" [نقلا عن كتاب"الرقائق" للراشد].

* وما أجمل ما قاله الشاعر واصفا المتهجدين بالليل:

تتجافى جنوبهم ... عن لذيذ المضاجع

كلهم بين خائف ... ومستجيرٍ وطامع

تركوا لذة الكرى ... للعيون الهواجع

ورَعَوا أنجم الدجى ... طالعاً بعد طالع

واستهلّت دموعهم ... بأنصاب المدامع

فأُجيبوا إجابةً .... لم تقع في المسامع

ليس ما تفعلونه ... أوليائي بضائع

تاجروني بطاعتي ... تربحوا في البضائع

وأوهبوا لي نفوسكم ... إنها من ودائعي

[نقلا عن كتاب"التبصرة" لابن الجوزي (٣٢٦/٢)].

* إخواني:" كم مشغولٍ بالقصور يعمرها، لا يفكر في القبور ولا يذكرها ، يبيت الليالي في فكر الدنيا يسهرها، يجمع الأموال إلى الأموال يثمرها ، وقع في أشراك المنايا وهو لا يُبصرها، أُفٍّ لدنيا هذا آخرها ، وآهٍ لأخرى هذا أولها:{ولن يُؤخر الله نفسا إذا جاء

أجلها}، إذا ملكَ شمسَ الحياة المغيب ، وقام عن المريض الطبيب ، فأخذ النفس من باطنها التوبيخ والتأنيب ، فلو رأيتها تُسأل عما بها ولا تجيب من يسألها{ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها} " [نقلا عن كتاب"التبصرة"لابن الجوزي (٤١٢/١)].

٦٩ الزهد في الدنيا

إن المستغرق الخاطر والفكر في هموم الدنيا ومشاغلها ، والمعلّق القلب بشئونها وتصاريفها ، لا يتيسر له القيام ، ولا يُوفق لمناجاة الرحيم العلام ، لأن قلبه وهمته معلقة بجمع الحطام ، لا بالتلذذ بمناجاة ذي الجلال والإكرام ، فافهم هذا يا هملم ، فازهد في دنياك الفانية ، وعلّق قلبك بالدار الباقية، والسلام.

* خرج"نوف البكالي" مع" علي بن الأبي طالب" رضي الله عنه ذات ليلة، فنظر"علي" في النجوم ثم قال: يا نوف أراقدٌ أنت أم رامق؟!! فقال: بل رامق يا أمير المؤمنين، فقال: يا نوف طوبى للزاهدين في الدنيا، الراغبين في الاخرة، أولئك قوم اتخذوا الأرض بساطا،وترابها فراشا، وماءها طيبا، والقرآن والدعاء دثارا وشعارا" [نقلا عن كتاب" حلية الأولياء" لأبي نعيم (٥٣/٦)].

* قال"الحسن البصري" رحمه الله واصفا المتهجدين بالليل:"والله لقد أدركت أقواما(يعني هم الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم) وصحبتُ طوائف منهم، ما كانوا يفرحون بشيء من الدنيا أقبل،ولا يتأسفون على شيء منها أدبر، ولهي كانت في أعينهم أهون من هذا التراب،كان أحدهم يعيش خمسين سنة لم يُطوَ له ثوب قط،ولا نُصِبَ له قدر،..، فإذا كان الليل فقيام على أطرافهم يفترشون وجوههم، تجري دموعهم على خدودهم ، يُناجون ربهم في فكاك رقابهم،كانوا إذا عملوا الحسنة دأبوا في شكرها، وسألوا الله أن يقبلها،،وإذا عملوا السيئة أحزنتهم وسألوا الله أن يغفرها،فما زالوا كذلك على

ذلك،......، وإنكم أصبحتم في أجل منقوص، والعمل محفوظ، والموت والله في رقابكم، والنار بين أيديكم، فتوقعوا قضاء الله عزَّ وجلَّ في كل ليلة"[نقلا عن كتاب"الزهد" للإمام"أحمد"] .

* قال"ابن القيم":"من لم تبكِ الدنيا عليه لم تضحك الآخرة إليه" [نقلا عن كتاب" الفوائد" لابن القيم].

* قال"إبراهيم التيمي"رحمه الله:" كم بينكم وبين القوم؟!!(أي السلف) ، أقبلت عليهم الدنيا فهربوا !! وأدبرت عنكم فاتبعتموها" [نقلا عن كتاب"الفوائد"لابن القيم].

* قدم ابن عم"لمحمد بن واسع "رحمه الله فقال له: من اين اتيت؟!! فقال: من طلب الدنيا فقال له: وهل أدركتها؟!! فقال: لا ، فقال له:أنت تطلب شيئا لم تُدركه!! فكيف تُدرك شيئا لم تطلبه(أي الآخرة)" [نقلا عن كتاب"التبصرة" لابن الجوزي (٢/١١٠)]

* قال"مالك بن دينار"رحمه الله:"أربع من علامات الشقاء:قسوة القلب وجمود العين وطول الأمل والحرص على الدنيا" [نقلا عن كتاب"سير أعلام النبلاء"للذهبي (٥/٦١)].

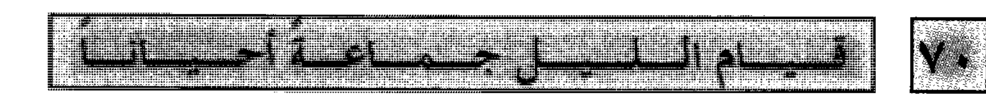
* قال"ابن القيم":"دع الدنيا فإنها جيفة والأُسْد لا تقع على الجيف، هي لا تساوي نقل أقدامك إليها فكيف تعدو خلفها" [نقلا عن كتاب" الفوائد" لابن القيم].

* أخي:"طوبى لنفس أدّت إلى ربها فرضها، وعركت بجنبها بؤسها(أي صبرت على بلائها)، وهجرت في الليل غمضها، حتى إذا غلب الكرى عليها افترشت أرضَها، وتوسدت كفَّها، في معشرٍ أسهر عيونهم خوف معادهم، وتجافت عن مضاجعها جنوبهم، وهمهمت بذكر ربهم شفاههم، وتقشعت بطول استغفارهم ذنوبهم، {أولئك حزب الله، ألا إن حزب الله هم المفلحون}" [نقلا عن كتاب" نهج البلاغة"].

* قال"ابن القيم"رحمه الله:"لما عرف الموفقون قدر الحياة الدنيا وقلة المقام بها، أماتوا فيها الهوى طلباً لحياة الأبد ، ولما استيقظوا من نوم الغفلة اتسرجعوا بالجد ما انتهبه العدو منهم في زمن البطالة ، فلما طالت عليهم الطريق تلمحوا المقصد، فقرَّب عليهم البعيد ، وكلما أمرَّت لهم الحياة حَلِيَ لهم تذكُر:{هذا يومكم الذي كنتم تُوعدون} " [نقلا عن كتاب"الفوائد" لابن القيم].

* إخواني:" أما علمتم أن هذه الدنيا غدَّارة ، أما بَردُ لذتها ينقلب حرارة ، أما ربحها على

التحقيق خسارة ، أما ينقص الدين كلما ازدادت عمارة ، لا تغرنكم فكم قد غـــرت سيَّارة ،أما قتلت أحبابها وإليك الإشارة ، إذا قال حبيبها: إنها لي ومعي قتلته وقـــالت: اسمعي يا جارة" [نقلا عن كتاب"التبصرة" لابن الجوزي (١/٤٣٢)].



المرء قليل بنفسه ، كثير بإخوانه الصالحين الذين يعينونه على طاعة الله ، ويحفزونه إليها ، ومن ذلك قيام الليل، فإن المرء ربما فتر عن القيام لوحده ، لكن لـــو وجد جماعة يقومون الليل لقام معهم ،لأن همته للتهجد قد تحفزت ، وحماسته للقيام قـــد استعرت ، لرؤيته لهؤلاء القائمين !! وهذا شيء ملاحظ ومعروف .

- وقد كان بعض الصحابة الكرام يصلى الليل جماعة مع الحبيب عليه الصلاة والسلام في بعض الأحيان:

* عن"ابن مسعود" رضي الله عنه قال:"صليتُ مع النبيﷺ ليلةً فلم يزل قائمـــا حـــتى هممتُ بأمر سوء!! قلنا: وما هممتَ؟!! فقال: هممتُ أن أقعد وأذرَ النبيﷺ" [متفق عليه].

* عن"حذيفة بن اليمان" رضي الله عنه قال:" صليتُ مع النبيﷺذات ليلـــة فـــافتتح بالبقرة !! فقلت:يركع عند المائة الأولى ثم مضى، فقلـــتُ:يصلـــي بهـــا في ركعـــة !! فمضى،فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأهـــا ، يقـــرأ مترسلا إذا مرَّ بآية فيها تسبيح سبَّح، وإذا مرَّ بسؤال سأل، وإذا مرَّ بتعوذ تعوَّذ، ثم ركع فجعل يقول: سبحان ربي العظيم" ، فكان ركوعه نحوا من قيامه، ثم قال:" سمع الله لمـــن حمده"، ثم قام طويلا قريبا مما ركع، ثم سجد فقال:" سبحان ربي الأعلى" فكان ســـجوده قريبا من قيامه" [رواه مسلم في صحيحه].

* عن "عوف بن مالك ألأشجعي" رضي الله عنه قال : قمتُ مع رسول اللهﷺ ليلة فقام

فقرأ سورة البقرة، لا يمر بآية رحمة إلا وقف وسأل، ولا يمر بآية عذاب إلا وقف فتعوّذ، قال: ثم ركع بقدر قيامه يقول في ركوعه:"سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة"، ثم سجد بقدر قيامه وقال في سجوده مثل ذلك، ثم قام فقرأ بآل عمران ثم قرأ سورة سورة (أي سورة النساء ثم سورة المائدة) " [رواه أبو داود والنسائي،والحديث حسنه الألباني في" مشكاة المصابيح" برقم (٨٨٢)].

* عن"ابن عباس" رضي الله عنهما أن النبيﷺ قام يُصلي من الليل، قال: فقمتُ وتوضأتُ ثم جئت فقمتُ عن يساره، فجذبني فجرني فأقامني عن يمينه فصلى ثلاث عشرة ركعة " [رواه أحمد في"المسند" وصحح إسناده الشيخ"أحمد شاكر "في تعليقه على "المسند" الحديث رقم(٢٢٧٦)].

* عن"أبي هريرة" و"أبي سعيد" رضي الله عنهما أن النبيﷺ قال:"مَنْ استيقظ من الليل وأيقظ امرأته فصليا ركعتين جميعا، كُتبا ليلتئذٍ من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات" [رواه أبو داود والحاكم وابن حبان وصححه، والحديث صححه الألباني في"صحيح الجامع" برقم (٥٩٠٦)].

* قال"الحافظ ابن حجر":"وروى وهب عن"مالك":"لا بأس أن يؤمَّ النفر في النافلة، فأما أن يكون مشتهرا وجُمِعَ له الناس فلا " [نقلا عن كتاب"فتح الباري" لابن حجر (٣/٦٢)].

* عن"هشام بن عروة"قال:"رأيت "عبد الله بن الزبير" يؤمهم في المسجد الحرام بالنوافل، ووراءه شيوخ من أهل الفقه والصلاح يرون أن ذلك حسن" [نقلا عن كتاب"مختصر قيام الليل" للسمرقندي].

* وقال"محمد بن نصر المروزي":"ثبت عن رسول اللهﷺ أنه صلى التطوع جماعةً في غير شهر رمضان ليلا ونهارا، وفَعَلَ ذلك جماعة من أصحابه من بعده" [نقلا عن"مختصر قيام الليل "للسمرقندي].

* وقال"شيخ الإسلام ابن تيمية" رحمه الله : " لا يكره أن يتطوع في جماعة كما فعل النبيﷺ (أي في قيام الليل وغيره) ، ولا يجعل ذلك سنة راتبة كمن يُقيم للمسجد إماماً راتباً يصلي بالناس بين العشائين، أو في جوف الليل كما يصلي بهم الصلوات الخمس" [نقلا عن

كتاب" مجموع الفتاوى" لابن تيمية (١١٢/٢٣)].

* وقال رحمه الله:"صلاة التطوع في جماعة نوعان: أحدهما ما تُسنُّ له الجماعة الراتبة كالكسوف والاستسقاء وقيام رمضان، فهذا يُفعل في الجماعة دائما كما نصت به السنة. والثاني: ما لا تسن له الجماعة الراتبة كقيام الليل والسنن الرواتب وصلاة الضحى وتحية المسجد ونحو ذلك، فهذا إذا فُعل في جماعة أحيانا جاز ، وأما الجماعة الراتبة في ذلك فغير مشروعة" [نقلا عن كتاب"مجموع الفتأوى" لابن تيمية (٤١٢/٣)].

* إخواني:"أحضروا قلوبكم للنصح والتواصي ، واحذوا يوم الأخذ بالنواصي ، تذكروا جمع الداني والقاصي، أسمعتَ يا من يروح في المعاصي ويُبكِّر{فذكر إنما أنت مُذكر} . وآ عجبا كيف تُحدِّث السَّكرى وقد ملأهم الغفلة،...، وكم تُليَ عليهم الوعظ ذكرى ، هيهات إنما تنفع الذكرى المتذكر {فذكر إنما أنت مذكر}" [نقلا عن كتاب"التبصرة" لابن الجوزي(٤٢٧/١)].

٧١ معرفة أنَّ القيام سببٌ للفوز بمحبة الله

ومزية أخرى يُحصلها قائم الليل ، تجعل المرء لا يفرط في القيام ، ولا يتكاسل عن التهجد للطيف العلاَّم ، ألا وهي أن القيام سبب لفوز العبد بمحبة الله ، ومتى أحبَّ الله العبدَ كان سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يُبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، ولئن سأله ليعطينَّه ، ولئن استعاذه لُيعيذنَّه ، وهذا والله هو عين السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة ، فأين أهل الليل أحباب الله وأولياؤه؟!! .

* عن"أبي الدرداء"رضي الله عنه قال:قال الرسولﷺ:"ثلاثة يحبهم الله ويضحك إليهم ويستبشر بهم:الذي إذا انكشفت فئة قاتل وراءها بنفسه لله عزَّ وجلَّ، فإما أن يُقتل وإما أن ينصره الله ويكفيه، فيقول (أي الرب تعالى لملائكته):انظروا إلى عبدي هذا كيف صبر لي بنفسه؟!! والذي له امرأة حسنةٌ وفراشٌ لينٌ حسن،فيقوم من الليل (أي يصلي)،فيقول (أي

الرب تعالى):يذر شهوته ويذكرني ولو شاء رقد، والذي إذا كان في سفر، وكان معه ركب،فسهروا ثم هجعوا فقام من السحر في ضراء وسراء" [رواه الطبراني في"المعجم الكبير" وقال:إسناده حسن، وقال "الهيثمي":رجاله ثقات، والحديث حسنه "الألباني" في" صحيح الترغيب والترهيب" حديث رقم (٦٢٥)] ، فتأمل رعاك الله كيف أن اثنين ممن يحبهم الله ويضحك إليهم هما من أهل قيام الليل، هذا يقومه وسط أهله ، وذاك يقومه وسط رفقته المسافرة معه.

* عن"أبي ذر" رضي الله عنه:قال قال الرسولﷺ :"ثلاثة يحبهم الله وثلاثة يشنؤهم (أي يبغضهم):الرجل يلقى العدو في فئة فينصب لهم نحره حتى يُقتَل أو يُفتَح لأصحابه، والقوم يُسافرون فيطول سُراهم (أي سفرهم ومشيهم) حتى يحبوا أن يمسُّوا الأرض (أي يشتاقون للنوم) فيترلون (أي يناموا)، فيتنحى أحدهم فيصلي (أي قيام الليل) حتى يُوقظهم لرحيلهم، والرجل يكون له الجار يؤذيه جاره، فيصبر على أذاه حتى يُفرِّق بينهما موت أو ظعن،والذين يشنؤهم:التاجر الحلاّف، والفقير المختال، والبخيل المنان" [رواه أحمد والترمذي وابن حبان والحاكم،وصححه الألباني في"صحيح الجامع" برقم (٣٠٦٩)] .

* أخذ"الفضيل بن عياض" رحمه الله بيد"الحسين بن زياد" رحمه الله فقال له:يا حسين: يترل الله تعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا فيقول الرب: كذب منْ أدعى محبتي فإذا جنَّه الليل نام عني؟!! أليس كل حبيب يخلو بحبيبه ؟!! ها أنا ذا مطلعٌ على أحبائي إذا جنَّهم الليل،...،غدا أقرُّ عيون أحبائي في جناتي" [نقلا عن كتاب"الحلية " لأبي نعيم (٨/١٠٠)].

* قال"يحي بن معاذ الرازي رحمه الله يصف وقوف المحب بين يدي حبيبه للصلاة في ظلام الليل:

نفس المحبِّ إلى الحبيب تطلّعُ ... وفؤاده من حبِّه يتقطعُ
عزَّ الحبيب إذا خلا في ليله ...بحبيبه يشكو إليه ويضرعُ
ويقوم في المحراب يشكو بثّه ... والقلب منه إلى المحبة يترعُ

[نقلا عن كتاب"الحلية " لأبي نعيم (١٠/٥٨)].

* قال"العباس بن مساحق" رحمه الله في وصف المحبين:"جَفَوا والله مضاجعهم، وخربوا من العمارة فرشهم،وعملوا إلى الرحيل إلى سيدهم ، وعمروا بالأبدان محاريبهم ، وبالقلوب

درجاتهم " [نقلا عن كتاب" الحلية" لأبي نعيم (١٠/٢٢٦)].

● **قال العلامة"الفيروز آبادي"رحمه الله وهو يُعدد الأسباب الجالبة لمحبة الله فذكر منها:**

* **قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه والتفطن لمراد الله منه"، ومعلوم أن أفضل أوقات القراءة في الليل.**

* **التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض، فإنها توصل إلى درجة المحبوبية بعد المحبة" ، ومن أعلى النوافل مرتبة قيام الليل.**

* **الخلوة به سبحانه وقت النزول الإلهي لمناجاته وتلاوة كلامه والوقوف بالقلب والقلب بين يديه ثم ختم ذلك بالإستغفار" .**

* **إيثار محابِّه سبحانه على محابِّك عند غلبات الهوى" ، وهذا يظهر جليا في قيام الليل ، حين يدع المرء الفراش الوثير والزوجة الحسناء والنوم اللذيذ ويقوم ليناجي مولاه في ظلمة الليل وشدة البرد** " [نقلا عن كتاب"بصائر ذوي التمييز" للفيروز آبادي (٢/٤٢١)].

* **أخي: أماترغب أن تكون من قوم قال فيهم الشاعر:**

سُقوا كأس المحبة فاطمأنت .... قلوبهم وهيَّجها اليقين

إلى مَلِكٍ تحنُّ إليه شوقا .... وليس لها إلى أحدٍ حنين

يميل بهم هبوب القرب ميلا .... كما مالت مع الريح الغصون.

* **أخي: فرّغ القوم** (أي أهل الليل) **قلوبهم من الشواغل، فضربت فيها سرادقات المحبة ، فاقناموالعيون تحرس تارة وترشُّ** (أي الدموع) **تارة أخرى ، هيهات هيهات ، هان السهر على الحرَّاس لما علموا أن أصواتهم بسمع الملك ،قلوبهم مملوءة بذكر الحبيب ، ليس فيها لغيره سعة ، إن نطقوا فبذكره ، وإن تحركوا فبأمره ، إن سهروا فلقربه ، وإن أنسوا فبحبِّه ، لسان أحدهم:**

والله ما طلعت شمسٌ ولا غربت ... إلا وحبُّك مقرون بأنفاسي

ولا جلستُ إلى قوم أحدثهم ... إلا وأنت حديثي بين جُلاَّسي .

* **أخي: كيف يلذُّ في ظلم الليل المنام لمن علم أن حبيبه لا ينام !! .**

* أخي:" سبحان من أيقظ المتقين وخلع عليهم خِلَع اليقين ، وألحقهم بتوفيقه بالسابقين ، فباتوا في جلباب الجدِّ متسابقين" [نقلا عن كتاب"التبصرة" لابن الجوزي (٣٩٤/١)].



اجتناب كثرة الضحك واللغو

من الأسباب الخفية التي تعين على القيام ، اجتناب كثرة الضحك والهزل ، والابتعاد عن اللغو والثرثرة وهذيان الكلام ، فإن هذه الأمور تسبب موت القلب ، وغفلته وقسوته ، وإذا قسا القلب وغفل ، فلن يُسابق إلى الطاعات والباقيات الصالحات ، بل أحسن أحواله أن يسلم من الوقوع في الكبائر والموبقات !! والله المستعان .

* قال"معاذ بن جبل" رضي الله عنه:" ثلاث من فعلهن فقد تعرض للمقت: الضحك من غير عجب، والنوم من غير سهر،والأكل من غير جوع" [نقلا عن كتاب"الزهد" للإمام أحمد].

* قال"أبو الدرداء" :"اضحكني ثلاث وأبكاني ثلاث: أضحكني مؤمل الدنيا والموت يطلبه،وغافل ليس بالمغفول عنه، وضاحك ملء فيه ولا يدري: أراضٍ الله عنه أم ساخط عليه؟، وابكاني فراق الأحبة محمد وحزبه، وهول المطلع ،والوقوف بين يدي الله يوم تبدو السرائر، ثم لا أدري: إلى الجنة أم إلى النار؟" [بقلا عن كتاب"عيون الأخبار" لابن قتيبة (٣٦٠/٢)].

* قال" الخطاب بن المعلى المخزومي" يوصي ولده:
إياك وهَذر الكلام وكثرة الضحك، والمزاح ومهازلة الإخوان، فإن ذلك يُذهب البهاء، ويُوقع الشحناء، وعليك بالرزانة والتوقُّر، من غير كبر وصَلفٍ منك ، ولا خيلاء تُحكى عنك" [نقلا عن كتاب"طرائف الحكمة" لأحمد عبيد (١٣/٢)].

* أخي :" يا غافلا في بطالته ، يا من لايُفيق من سكرته ، أين ندمك على ذنوبك ، أين حسرتك على عيوبك، إلى متى تؤذي بالذنب نفسك ، وتضيع يومك تضييع أمسك ، لا مع الصادقين لك قدم ، ولا مع التائبين لك ندم ، هلا بسطت في الدجى يداً سائلة ،

وأجريت في السحر دموعاً سائلة" [نقلا عن كتاب" التبصرة" لابن الجوزي (١/١٧٦)].

*** قال الشاعر واصفا حفظ الصالحين لألسنتهم:**

النـــاســـكــــون يُحاذرو ... ن وما بســـيئةٍ ألـــمُّـــوا

كـــانـــوا إذا رامـــوا كلا ... ماً مطلقا خـــطموا وزمُّوا

إنْ قيلت الفـــحـــشاء أو ... ظهرت عمُوا عنها وصموا

فمضوا وجاء مـــعـــاشـــرٌ ...بالمـــنكرات طَمُوا وطمُّوا

فـــفمٌ لطُـــعمٍ فـــاغـــــرٌ ... ويـــدٌ على مالٍ تـــضـــمُّ

عدلوا عن الحسن الجمـــ.... ـــل وللخنا عمدوا وأمُّوا

[نقلا عن كتاب" التبصرة" لابن الجوزي (١/١٣٢)].

***قال"الفضيل":"خصلتان تقسيان القلب: كثرة الكلام وكثرة الأكل"** [نقلا عن" السير"للذهـــبي (٨/٣٨٨)].

***قال"الفضيل" :" لا حج ولا جهاد أشد من حبس اللسان"** [نقلا عن كتاب" سير أعلام النبـــلاء" (٨/٣٨٥)].

***قال" ابن القيم" :" قسوة القلب من أربعة أشياء إذا جاوزت قدر الحاجة:الأكل والنـــوم والكلام والمخالطة، وكما أن البدن إذا مرض لم ينفع فيه الطعام والشـــراب، فكذلـــك القلب إذا مرض بالشهوات لم تنجع فيه المواعظ"** [نقلا عن" الفوائد" لابن القيم].

*** قال" ابن مسعود":"ما على وجه الأرض شيء أحوج إلى طول سجن من لسان"** [نقلا عن كتاب"الفوائد" لابن القيم].

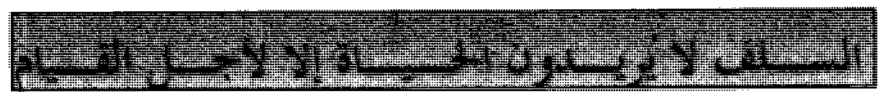
***قال"عمر بن عبد العزيز" :" من لم يعدَّ كلامه من عمله كثرت خطاياه"** [نقلا عن كتاب"أدب الدنيا والدين" للماوردي].

***أخي:" آهٍ للسان نطق بإثم كيف غفل عن قوله تعالى:{اليوم نختم على أفواههم}، آهٍ ليد امتدت للحرام كيف نسيت:{وتُكلمنا ايدينهم}، آهٍ لقدمٍ ســـعت في الآثـــام كيـــف لم تتدبر:{ وتشهد أرجلهم}، آهٍ لجسد ربا على الرِّبا ، اما سمع منـــادي التحذيـــر علـــى رُبى:{فلا يربو عند الله}، آهٍ لذي فمٍ فغره لتفريغ كاس الخمر أما بلغه زجر:{ فاجتنبوه}"** [نقلا عن كتاب" التبصرة"لابن الجوزي (١/١٤٧)].

*قال"الفضيل" :" احفظ لسانك واقبل على شأنك، واعرف زمانك، واخفِ مكـــــانك" [نقلا عن كتاب" سير أعلام النبلاء" (٨/٣٨٥)].

*قال"الفضيل بن عياض" :" أشد الورع في اللسان" [نقلا عن كتاب" سير أعـــلام النبـــلاء"للذهـــي (٨/٣٨٣)].





لئن كان أهل الغفلة ، يتمنى أحدهم العمر الطويـــل لـــيزداد عتـــوا وضلالا وانهماكا في المعاصي ، فإن الصالحين والأبرار من سلفنا الكرام كانوا يحبون الحياة ويتمنون البقاء فيها، لا لأجل بناء العمارت ، أو اقتناء الفاخر من السيارات ، أو تكثـــير الأرصدة والريالات ، بل لأجل أن يتلذذوا بطاعة الله ومناجاته في جنح الليل والناس نيام ، وهذا والله هو الفوز الحقيقي ، والربح الذي لا غبن فيه أبدا .

* قال"عمر بن الخطاب" رضي الله عنه:"لولا ثلاث لما أحببت البقاء(أي في هذه الدنيا): لـــولا أن أحمل على جياد الخيل في سبيل الله، ومكابدة الليل، ومجالسة اقوام ينتقـــون أطـــايب الكلام كما يُنتقى أطايب الثمر" [نقلا عن كتاب"مدارج السالكين" لابن القيم (١/٢٨١)].

* لما احتضر"معاذ بن جبل" رضي الله عنه قال:" أعوذ بالله من ليلةٍ صباحها إلى النـــــار، مرحباً بالموت مرحباً زائر مغيَّب وحبيبٌ جاء على فاقة، اللهم إني قد كنتُ أخافك وأنـــا اليوم أرجوك، اللهم إنْ كنت تعلم أني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيـــــها لكـــري الأنهار، ولا لغرس الأشجار، ولكن لظمأ الهواجر(أي الصيـــام في الأيـــام الطويلـــة) ، ومكـــابدة الساعات (أي قيام ليالي الشتاء الطويلة الباردة) ومزاحمة العلماء بالركب في حِلَق الذكر" [نقـــلا عـــن كتاب"الزهد" للإمام أحمد].

* عن"المبارك بن فضالة" قال:دخلتُ على "ثابت البناني" رحمه الله في مرضه، فلما دخلنـــا عليه قال لنا: يا إخوتاه: لم أقدر أن أُصلي البارحة كما كنتُ أُصلي!! (أي بسبب المـرض)، ولم أقدر أن أصوم كما كنتُ أصوم، ولم أقدر أن أنزل إلى أصحابي فأذكر الله عزَّ وجلَّ كمـــا

كنت اذكره معهم!!، ثم قال:"اللهم إذا حبستني عن ثلاث فلا تدعني في هـــذه الدنيـــا ساعة:إذا حبستني ان أُصلي كما أريد، وأصوم كما أريد، وأذكرك كما أريد، فلا تدعني فيها ساعة" [نقلا عن كتاب"حلية الأولياء" لأبي نعيم (٣٢٠/٢)].

* قال"معضد العجلي" رحمه الله:"لولا ثلاث :ظمأ الهواجر وطول ليل الشـــتاء ولـــذاذة التهجد بكتاب الله عزَّ وجلَّ ما باليتُ أن أكون يعسوباً (هو ذكرُ النحل) !!" [نقلا عن كتاب"حلية الأولياء" لأبي نعيم (١٥٩/٤)].

* قال"أبو سليمان الداراني" رحمه الله:"لولا الليل ما أحببتُ البقاء في الدنيـــا" [نقـلا عـــن كتاب"حلية الأولياء" لأبي نعيم (١٥/١٠)].

* قال"المغيرة بن حبيب":خرج "عبدالله بن غالب رحمه الله مجاهدا في سبيل الله، فلما بـــرز للعدو قال:"على ما آسى من الدنيا؟!! فوالله ما فيها لبيب جذلٌ !! (أي فرح وســرور) ، والله لولا محبتي لمباشرة السهر بصفحة وجهي (أي قيام الليل) ، وافتراش الجبهة لك يا ســـيدي ، والمراوحة بين الأعضاء والكراديس (وهي جمع كردوس وهو مُلتقى كل عظمين كبيرين ضخمين) في ظلم الليالي رجاء ثوابك وحلول رضوانك، لقد كنت متمنيا لفـــراق الدنيـــا وأهلـــها ، ثم كسرجفن سيفه، وتقدم فقاتل حتى قُتل، فلما دُفن أصابوا من قبره المسك، وكان النـــاس يأخذون من تراب قبره كأنه المسك،فلما كان بعد ليال رآه أحد إخوانه في الله في المنـــام فقال له: يا أبا فراس (وهي كنية عبدالله بن غالب) ماذا صنعتَ؟!! فقال: خير الصنيع، فقـــال: إلامَ صرتَ؟ فقال: إلى الجنة، فقال: بمَ ؟ فقال: بحسن اليقين وطـــول التـــهجد وظمـــأ الهواجر، قال: فما هذه الرائحة الطيبة التي توجد من قبرك؟ قال: تلك رائحـــة التـــلاوة والظمأ (أي الصيام)، فقال له: أوصني، فقال:اكسب لنفسك خيرا، لا تخرجنَّ الليالي والأيام عطلاً، فإني رأيت الأبرار نالوا البرَّ بالبرّ" [راجع كتاب" مختصر قيام الليل" للسمرقندي].

* كان أحد الصالحين يقوم الليل، فإذا بزغ الفجر وثب قائما على قدميه ونادى بـــأعلى صوته: ذهب الليل بما فيه!! وأقبل النهار بدواهيه!! ولم أقضِ من خدمتك (أي الصـــلاة لـــك بالليل) وطرا،خسرَ من أتعب لغيرك بدنه، والجأ إلى سواك همّه !! ثم ينشد ويقول:

منْ عامل الله بتقواه ... وكان في الخلوة يرعاه

سقاه كأسا من صفا حبّه .... يسلبـــه لذة ديناه

فابعدَ الخلق وأقـــصاهم .... وانفرد العبد بمولاه

[نقلا عن كتاب" صفة الصفوة" لابن الجوزي (٤/٤٠٧)].

* قالت "معاذة العدوية رحمها الله لابنتها:" والله يا بُنيــّة ما محبتي للبقاء في الدنيا للذيـــذ عيشٍ، ولا لروح نسيمٍ، ولكن والله أحب البقاء لأتقرب إلى ربي عزَّ وجلَّ بالوسائل لعلـه يجمع بيني وبين أبي الصهباء (وهو زوجها) وولده في الجنة" [نقلا عن كتاب" سفة الصفوة" لابن الجـوزي (٤/٢٣)].

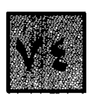
* أخي: "يا هذا إذا حضر قلبك فنسيم السحر يُذكرك، وإن غاب فمائة الف نـــبي لا يُوصلون التذكرة إليك:

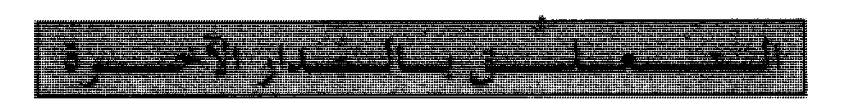
ولي ألفُ باب قد عرفتُ سبيله ... ولكن بلا قلب إلى اين أذهب؟!! .

* أخي: إذا سارت ركائب الأسحار فابعث معهم رسالة لهفٍ يحتوي على حسرة محصر.

* أخي: أبواب الملوك لا تُطرق بالأيدي، ولا تُضرب بالحجر، بل بنفَس المحتاج، وعـذري إقراري بأن ليس لي عذر.

* أخي: يا غافلا في سكرته:" هيهات منك غبار موكب أهل الليل، أخبارهم أرق مـــن النسيم ، نومهم أعز من الوفاء،السهر عندهم أحلى من رقدة الفجر، كلمـــا افتتحـوا سورة وجدوا بها (أي فرحوا بها) وجْدَ يعقوب بقميص يوسف، فاحضر مع القـــوم وقـت السحر حين تفريق الخُلَع، فإن لم تصلح اُسهمَ لك من نصيب:{ وإذا حضر القسمة أولوا القربى}.





والدار الآخرة هي الحياة الحقيقية ، والسعادة الأبدية ، والمنحة الربانية ، ومتى تعلق القلب بتلك الدار الباقية ، وصارت هي شغله الشاغل ، فلها يعمل ، ومن أجلـــها يبذل ، وفي سبيلها يضحي بالغالي والنفيس ، أفلح وفاز وسعُدَ وحافظ على قيام الليل :

* كان العبد الصالح" أبو معاوية الأسود"رحمه الله إذا قام يصلي من الليل قال:"من كانت الدنيا أكبر همّه طال غدا في القبر غمُّه، ومن خاف الوعيد لها في الدنيا عما يريـــــد، يـــا مسكين إنْ كنتَ تريد لنفسك فلا تنامنَّ الليل إلا القليل" ثم يبكي رحمه الله بكاءا شديدا، ثم يقول:أهٍ من يومٍ يتغير فيه لوني ويتلجلج فيه لساني ويقلُّ فيه زادي" [نقلا عن كتاب" الحليـة" لأبي نعيم (٨/٢٧٢)].

* قال"يحي بن معاذ الرازي" رحمه الله:"طوبى لعبدٍ أصبحت العبادة حرفته، والفقر منيته ، والعزلة شهوته، والآخرة همته، وطلب العيش بلغته، وجعل الموت فكرته، وشغل بـــالزهد نيته، وأمات بالذل عزَّته، وجعل إلى الرب حاجته، يذكر في الخلوات خطيئته، وأرســـــل على الوجنة عبرته، وشكا إلى الله غربته، وسأله بالتوبة رحمته، طوبى لمن كان ذلك صفتـــه، وعلى الذنوب ندامته، جآر الليل والنهار، وبكّاء إلى الله بالأســـــحار، يُنـــاجي الرحمـــن ويطلب الجنان ويخاف النيران" [نقلا عن كتاب" الحلية" لأبي نعيم (١٠/٥٨)].

* وعد"ثوبان العابد" رحمه الله أخاً له في الله أن يفطر عنده فلم يفعـــــل، فلقيـــه أخـــوه بعدذلك فقال له:وعدتني أن تُفطر عندي فلم تفعل وأخلفتني!! فقال له: لولا ميعــــادك الذي وعدتك ما أخبرتك بالذي منعني من الوفاء!! ثم قال له: إني لما صليتُ العتمة أردتُ المسير إليك، فقلت لنفسي: أوتر فإني لا آمن الموت أن يطرقني!! فإن جاءني وجدني قـــد أوترتُ ، فأوترتُ فلما كنتُ في الدعاء من الوتر رُفعت لي روضة خضراء من الجنة فيـــها أنواع من الزهر، فما زلتُ أنظر إليها حتى أصبحتُ!! فأنساني ذلــــك وعـــدك الـــذي وعدتُك!!" [نقلا عن كتاب"الصلاة والتهجد"لابن الخراط].

* أخي:" كن من أبناء الآخرة ولا تكن من أبناء الدنيا، فإن الولد يتبـــع الأم" [نقـــلا عـــن كتاب"الفوائد" لابن القيم].

* كان للأمة الصالحة" عفيرة العابدة" رحمها الله ابن أخ، وقد طالت غيبته عنها، فلما قدم بعد حين بُشِّرت بقدومه فبكت!! فقيل لها: ما هذا البكاء ؟!! اليوم يوـــم فرح وسرور ، فازدادت بكاء ثم قالت: والله ما أجد للســـرور في قلبي مسكنا مع ذكر الآخرة ، ولقد ذكرني قدومه يوم القدوم على الله فمِنْ بين مسرور ومثبور؟!!" [نقلا عن كتاب" صفة

الصفوة" لابن الجوزي(٤/٣٤)].

* قال الشاعر مخاطبا ربه:

إذا اشتغل اللاهونَ عنك بشغلهم .... جعلتُ اشتغالي فيك يا منتهى شُغلي.

* قال"ابن القيم"رحمه الله:"طالب الله والدار الآخرة لا يستقيم له سيرهُ وطلبهُ إلا بحبسين: حبس قلبه في طلبه ومطلوبه، وحبسه عن الالتفات إلى غيره، وحبس لسانه عما لا يُفيد ، وحبسه على ذكر الله وما يزيد في إيمانه ومعرفته، وحبس جوارحه عن المعاصي والشهوات، وحبسها على الواجبات والمندوبات، فلا يُفارق الحبس حتى يلقى ربه فيُخلصه من السجن إلى أوسع فضاء وأطيبه" [نقلا عن كتاب"الفوائد" لابن القيم].

* أخي:"الطالب الصادق كلما ناله همٌّ أو حزن جعله في أفراح الآخرة، و" منْ تلمَّح فجر الأجر هان عليه ظلام التكليف" كما يقول "ابن الجوزي" ، ولعمر الله ما هو بظلام، ولكنها لغة اضطر إليها ليعقل مراده الراقدون" [نقلا عن كتاب" الرقائق" للراشد].

* قال" ابن القيم":"اشتغل به في الحياة يكفك ما بعد الموت، يا منفقا بضاعة العمر في مخالفة حبيبه والبعد منه، ليس في أعدائك أضر عليك منك:

ما تبلغ الأعداء من جاهل ... ما يبلغ الجاهل من نفسه"

[نقلا عن" الفوائد" لابن القيم].

*قال الشاعر واصفا من جعل قلبه معلقا بربه وآخرته:

تشاغل قومٌ بدنياهم .... وقومٌ تخلَّوا لمولاهم

فألزمهم باب مرضاته ...وعن سائرالخلق أغناهم

فما يعرفون سوى حبِّه ...وطاعته طول محياهم

يصفُّون بالليل أقدامهم ...وعين المهيمن ترعاهم

فطورا يُناجونه سُجَّدا ...ويبكون طورا خطاياهم

إذا فكَّروا في الذي أسلفوا ...أذاب القلوب وأبكاهم

وإنْ يسكن الخوف لا ذوا به... وباحوا إليه بشكواهم

هم القوم أعطوا مليك الملو ....كِ صدق القلوب فوالاهم

هم المحبون بنيَّاهم ... أرادوا رضاه فأعطاهم

فنالوا المراد وفازوا به ...فطوبى لهم ثم طوباهم

"[نقلا عن كتاب "استنشاق نسيم الأنس" لابن رجب].

*أصاب" محمد بن كعب القرظي" مالا كثيرا، فأنفقه كله في سبيل الله فقيل له: لو ادخرته لولدك من بعدك؟ فقال: لا ، ولكني أدخره لنفسي عند ربي، وأدخر ربي لولدي"

[نقلا عن" إحياء علوم الدين" للغزالي (٣/٢٠٢)].

* قالت الأمة الصالحة"رابعة زوجة أحمد بن أبي الحوارى" رحمها الله:"ما سمعتُ الأذان إلا ذكرتُ منادي يوم القيامة!! ولا رأيت الثلج إلا ذكرت تطاير الصحف، ولا رأيت جرادا إلا ذكرتُ الحشر!!" [نقلا عن كتاب" صفة الصفوة" لابن الجوزي (٤/٣٠٢)].

* قال" ابن القيم":" سبحان الله!! تزينت الجنة للخطَّاب، فجدوا في تحصيل المهر، وتعرَّف رب العزة إلى المحبين بأسمائه وصفاته، فعملوا علىاللقاء وأنت مشغول بالجيف:

لا كان منْ لسواك منه قلبه....ولك اللسان مع الوداد الكاذب "

[نقلا عن" الفوائد" لابن القيم].

* كان العبد الصالح" عبد العزيز بن أبي روّاد" رحمه الله يُفرش له فراشه لينام عليه بالليل، فكان يضع يده على الفراش فيتحسسه ثم يقول: ما ألينك!! ولكن فراش الجنة ألينُ منك!! ثم يقوم إلى صلاته" [نقلا عن كتاب" تنبيه المغترين" للشعراني].

* أخي:" متى اشتد عطشك إلى ما تهوى من الدنيا، فابسط أنامل الرجاء إلى من عنده الريُّ الكامل، وقل: قد عيل صبر الطبع في سنيِّه العجاف، فعجِّل لي العام الذي فيه أُغاث واعصر.

طوبى لمن أظمأ نفسه ليوم الري الكامل، وطوبى لمن جوَّع نفسه ليوم الشبع الكبر، وطوبى لمن ترك شهوات حياة عاجلة إلى نعيم حياة آجلة وموعد غيب لم يره" [نقلا عن كتاب" رهبان الليل" للعفاني (١/٥٩)].

*قالوا"لأبي حازم":" إنك لمسكين !! فقال : كيف أكون مسكينا ومولاي له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى؟!! [نقلا عن" أدب الدنيا والدين" للماوردي].

٧٥ معرفــة أنّ القيام سببٌ لبــهاء الوجــه وإشراقــه

وهبة ربانية يمنُّ بها المولى تعالى على من يقوم الليل بصدق وإخـــلاص ، ألا وهي بهاء الوجه وإشراقه واستنارته ، فإذا رأيت وجه قائم الليل فكأنّ النور يشع منه:

* قال"القرطبي" في" تفسيره" عند قول الله تعالى:{ وجـــوهٌ يومئـــذٍ مســـفرةٌ ضاحكـــةٌ مستبشرةٌ} [سورة عبس، الآيتان (٣٨،٣٩)] :" وقال"ابن عباس" رضي الله عنهما: مـــن قيـــام الليل" [نقلا عن كتاب" تفسير القرطبي" عند تفسير سورة "عبس"].

* قيل"للحسن البصري" رحمه الله: ما بال المتهجدين بالليل من أحسن الناس وجوهـــاً؟ فقال: لأنهم خلوا بالرحمن (أي في ظلام الليل) فألبسهم نوراً من نوره" [نقلا عن كتاب"مختصـــر قيـــام الليل" للمقريزي] .

* قال"عبد العزيز بن عمير" رحمه الله واصفا البهاء والإشراق الدي يعلو وجوه المتهجدين بالليل:"ترى نور الجلال عليهم، وأثر الخدمة بين أعينهم ، إنَّ الرجل لينقطع إلى بعـــض ملوك أهل الدنيا فيُرى أثره عليه، فكيف بمن ينقطع إلى الله عزَّ وجلّ!! كيف لا يُرى أثره عليه؟!!" [نقلا عن كتاب"صفة الصفوة" لابن الجوزي (٤/٢٣٤)] .

*قال"أشهب بن عبدالعزيز": خرجت ذات ليلة بعدما رقد الناس ، فمررتُ بمترل"مـــالك بن أنس"، فإذا هو قائم يصلي، فلما فرغ مـــن قـــراءة:{الحمـــد لله رب العـــالمين} ، ابتدأ:{ألهاكم التكاثر}حتى بلغ :{ثم لتُسئلنَّ يومئذٍ عن النعيم} فبكى بكـــاء طويـــلا، ثم جعل يرددها ويبكي،وشغلني ما أسمع من كثرة بكائه عن التوجه إلى حاجتي التي خرجـــت إليها، ولم أزل قائما وهو يرددها ويبكي حتى طلع الفجر، فلما تبين له الفجـــر ركـــع، فانصرفتُ إلى مترلي فتوضأتُ ثم أتيت المسجد، فإذا به في مجلسه والناس حولـــه، فلمـــا أصبح نظرتُ إلى وجهه وقد علاه نورا!!" [نقلا عن كتاب"الصلاة والتهجد" لابن الخراط].

* قال"ابن الجوزي" رحمه الله مخاطباً أهل الغفلة والكسل الذين لا يقومون الليل:"إن لم تكن مع القوم في السَحَر(أي إن لم تقم الليل مع المتهجدين) ،تلمَّح آثار الحبيب عليهم في وقت

الضحى(أي بما يلبسهم الله به من الجمال والبهاء والنضرة وإشراق الوجوه) ، ترى في صحائف الوجوه سطور القبول بمداد الأنوار: "وجوهٌ زهاها الحسن أن تتبرقعا" " [نقلا عن كتاب"التبصرة" لابن الجوزي (٢/٣٢٥)] .

* قال"سعيد بن المسيب"رحمه الله:"إن الرجل ليصلي بالليل، فيجعل الله في وجهه نـــورا يحبه عليه كل مسلم ، فيراه من لم يره قط فيقول: إني لأحبُّ هذا الرجـــل!! " [نقــلا عــن كتاب"الصلاة والتهجد" لابن الخراط].

* قال"ابن العربي" رحمه الله:" سمعتُ ذا الشهيد الكبير يقول: إن الله تعالى خلق العبد حيـا عالما، وبذلك كماله، وسلط عليه آفة النوم وضرورة الحدث ونقصان الخلقة، إذ الكمال للأول الخالق، فما أمكن الرجل من دفع النوم بقلة الأكل والسهر في طاعة الله فليفعــل، ومن الغبن العظيم أن يعيش الرجل ستين سنة ينام ليلها فيذهب النصف من عمره لغــوا، وينام سدس النهار راحة فيذهب ثلثاه ويبقى له من العمر عشرون سنة، ومــن الجهالــة والسفاهة أن يُتلف الرجل ثلثي عمره في لذة فانية، ولا يتلف عمره بسهرٍ في لذة باقيـــة عند الغنيِّ الوفيِّ الذي ليس بعديم ولا ظلوم" [نقلا عن"تفسير القرطبي" ج ٧ ، عند تفسير الآية رقم ٦٢].

* ورحم الله من قال:

في ظلمـــة الليـــل للعـــبَّاد أنـــوارُ
منهـــا شمـــوسٌ ومنـــها فـــيه أقـــمارُ
تسري قلـــوبهم في ضـــوئهـــنَّ إلى
ذاك الـــمـــقام ومـــولاهم لـــهم جارُ
يُرْقون في درجـــات كلـــها قُدُسٌ
طوراً فطـــوراً وذاك القُـــدس أطـــوار
فينـــزلون رياضاً جـــمَّة أُنـــفـــاً
فيـــهـــا من العـــلم أشجـــار وأنهـــارُ
يا طيب مأكلهم وطيب مشربهم
وطيـــبَ ما نزلوا وطيبَ مـــا ســـاروا

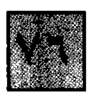
فـــازوا بـــها ورجـــالُ الله فـــائـــزةٌ
وفي العـــنايـــة تـــخصـــيـــص وإيـــثـــارُ
أكـــرمْ مـــنْ رجـــالٍ لـــو رأيتـــهمُ
وللظـــلام عـــلى الأجـــفـــان أســـتـــارُ
خُـــمـــصَ البطـــون من الدنيا كأنهمُ
خـــيل الرِّهـــان وهـــذي الدار مـــضمارُ
تـــخالهم ويكَ مـــوتى لاحـــراك بهم
وهـــم مـــع الـــلـــه إقـــبـــالٌ وإدبـــارُ
إن ينـــطـــقوا فتـــلاوات وأذكـــارٌ
أو يســـكتوا فاعـــتـــبـــارات وأفـــكـــارُ

[نقلا عن كتاب"الصلاة والتهجد"لابن الخراط].

* أخي:"أدلج القوم طول الليل في السرى ، وخافوا عوز الماء فتمموا المزاد بالبكا:

سلوا غير طرفي إنْ سألتم عن الكرى .... فما لجفون القانتين منام.

* المتهجدون على شواطىء أنهار الدمع نزول ، فلو سرتَ عن هواك خطوات لاحت لـك **الخيام"** [نقلا عن كلمات مختارة من كتب "ابن الجوزي"].



قصر الأمل والإكثار من ذكر الموت

ومما يُعين على التحمس لقيام الليل ، ان يربي المرء نفسه على قصر الأمل والاكثار من ذكر الموت ، فإنَّ من قصُر أمله وأكثر من ذكر الموت ، رقَّ قلبه ، وسمت نفسه إلى الدار الآخرة ، وتعلقت همته بالباقيات الصالحات ، وانكفَّت عن المعاصي والموبقات ، كيف لا وهو لا يأمن أن يفجأه الموت بغتة في أي لحظةٍ من ليل أو نهار .

- وقد كان الرسول عليه الصلاة والسلام يربي أصحابه على هذا المبدأ العظيم :

* عن"قبيصة" رضي الله عنه أن النبيﷺ كان إذا ذهب ثلث الليل قام فقال:"يا أيها الناس اذكروا الله، جاءت الراجفة ، من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المترل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة، جاءت الراجفة تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه" [رواه الترمذي" وقال:حديث حسن صحيح، ورواه أحمد في "المسند" والحاكم في"المستدرك" وقال: صحيح الإسناد ، ووافقه الذهبي على ذلك، والحديث حسنه الألباني في"السلسلة الصحيحة"برقم (٩٥٤)].

- بل لقد كان النبيﷺ يُذكِّر نفسه كل ليلة قبل النوم بالموت والرحيل عن هذه الدار ، والانتقال إلى القبور، بل ويربي أصحابه على ذلك :

* عن"أبي ذر" رضي الله عنه أن النبيﷺ كان إذا أراد أن ينام قال:"باسمك اللهمَّ أموتُ وأحيا"، وإذا استيقظ من نومه قال:"الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور" [متفق عليه].

* عن"ابن عمر" رضي الله عنهما أنه علَّم رجلا أن يقول إذا أخذ مضجعه: اللهم أنت خلقت نفسي، وأنت تتوفاها، لك مماتها ومحياها، إنْ أحييتها فاحفظها، وإن أمتَّها فاغفر لها، اللهم إني اسألك العافية"، قال"ابن عمر": سمعتهن من رسول اللهﷺ " [رواه مسلم في صحيحه].

* عن"أبي هريرة" رضي الله عنه قال:قال رسول اللهﷺ:" إذا أوى أحدكم إلى فراشه فلينفضه بداخلة إزاره (أي بباطن الإزار)،فإنه لا يدري ما خلفه عليه!!(أي لا يدري ما أصابه بعده من الدواب والهوام)،ثم ليضطجع على شقه الأيمن، ثم ليقل:باسمك ربي وضعتُ جنبي، وبك أرفعه، إنْ أمسكت نفسي فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين" [رواه البخاري ومسلم وأبو داود] .

- وقد كان سلفنا الأبرار يسيرون على هذا النهج الرشيد، والمسلك الحميد :

* قالت الأمة الصالحة"ماجدة القرشية" رحمها الله:"طوى أملي طلوع الشمس وغروبها، فما من حركة تُسمع ولا من قدم تُوضع إلا ظننت أن الموت في أثرها" [نقلا عن كتاب"صفة الصفوة" لابن الجوزي (٤/٧٤)].

*وقالت رحمها الله عمن أطال أمله في هذه الدنيا:"بسطوا أمَّالهم فأضاعوا أعمالهم، ولو نصبوا الآجال وطووا الآمال خفت عليهم الأعمال" [نقلا عن نفس المصدر السابق].

* عن"المعلى بن زياد" قال:"كان"هرم بن حيان" رحمه الله يخرج في بعض الليالي ويُنادي بأعلى صوته"عجبتُ من الجنة كيف ينام طالبها؟!! وعجبتُ من النار كيف ينام هاربها؟!!، ثم يقرأ:{أفأمِنَ أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون} ، ثم يقرأ: {والعصر ... } ثم يقرأ :{ ألهاكم التكاثر ......}، ثم يرجع إلى بيته" [نقلا عن كتاب"الزهد" للإمام أحمد].

* قال شيخ من بني تيم الله لفتيان الحيِّ ونُسَّاكه:" يا إخوتاه قوموا قيام قومٍ قد يئسوا من المعاودة لمجلسهم خوفا من خطفات الموكَّل بالنفوس(أي ملك الموت) ثم يبكي ويُبكي من حوله!!" [نقلاعن كتاب" رهبان الليل" للعفاني (١/٥٢٦)].

* قالت امرأة"حسان بن أبي سنان" رحمه الله:" كان"حسان" يجيء فيدخل في فراشي(أي لينام)، فيُخادعني كما تخادع المراة صبيها، فإذا علم أني نمت سلَّ نفسه فخرج، ثم يقوم فيصلي لله، فقلت له: يا أبا عبدالله كم تعذب نفسك؟!!ارفق بنفسك!! فيقول لي: اسكتي ويحك!! فيوشك أن أرقد رقدة لا أقوم منها زماناً (يعني الموت)" [نقلا عن كتاب"حلية الأولياء" لأبي نعيم (٣/١١٧)].

* كان"عبد الواحد بن زيد" رحمه الله يردد كثيرا:

ينام من شاء على غفلةٍ ... والنوم كالموت فلا تتكل

تنقطع الأعمال فيه كما ... تنقطع الدنيا عن المنتقل

[نقلا عن كتاب"حلية الأولياء" لأبي نعيم (٦/١٥٥)].

* كان"رياح القيسي" رحمه الله يبكي ويقول:"إلى كم يا ليلُ ويا نهار تحطَّان من أجلي وأنا غافل عما يُراد بي؟!! " [نقلا عن كتاب" صفة الصفوة" لابن الجوزي (٣/٣٦٧)].

* قيل"لعجردة العمية" رحمها الله ــ وكانت تقوم الليل كله ــ : لو نمتِ من الليل شيئا!! فبكت وقالت: ذكر الموت لا يدعني أنام!! " [نقلا عن كتاب" صفة الصفوة" لابن الجوزي (٤/٣١)].

* قال الشاعر:

أيا عجباً للناس قرّت عيونهم ... مطاعم غمضٍ بعدها الموت منتصبُ

وطول قيام الليل أيسر مؤنةً ... وأهونُ من نارٍ تفور وتنتصبُ

[نقلا عن كتاب"لطائف المعارف" لابن رجب].

* كان بالقيروان رجل صالح يمشي ويُذكّر الناس عامة الليل، وكان يقول فيما يقول: الرحيل الرحيل!! فبقي علىهذه الحال زمانا، ثم افتُقِدَ صوته، فسأل عنه أمير البلدة فقيل له:إنه قد مات!! فأنشد الأمير:

ما زال يلهج بالرحيل وذكرِه ... حتى أناخ ببابه الجمّالُ

فأصابه ذا أُهبةٍ مستيقظا ...متشمّرا لم تُلهه الآمالُ

[نقلا عن كتاب"الصلاة والتهجد"لابن الخراط].

* أخي:"إن من جدَّ وجد، وليس من سهر كمن رقد، وهذا دبيب الليالي يُسارق نفسك ساعاقا، وإن سلع المعالي غاليات الثمن، وإنما ثمنها اتباع مدارس السلف، فانظر لنفسك واغتنم وقتك، فإن الثواء قليل، والرحيل قريب، والطريق مخوف، والاغترار غالب، والخطر عظيم، والناقد بصير" [نقلا عن كتاب" رهبان الليل" للعفاني (١/٥٥)].



٧٧ إدراك أن القيام عون على مواجهة التكاليف والمشاق العظام

ومزية أخرى تزيدك تحمسا للقيام ، وهي أن تعلم ان القيام عونٌ على مواجهة المشاق العظام والتكاليف الجسام .

- وقد قرر المولى جل جلاله هذه الحقيقة في أوائل سورة المزمل:

* قال الأُستاذ "سيد قطب" في ظلال تلك الآيات:" إن الله سبحانه حينما انتدب محمداﷺ للدور الكبير الشاق قال له:{يا أيها المزمل۞قم الليل إلا قليلا ۞نصفه أو أنقص منه قليلا۞ أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا } فكان الإعداد للقول الثقيل والتكليف الشاق والدور العظيم هو قيام الليل وترتيل القرآن، إنها العبادة التي تفتح

القلب، وتوثق الصلة، وتيسر الأمر، وتشرق بالنور وتفيض بالعزاء والسلوى والراحة والاطمئنان، ومن ثمَّ يوجه الله المؤمنين هنا وهم على أبواب المشقات العظام إلى الصبر والصلاة" [نقلا عن كتاب" في ظلال القرآن" لسيد قطب" ، ج ٦].

* قال"الأُستاذ"سيد قطب" تعليقا على قوله تعالى:{ يا أيها المزمل* قم الليل}:"إن التعامل مع الحقائق الكونية الكبرى المجردة لثقيلٌ يحتاج إلى استعداد طويل، ...، وإن الاستقامة على هذا المرء بلا تردد ولا ارتياب ولا تلفت هنا أو هناك وراء الهواتف والجواذب والمعوقات لثقيل يحتاج إلى استعداد طويل.

وإن قيام الليل والناس نيام ، والانقطاع عن غبش الحياة اليومية،.. ، والاتصال بالله وتلقي فيضه ونوره والأنس بالوحدة معه،...، والخلوة إليه،... وترتيل القرآن والكون ساكن، وكأنما هو يتزل من الملأ العلى وتتجاوب به أرجاء الوجود لحظة الترتيل،... إن هذا كله هو الزاد لاحتمال القول الثقيل والعبء الباهظ والجهد المثير الذي ينتظر رسول الله ﷺ ،وينتظر من يدعو بهذه الدعوة في كل جيل، ويُنير القلب في الطريق الشاق الطويل، ويعصمه من وسوسة الشيطان ومن التيه في الظلمات الحافة بهذا الطريق المنير" [نقلا عن كتاب" في ظلال القرآن" لسيد قطب].

* وقال تعالى مقررا نفس المعنى السابق:{واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرةٌ إلا على الخاشعين} [سورة البقرة الآية(٤٥)].

*وقال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين} [سورة البقرة الآية(١٥٣)].

*قال الأستاذ"سيد قطب" في ظلال الآيات المتقدمة:" والاستعانة بالصبر تتكرر كثيرا ، فهو الزاد الذي لا بد منه لمواجهة كل مشقة ،...، فما الاستعانة بالصلاة؟!!

إن الصلاة صلة ولقاء بين العبد والرب ، صلة يستمد منها القلب قوة ، وتحس فيها الروح صلة ، وتجد فيها النفس زادا أنفسَ من أعراض الحياة الدنيا ، ولقد كان الرسول ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة ، وهو الوثيق الصلة بربه الموصول بالوحي والإلهام ،

وما يزال هذا الينبوع الدافق في متناول كل مؤمن يريد زادا للطريق ، وريّاً في الهجير ، ومددا حين ينقطع المدد ، ورصيدا حين ينفد الرصيد " [نقلا عن كتاب"في ظلال القرآن" لسيد قطب (٦٩/١)].

* أخي:"في كل الليل تهب الرياح،ولكن لنسيم السَحَر خاصية ما، أظنه تعطر بأنفاس المستغفرين ، فلنَفَس المحبِّ عطر ينمُّ على قدر طيبه.

*قال "سعيد بن الحسن": إذا كان من السحر ألا ترى يفوح كل شجر!! .



٧٨ إيقاظ الزوجة والأهل للقيام

وإيقاظ الزوجة والأهل ليشاركوك في القيام ، خصلة حميدة ، وسنَّةٌ سلفية مجيدة ، فيها تحفيز للهمة ، وتربية للأسرة على طاعة الله ، وإحياء لهذه الشعيرة المباركة في بيوت المسلمين ، كما أن فيها طردا للكسل والفترة عن النفس ، فإن النفس مجبولة على تقليد الآخرين ومحاكاتهم .

- وقد جاءت نصوص الشرع المطهر تحث على هذا المسلك الرشيد:

* قال الله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام : {وأمُرْ أهلك بالصلاة واصطبر عليها} [سورة طه الآية (١٣٢)].

* وعن"أبي هريرة" و"أبي سعيد" رضي الله عنهما أن النبيﷺ قال:"إذا استيقظ الرجل من الليل، وأيقظ أهله وصليا ركعتين كُتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات" [رواه أبو داود والنسائي وابن ماجة وابن حبان وصححه،والحديث صححه"الألباني" في" صحيح الجامع" برقم (٣٣٠)].

* قال"المناوي" تعقيبا على الحديث المتقدم :"أفاد (أي هذا الحديث) أنَّ من أصاب خيرا ينبغي أن يحب لغيره ما يحب لنفسه فيأخذ بالأقرب فالأقرب،... وذلك أن النبيﷺ لما نال ما نال بالتهجد من الكرامة أراد أن يحصل لأمته حظ من ذلك، فحثهم عليه" [نقلا عن" فيض القدير" للمناوي (٢٥/٤)].

* وعن" أبي هريرة" رضي الله عنه أن النبيﷺ قال:" رحم الله رجلا قام من الليل وأيقظ امرأته فصلت، فإن أبت نضح في وجهها الماء، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلّت، وأيقظت زوجها فصلى ، فإن أبى نضحت في وجهه الماء" [رواه أبو داود والنسائي وابن خزيمة، وقال النووي: إسناده صحيح، وصححه" الألباني" في" صحيح الجامع" برقم(٣٤٨٨)].

* وعن"اسلم" أن"عمر بن الخطاب" رضي الله عنه كان يُصلي من الليل ما شاء الله ، حتى إذا كان من آخر الليل أيقظ أهله للصلاة (أي لقيام الليل)، يقول لهم"الصلاةَ الصلاةَ" ثم يتلو هذه الآية: {وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقاً نحن نرزقك والعاقبة للتقوى} " [نقلا عن"موطأ مالك" بسند صحيح].

* عن"إبراهيم بن وكيع" قال:"كان أبي "وكيع بن الجرّاح" رحمه الله يصلي الليل، فلا يبقى في دارنا أحد إلا صلى حتى إن جارية لنا سوداء كانت تقوم فتصلي " [نقلا عن كتاب "صفة الصفوة" لابن الجوزي (١٧١/٣)].

* عن"محمد بن طلحة بن مصرف" قال: كان أبي رحمه الله يأمر نساءه وخدمه وبناته بقيام الليل، ويقول:صلوا ولو ركعتين في جوف الليل!! فإن الصلاة في جوف الليل تحط الأوزار ، وهي من أشرف أعمال الصالحين" [نقلا عن كتاب" مختصر قيام الليل" للمقريزي].

*أخي: أما تستنشق ريح السحر، أما تجد برد الفجر:

يا مَطُولاً بالقيام ... متلذذا بالمنام

قم فقد فاتك يا ... مغبون أرباح الكرام

وخَلَوا دونك بالمو ... لى وفازوا بالمرام

وكذا يسبقك القوم إلى دار السلام.

٧٩ معرفة أنّ القيام يشفع لصاحبه يوم القيامة

وخصلة أخرى تزيدك تعلقا بالقيام وحرصا عليه ، وهي أن القيام يشفع لصاحبه يوم القيامة عند الله تعالى ، ويكون سببا لصرف العذاب عنه ، فنعم القرين قرين

يشفع لك في أحلك المواقف وأصعبها .

* عن" عبد الله بن عمرو"رضي الله عنهما أن النبيﷺ قال:"الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أيْ ربِّ إني منعتُهُ الطعام والشهوات بالنهار فشفّعني فيه،ويقول القرآن: ربِّ منعته النوم بالليل فشفعني فيه فيشفعان" [رواه أحمد في" المسند" والطبراني في" الكبير" وصححه"الألباني" في" صحيح الجامع" برقم(١٧٧٦)].

* أخي:الليل يضجُّ من طول نومك!! والنهار يستغيث من قبيح فعلك!!

يا نائماً بالليل كم ترقد ... قم يا حبيبي قد دنا الموعد

وخُذ من الليل وأوقاته ... ورداً إذا ما هجع الرُّقَّد

مَنْ نام حتى ينقضي ليلهُ ... لم يبلغ المنزل أو يجهد

قل لذوي الألباب أهل التقى ... قنطرة العرض لكم موعد

[نقلا عن كتاب" لطائف المعارف" لابن رجب].

* ورحم الله من قال:

من كان يخشى الله جلَّ جلاله ... فليُكثر العبرات في الخلوات

فلعله بعد التذكر والبكا ... بُدِّلت له العبرات بالحسنات

وتُخفف الأوزار عن منشوره ... يوم الحساب وموقف الحسرات

[نقلا عن كتاب" بستان الواعظين" لابن الجوزي].

٨٠ السلف يتحسرون على فوات القيام وهم في السكرات

وساعة الاحتضار ساعة رهيبة ، ولحظات عصيبة ، فيها تُوقن النفس بالفراق ، وتلتف الساق بالساق ، وتكثر الحسرات ، وتعظم الآهات ، وتنطلق الزفرات ، وتُسكب العبرات ، فعلى فراق ماذا كان السلف الكرام يتحسرون وهم في السكرات؟!! أعلى فراق العمارات والسيارات ؟!! أم على ترك الأبناء والزوجات ؟!! أم على مفارقة الأرصدة والشيكات؟!! .

* عن"سعيد بن جبير"قال:"لما حضرت"ابن عمر" رضي الله عنهما الوفاة قال: ما آسى (أي احزن) على شيء من الدنيا ، إلا ظمأ الهواجر ومكابدة الليل ، وأني لم أُقاتل هذه الفئة الباغية التي نزلت بنا ــ يعني الحجاج ــ " [نقلا عن كتاب"مختصر قيام الليل" للمقريزي].

* لما احتضر"معاذ بن جبل" رضي الله عنه قال:" أعوذ بالله من ليلةٍ صباحها إلى النار، مرحبا بالموت مرحبا زائر مغيَّب وحبيب جاء على فاقة، اللهم إني قد كنتُ أخافك وأنا اليوم أرجوك، اللهم إنْ كنت تعلم أني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لكري الأنهار، ولا لغرس الأشجار، ولكن لظمأ الهواجر ، ومكابدة الساعات (أي قيام ليالي الشتاء الطويلة الباردة) ومزاحمة العلماء بالركب في حِلَق الذكر" [نقلا عن كتاب"الزهد" للإمام أحمد].

* لما احتضر العبد الصالح"حسان بن أبي سنان" رحمه الله، قيل له: ما تشتهي؟!! فقال: ليلة بعيدة ما بين الطرفين (أي طويلة) أحيي ما بين طرفيها(أي بالصلاة والتهجد لربي) !!" [نقلا عن كتاب"اللطف في الوعظ" لابن الجوزي].

* لما احتضر العبدالصالح"عامر بن عبدالله بن قيس" رحمه الله جعل يبكي!! فقالوا: ما يبكيك يا عامر؟!! فقال: ما أبكي جزعا من الموت ولا حرصا علىالدنيا وإنما أبكي على ظمأ الهواجر وقيام الشتاء" [نقلا عن كتاب" الزهد" للإمام أحمد].

* لما احتضرت العابدة الصالحة" معاذة العدوية" رحمها الله ــ وكانت صوامة قوامة ــ بكت ثم ضحكت!! فقيل لها: ممَّ بكيتِ وممَّ ضحكتِ؟!! فقالت: أما البكاء الذي رأيتم فإني ذكرت مفارقة الصيام والصلاة والذكر فكان البكاء لذلك!! وأما الذي رأيتم من تبسمي وضحكي فإني نظرت إلى أبي الصهباء ــ وهي كنية زوجها"صلة بن أشيم العدوي" وكان قد مات قبلها ــ قد أقبل في صحن الدار وعليه حلتان خضراوان في نفرٍ والله ما رأيت لهم في الدنيا شبهاً (تعني أنهم ملائكة) ، فضحكتُ إليه!! ولا أراني أُدرك بعد ذلك فرضا!!، قال الرأوي: فماتت قبل أن يدخل وقت الصلاة" [نقلا عن كتاب" صفة الصفوة" لابن الجوزي (٤/٢٤)].

* لما احتضر العبد الصالح"أبو الشعثاء"رحمه الله بكى!! فقيل له : ما يُبكيك؟!! فقال: أني لم أشتفِ من قيام الليل!! " [نقلا عن كتاب"عقود اللؤلؤ والمرجان" لإبراهيم بن عبيد].

* لما احتضر العبد الصالح"يزيد الرقاشي"رحمه الله بكى ، فقيل له: ما يبكيك؟!! فقال:أبكي على ما يفوتني من قيام الليل وصيام النهار، ثم جعل يقول: يا يزيد من يصلي لك؟!!(أي بعدموتك) ، ومن يصوم عنك!! ومن يتقرب إلى الله عزَّ وجلّ بالأعمال الصالحة؟!!! " [نقلا عن كتاب"عقود اللؤلؤ والمرجان" لإبراهيم بن عبيد].

* أخي:"آهٍ لساعات شديدة الكربات ،فيها غمرات ليست بنوم ولا سبات ،تتقطع فيها الأفئدة باللوم على الفوات،وتبكي عين الأسف لما مضى من هفوات ، والمريض ملقى على فراش الحرقات، فآهٍ ثم آهٍ من جبال حسرات يحملها،{ولن يُؤخر الله نفساً إذا جاء أجلُها}.

لقد صاح بك الصائح، بأخذ غادٍ وسلب رائح ، يكفي ما مضى من القبائح، فاقبل اليوم هذه النصائح ، فإن المسكين من يهملها، {ولن يُؤخر الله نفساً إذا جاء أجلُها} " [نقلا عن كتاب"التبصرة" لابن الجوزي(١/٤١٣)].

٨١ تربية النفس على المسابقة إلى الطاعات

هذه الدنيا ليست دار أكلٍ وشربٍ ونومٍ وجماعٍ ، كم يظن الكثيرون ، بل هي دار مسابقة إلى الطاعات ، وتسابق إلى الباقيات الصالحات ، وتنافس في الدرجات العليات في الجنات ، واستباق إلى مرضاة رب الأرض والسماوات ، فهل أنت ــ يا رعاك الله ــ من أهل هذا السباق؟!! .

* عن"انس" رضي الله عنه أن النبيﷺ قال:"افعلوا الخير دهركم ، وتعرضوا لنفحات رحمة الله، فإن لله نفحاتٍ من رحمته يُصيب بها من يشاء من عباده" [رواه الطبراني في"المعجم الكبير" ، وقال"الهيثمي":إسناد رجاله رجال الصحيح ، والحديث حسنه"الألباني" في"السلسلة الصحيحة" برقم (١٨٩٠)].

* قال"ابن رجب الحنبلي"رحمه الله :"لما سمع القوم حادي:{فاستبقوا الخيرات} ونداء: {وسابقوا إلى مغفرةٍ من ربكم وجنَّة عرضها كعرض السماء والأرض} فهموا أن المراد أن يجتهدوا ليكون كل واحد منهم هو السابق إلى هذه الكرامة، فكان تنافُسُهم في

درجات الآخرة ،ثم خَلَفَهم قومٌ تنافسوا في الدنيا الدنية وحظوظها الزائلة" [نقلا عن كتاب "لطائف المعارف"لابن رجب الحنبلي].

* قال"الحسن البصري"رحمه الله :"إذا رأيت الرجل يُنافسك في الدنيا فنافسه في الآخرة" [نقلا عن نفس المصدر السابق].

* وقال :"مَنْ نافسك في دينك فنافسه،ومَنْ نافسك في دنياك فألقها في نحره" [نقلا عن نفس المصدر السابق].

* كان"عمير بن حبيب" رحمه الله يقول لأهله :" يا أهلاه: الدلجةَ الدلجةَ (هي في الأصل سير الليل ، والمراد هنا قيام الليل) ،إنه من يُسبَق إلى الماء يظمأ،..، يا أهلاه الدلجة الدلجة.. إنه من يُسبَق إلى الظل يضحى" [نقلا عن كتاب" مختصر قيام الليل" للمقريزي].

* قال"الأُستاذ" سيد قطب":"والذين يتنافسون على شيء من أشياء الأرض مهما كبر وجلّ وارتفع وعظم، إنما يتنافسون في حقير قليل فانٍ قريب، والدنيا لا تزن عند الله جناح بعوضة، ولكن الآخرة ثقيلة في ميزانه، فهي إذن تستحق المنافسة فيها والمسابقة" [نقلا عن كتاب" في ظلال القرآن" (٦/٣٨٦٠) لسيد قطب)].

* قال"بشر بن الحارث الحافي" رحمه الله:"يا أخي بادر بادر!! فإن ساعات الليل والنهار تذهب بالأعمار" [نقلا عن كتاب" صفة الصفوة" لابن الجوزي (٢/٣٢٦)].

* كتب "يوسف بن اسباط رحمه الله إلى أحد إخوانه في الله يحثه على المسابقة إلى الطاعات:"احسر عن رأسك قناع الغافلين، وانتبه من رقدة الموتى، وشمِّر للسباق غدا فإن الدنيا ميدان المتسابقين!! " [نقلا عن كتاب" صفة الصفوة" لابن الجوزي (٤/٣٦٢)].

* قال"داود الطائي" رحمه الله:"إنما الليل والنهار مراحل تنزل بالناس مرحلة بعد مرحلة، حتى ينتهي بهم ذلك إلى آخر سفرهم، فإن استطعتَ أن تُقدم في كل يوم مرحلة زادا لما بين يديك فافعل،فإن انقطاع السفر عن قريب، والأمر أعجل من ذلك، فتزود لسفرك، واقضِ ما أنت قاضٍ من أمرك، فكأنك بالأمر قد بغتك "[راجع كتاب"الحلية" لأبي نعيم (٧/٣٤٦)].

* قال"وُهيب بن الورد"رحمه الله :"إنْ استطعتَ ألا يسبقك إلى الله أحد فافعل" [نقلا عننفس المصدر السابق].

*أخي:" لما علم الصالحون قصر العمر ، وحثهم حادي:{وسارعوا}، طووا مراحل الليل مع النهار انتهابا للأوقات،اصغ سمعك لنداء ربك:{ ففروا إلى الله} وبادر طيَّ صحيفتك،واحسر عن رأسك قناع الغافلين، وانتبه من رقدة الموتى، وشمر للسباق غدا، فإن الدنيا ميدان المتسابقين،...، فيا إخوتاه: سيروا إلى ربكم سيرا جميلا " [نقلا عن كتاب" رهبان الليل" للعفاني (٤٩/١)].

*أخي:" يا هذا زاحم باجتهاد المتقين ، وسر في سِرْبِ(أي جماعة) أهل اليقين، هل القوم إلا رجال طرقوا باب التوفيق ففُتح لهم ،وما نيأس لك من ذلك:

إذا أعجبتكَ خصال امريءٍ ... فكُنه يكن منك ما يُعجبك
فليس على الجود والمكرمات ... إذا جئتها حاجبٌ يحجبك

[نقلا عن كتاب"التبصرة"لابن الجوزي (٥٧/٢)].

* أخي:" لو استنشقتَ نسيم الأسحار ، لاستفاق قلبك المخمور(أي بخمر الهوى والدنيا) " [نقلا عن "الفوائد " لابن القيم].

* أخي: تأمل في حال المتهجدين بالليل، قاموا في الجد وقعدت !! وسهروا في الدجى ورقدت !! هذه طريقهم فأين السالك؟!! وتلك منازلهم فاشدد إليها رحالك!! فتنافسوا رحمكم الله في ذلك !! .

٨٢ إدراك أنّ قائم الليل يُؤثر في الناس أكثر من غيره

وخصلة أخرى تزيدك أخي الحبيب تحمسا لقيام الليل وتشوقا لمناجاة الرحمن ، ألا وهي أنّ قائم الليل يقذف الله له في قلوب الناس من القبول والتأثير والهيبة والوقار والاحترام ، ما لا يحصِّله منْ لا يقوم الليل ، ولا عجب في ذلك ، فإن هذا القائم بالليل لما خلا بالله في جنح الظلام ، أحبَّه ربُّهُ ومولاه ، فقذف محبته في القلوب ، ووضع له القبول والتأثير في النفوس ، ومن جرّب عرف ، والتاريخ خير شاهد على ذلك:

* لما دخل الرسول ﷺ وأصحابه مكة عام الفتح ظافرين منتصرين ، بات الحبيب عليه

الصلاة والسلام وأصحابه الكرام تلك الليلة سُجدا لله وقياما في بيت الله العتيق شــكراً لله على ما منَّ به عليهم من هذا الفتح العظيم، فجعلت "هند بنت عتبــة" ــ زوج "أبي سفيان بن حرب" زعيم قريش ــ تراقب الصحابة وهم يتهجدون في ظلام الليل ، فــأثَّر هذا المشهد في قلبها وحطم جلمود صخرها ومسَّ شغاف فؤادها، فلما أصبح الصبــاح جاءت هند إلى زوجها "أبي سفيان" وقالت له بكل جرأة ووضوح:"إني أريــد أن أُبــايع محمداً !! (أي على الإسلام)،فقال"أبو سفيان" مستغربا ومستنكرا:قد رأيتك تكفرين!!(أي بآلهـة الاباء والأجداد) فقالت: إي والله!! والله ما رأيت الله تعالى عُبد حقَّ عبادته في هذا المســجد قبل الليلة(أي قبل البارحة)، والله إنْ باتوا (أي أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام) إلا مصلــين قيامــا وركوعا وسجودا" [نقلا عن"حياة الصحابة" ص ٤٩٦، وكتاب"بيعة النساء" لابن منده].

* قال"الحافظ عبد الغني المقدسي" رحمه الله:" نزلت ضيفا على رجل من أصبهان، فلمــا تعشينا كان عنده رجل أكل معنا، فلما قمنا إلى الصلاة (أي صلاة الليل) لم يقم ليُصلي معنــا، فقلت لصاحب الدار: ما له؟!! فقال: هذا رجلٌ شمسي(أي يعبد الشمس)، فضــاق صــدري وقلت لصاحب الدار: ما أضفتني إلا مع كافر؟!!فقال: إنه كاتب ولنا عنــــده راحــة، قال"المقدسي" :فمضيتُ في صلاتي بالليل أقرأ القرآن وأُرتِّلــــه وذاك الكــافر يســتمع القراءة!! فلما سمع القرآن تزفَّر، ثم أسلم بعد أيام، وقال لي: لما سمعتك تقرأ القرآن وقــع الإسلام في قلبي" [نقلا عن كتاب"سير أعلام النبلاء" للذهبي (٢١/ ٤٦٣)].

* أخي الحبيب: إلى كم هذا النوم والغطيط؟!! وحتى متى هذا التقصير والتفريط؟!!

لو عــلم الراقــدون ما رقــدوا ... ولا تــهنــّى منــامَه أحــدُ
يا أيــها النــائمــون ويــحكمُ ... قد فــاز منْ في الظلام يجتهدُ
إنْ كــنــتــمُ نُــوَّماً فــإنَّ لــهُ ...رجالَ صــدقٍ له قد انفردوا

[نقلا عن كتاب"الصلاة والتهجد"لابن الخراط].

* أخي: لن تحلَّ في جوار الجبار حتى تحمل بضائع الأسحار.

*أخي:اجلس ليلة على مائة السحر، وذق طعم المناجاة تُنسيك كل لذة،فأرواح الأسحار

أقوات الأرواح.

* أخي: يا من كان له قلب فانقلب!! يا من كان له وقت مع الله فذهب!! قيام السحر يستوحش إليك، صيام النهار يعاتبك !! .

٨٣ تذكر القبور وأهوالها

لا بدَّ لنا أن ننتقل من الدور والقصور إلى ظلمة القبور ، ومن ضياء المهود إلى ظلمة اللحود ، ومن مداعبة الأبناء والنسوان إلى مقاساة الهوام والديدان ، ومن التنعم بالطعام والشراب إلى التمرغ في التراب .

وحقيقٌ بمن علم أنَّ الموت مصرعه ، والتراب مضجعه، والدود أنيسه، ومنكر ونكير جليسه ، والقبر مقرُّه ، وبطن الأرض مستقره ، والقيامة موعده، أن يُعدَّ زاداً ، ويهيئ عتاداً للقبور التي سيرحل إليها عما قريب:

يا بانيَ الدار المعدِّ لها .... ماذا عملتَ لدارك الأخرى؟!!

وممهد الفُرش الوثيرة لا .... تُغفل فراش الرقدة الكبرى .

وإذا استحضر المرء ــ ولا سيما قبل النوم ــ حال أهل القبور وما هم فيه من الأهوال، وكيف أهم حُرموا من قيام الليل ومناجاة اللطيف المنان ، وكيف أهم يتحسرون ويتأسفون على فوات القيام عليهم ، زاده ذلك همة ونشاطا لمناجاة ربه ومولاه:

* قال"أبو ذر الغفاري" رضي الله عنه:"يا أيها الناس إني لكم ناصح، وإني عليكم شفيق، صلّوا في ظلمة الليل لوحشة القبور، وصوموا في الدنيا لحر يوم النشور، وتصدقوا مخافة يوم عسير، يا أيها الناس إني لكم ناصح، إني عليكم شفيق" [نقلا عن كتاب"الزهد" للإمام أحمد].

* قال"عمر بن ذر" رحمه الله:"كم من قائمٍ لله في هذا الليل قد اغتبط بقيامه (أي فرح به وسُرَّ) في ظلمة حفرته، وكم من نائمٍ في هذا الليل قد ندم على طول نومه عندما يرى من كرامة الله للعابدين غداً، فاغتنموا ممر الساعات والأيام رحمكم الله" [نقلا عن كتاب

كتاب"مختصر قيام الليل" للمقريزي] .

* كان"عمرو بن عتبة بن فرقد" رحمه الله يخرج على فرسه ليلا، فيقف على القبور فيقول: يا أهل القبور لقد طُويت الصحف، لقد رُفعت الأعمال، لا تستعتبون من سيئة ولا تستزيدون من حسنة!! ثم يبكي، ثم يصف بين قدميه فيصلي حتى يُصبح فيرجع فيشهد صلاة الصبح" [نقلا عن كتاب"الزهد" للإمام أحمد].

* قال الشاعر:

إن في القبر إنْ نزلتَ إليه ... لرقادا يطول بعد الممات

ومهاداً ممهداً لك فيه ... بذنوبٍ عملتَ أو حسنات

أأمنتَ البيات من مَلَك المو ... ت وكم نال آمناً ببياتِ

[نقلا عن كتاب" إحياء علوم الدين" للغزالي ج٤].

* كان "هشام الدستوائي" رحمه الله لا يُطفيء سراجه بالليل، فقالت له امرأته : إن هذا السراج يُضرُّ بنا إلى الصباح!! فقال لها: ويحكِ إنكِ إذا أطفأتيه ذكرتُ ظلمة القبر فلم اتقارّ(أي لا أستطيع النوم ولا البقاء على الفراش) " [نقلا عن كتاب"مختصر قيام الليل" للمقريزي].

* كان العبد الصالح"عبد الواحد بن زيد" رحمه الله يقول لأهله في كل ليلة:يا أهل الدار نتبهوا !! (أي من نومكم) ، فما هذه (أي الدنيا) دار نوم، عن قريب يأكلكم الدود!! " [نقلا عن كتاب" تنبيه المغترين" للشعراني].

* كأنت الأمة الصالحة" معاذة العدوية" رحمها الله تقوم الليل وتناجي ربها، فإذ غلبها النوم وهي تصلي قامت فجالت في الدار وهي تقول:" يا نفسُ: النوم أمامك!! لو قدمتِ (أي على القبور) لطالت رقدتك في القبور على حسرة أو سرور!! وكأنت تقول:" عجبتُ لعينٍ تنام!! وقد عرفت طول الرقاد في ظلم القبور " [نقلا عن كتاب" صفة الصفوة" لابن الجوزي (٢٣/٤)].

* كانت أحدى العابدات تصلي بالليل ولا تنام إلا قليلا، فعوتبت في ذلك فقالت: كفى بالموت وطول الرقدة في القبور للمؤمنين رقاداً !! وكأنت تكثر الصيام وتقول: إنما أدور على الريِّ والشبع في الآخرة" [نقلا عن كتاب"صفة الصفوة" (١٩٥/٣)].

* قال الشاعر:

كم ذا الرقــادُ وأهل الــجدِّ ما رقــدوا ... كأنــهم دوننا بالأمر قــد قُــصدوا

قامــوا ونــمتَ، وجــدُّوا إذ هــزلتَ ... وما عملتَ من عملٍ ذاك الذي تجدُ

فاهــجــر منامــك لا تُلمــم بساحــته ... ففي القبــور إذا ما جئــتهــا مهَدُ

ما شــئتَ !! إنْ شئــتها مُــهداً مُــليَّنةً ... مــن الحــريرة وإلا جــمــرة تقدُّ

[نقلا عن كتاب"الصلاة والتهجد"لابن الخراط].

٨٤ إدراك أنَّ القيام سببٌ للفوز برحمة الله

وغنيمة كبرى ، وعطية عظمى ، ينالها قائم الليل ، ألا وهــي الفــوز برحمة الله تعالى ، وهذه هي الغنيمة الرابحة ، والتجارة التي لا تبور .

* عن" أبي هريرة" رضي الله عنه أن النبيﷺ قال:"رحم الله رجلا قام من الليل وأيقــظ امرأته فصلت، فإن أبت نضح في وجهها الماء، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلَّــت، وأيقظت زوجها فصلى ، فإن أبى نضحت في وجهه الماء" [رواه أبو داود والنسائي وابن خزيمة، وقـال النووي: إسناده صحيح، وصححه" الألباني" في" صحيح الجامع" برقم(٣٤٨٨)].

* وعن"عائشة"رضي الله عنها قالت:سمع رسول اللهﷺ رجلا يصلي ويقرأ في المســجد بالليل، فقال: يرحمه الله لقد اذكرني آية كذا وكذا كنت أنسيتها من سورة كذا وكــذا" [رواه البخاري في صحيحه باب"نسيان القرآن" ج٩ ص٨٥، وفي رواية أن هذا الرجل هو"عباد بن بشر"رضي الله عنه].

* وعن"عائشة" رضي الله عنها قالت:"تهجد رسول اللهﷺ في بيتي فسمع صوت "عبَّــاد بن بشر"رضي الله عنه (أي وهو يُصلي ويقرأ بالليل) فقال: يا عائشة: صوت عبــاد بــن بشــر هذا؟!! فقلت: نعم ، فقال : اللهم اغفر له" وفي رواية أنه قال:اللهم ارحم عبَّاداً " [ذكـره "ابن حجر في كتابه "الإصابة في تمييز الصحابة"ن في ترجمة" عبّاد بن بشر" وحكم بصحته].

* لما مات العبد الصالح" الجنيد بن محمد" رآه بعض الناس في المنام ، فقال له: ما فعل الله

بك؟!! فقال: طاحت تلك الإشارات وغابت تلك العبارات!! وفنيت تلك العلوم، ونفدت تلك الرسوم!! وما نفعنا إلا ركيعات كنا نركعها في الأسحار!!" [نقلا عن كتاب"حلية الأولياء" لأبي نعيم (١٠/٢٥٧)].

* أخي:

فاز من سبّح والناس هجوع
يدفن الرغبة ما بين الضلوع
ويغشيه سكون وخشوع
ذاكراً لله والدمع هموع
سوف يغدو ذلك الدمع شموع
لتضيء الدرب يوم المحشر
سجدةٌ لله عند السَّحر

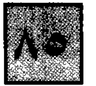
[نقلا عن قصيدة للأستاذ"وليد الأعظمي" ، راجع "رهبان الليل" للعفاني (٦٢٣/١)].

* أخي:" وآ عجبا !! رسائل الأسحار تُحمل ولا يدري بها الفلك، وأجوبتها تُرد إلى الأسرار ولا يعلم بها المَلَك:

صحائفنا إشارتنا ... وأكثرُ رسلنا الحُرُقُ
لأنَّ الكتب قد تُقرا ... بغير الدمع لا نثق

[نقلا عن كتاب" لطائف المعارف" لابن رجب].

* أخي: صحائف التائبين خدودهم ومدادهم دموعهم، كما قال بعضهم:" إذا بكى الخائفون فقد كاتبوا الله تعالى بدموعهم"!! .

 تكليف مَنْ يُوقظك لقيام الليل

ومن الوسائل الناجحة المعينة على القيام والتهجد ، أن يُكلف المرء من يوقظه للقيام ومناجاة ذي الجلال ولإكرام .

وهذا الإيقاظ للقيام له صور متعددة منها :

أ ـــ يمكن أن تطلب من أحد والديك أو إخوتك أن يوقظك في الليل لتتهجد .

* كانت الأمة الصالحة" هنيدة" رحمها الله إذا مضى ثلث الليل أو نصفه أيقظت زوجها وأولادها ومواليها لقيام الليل وتقول لهم: قوموا فتوضأوا وصلُّوا فستغتبطون بكلامي هذا!! فكان هذا دأبها حتى ماتت!! " [نقلا عن " صفة الصفوة" لابن الجوزي (٣٩١/٤)].

ب ـــ يمكن أن تتفق مع أحد إخوانك في الله ، أو جيرانك الصالحين، على أن يتصل بك هاتفيا في ساعة محددة من الليل ، لتقوم لصلاتك وتهجدك .

* قال الحافظ"الذهبي" وهو يترجم للعبد الصالح" اليونيني" رحمه الله :" كان شيخا طويلا مهيبا،...، وكانت له عصا اسمها"العافية"!! ، فكان يقوم نصف الليل إلى الفقراء، فمن رآه نائما ضربه بها (أي ضربا خفيفا ليوقظه للقيام) ، ...، وكان أمَّارا بالمعروف" [نقلا عن كتاب" سير أعلام النبلاء" للذهبي (١٠١/٢٢)].

* قال"محمد بن يوسف" :"كان"سفيان الثوري" رحمه الله يُقيمنا في الليل ويقول:قوموا يا شباب!! صلوا ما دمتم شبابا!! إذا لم تصلوا اليوم فمتى؟!! (أي متى ستصلون) " [نقلا عن كتاب" الحلية" لأبي نعيم (٥٩/٧)].

جـــ ـــ استعن على الاستيقاظ للتهجد بالساعات المنبهة ، ويا حبذا لو كانت ثلاث أو أربع ساعات منبهة ، بحيث يُجعل بين موعد تنبيه كل ساعة وأخرى قرابة ربع ساعة مثلا ، بحيث أن المرء إذا لم يستيقظ على صوت المنبه الأول، فلعله يستيقظ على صوت المنبه الثاني ، أو الثالث أو الرابع، وهكذا دواليك .

كذلك ينبغي في حال استخدام الساعات المنبهة مراعاة أن تكون أماكن وضع الساعات بعيدة عن فراش النوم ، هذا من جهة ومن جهة أخرى تكون أماكن الساعات متباعدة فيما بينها وموزعة على جميع أرجاء الغرفة ، فإن ذلك أدعى لطرد النوم والكسل عن المرء بعد استيقاظه .

* كانت"عصمت الدين خاتون بنت الأتابك معين الدين" وزوجة العبد الصالح" نور الدين زنكي" رحمه الله تُكثر القيام من الليل، فنامت ذات ليلة عن وردها ، فأصبحت

وهي غضبى فسألها نور الدين عن أمرها فذكرت نومها الذي فوّت عليها وردها، فأمر نور الدين عند ذلك بضرب طبلخانة (هي آلة معينة تُصدر عند ضربها صوتا قويا يوقظ النائم) في القلعة وقت السحر لتُوقظ النائم ذلك الوقت لقيام الليل، وأعطى الضارب على الطبلخانة أجرا جزيلا وجراية كثيرة" [نقلا عن كتاب"البداية والنهاية" لابن كثير (١٢/٢٧٩)].

د ــ الاستعانة بالديك لإيقاظك للقيام.

* عن"زيد بن خالد الجهني" رضي الله عنه أن النبيﷺ قال:"لا تسبُّوا الديك، فإنه يُوقظ للصلاة" [رواه أبو داود والنسائي، والحديث صححه النووي، وصححه الألباني كما في"صحيح الجامع" برقم (٧١٩١)].

* قال"المناوي" تعليقا على الحديث المتقدم:"قوله "فإنه يُوقظ للصلاة":أي لقيام الليل بصياحه فيه،ومن أعان على طاعة يستحق المدح لا الذم، وفي رواية"للطيالسي":"لا تسبوا اليك فإنه يدلُّ على مواقيت الصلاة".

وقال "الحليمي":"وفيه دليل على أن كل من اُستفيدَ منه خير لا ينبغي أن يُسبَّ ولا يُستهان به، بل حقه الإكرام والشكر وتلقي الإحسان" [نقلا عن"فيض القدير" للمناوي].

*وقد كان عليه الصلاة والسلام يستعين بالديك ليوقظه لصلاة الليل:

* عن"مسروق" قال: سألتُ "عائشة" رضي الله عنها عن عمل رسول اللهﷺ فقالت:"كان يحب الدائم"، قال: فقلت: أيُّ حينٍ كان يُصلي؟!! فقالت:كان إذا سمع الصارخ(أي الديك) قام فصلى" [متفق عليه] ، وفي رواية عند"أبي داود:"كان إذا سمع الصراخ(أي صياح الديك)....".

* قال"ابن حجر" تعليقا على الحديث المتقدم:" جرت العادة بأن الديك يصيح عند منتصف الليل غالبا،وهو موافق لقول "ابن عباس":نصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل، وقال"ابن بطال":الصارخ يصرخ عند ثلث الليل" [نقلا عن كتاب"فتح الباري" لابن حجر ، ج ٣،)باب من نام عند السحر].

*كان "لسعيد بن جبير" رحمه الله ديك يُوقظه لصلاة الليل ، فلم يصِح ليلة من الليالي ،

فأصبح "سعيد" ولم يُصلِّ الليل تلك الليلة، فشق ذلك عليه، فقال: ماله؟!!(أي ما الذي منعه البارحة من الصياح لإيقاظي لصلاة الليل)، **قطع الله صوته!! ، فما سُمع الديك يصيح بعدها أبـــدا ، فقالت أم سعيد لسعيد:يا بنيَّ لا تدعُ على شيء بعدها!!** [نقلا عن كتاب" الحلية" لأبي نعيم].

هـــ ـــ قد يمنُّ الله على بعض عباده فيهييء لهم منْ يوقظهم ويحثهم على قيـــام الليـــل ، وهم في منامهم:

*** قال"زياد بن عبدالله النميري" رحمه الله :"أتاني آتٍ في منامي فقال لي: يا زياد قـــم إلى عبادتك من التهجد وحظك من قيام الليل!! ، فهو والله خير لك من نومة تُوهن بدنـك، وينكسر لها قلبك!! قال: فاستيقظتُ مرعوبا، ثم عادني والله النوم، فأتاني ذلـــك الآتي أو غيره، فقال: قم يا زياد فلا خير في الدنيا إلا للعابدين" قال: فوثبـــت فزعـــاً ، وقمـــتُ لصلاتي"** [نقلا عن كتاب" مختصر قيام الليل"للمقريزي].

*** قال بعض الصالحين :نمت ذات ليلة عن وردي من الليل فرأيت في المنام قائلا يقول لي:**

عجبتُ من جسمٍ ومن صحة ... ومِن فتـــىً نام إلى الفجـــر

فالـــموت لا تُؤمن خطفـــاته ... في ظُـــلَم الليـــل إذا يسري

مِن بين منقـــولٍ إلى حفـــرةٍ ... يفترش الأعمال في القـــبر

وبـــين مأخـــوذٍ على غـــرَّةٍ ... بات طـــويل الكبر والفخر

عاجـــله المـــوت على غـــفلةٍ ... فمـــاتَ مثبـــورا إلى الحشر

قال: فما نسيتها بعد ابدا " [نقلا عن كتاب" قيام الليل" للمروزي].

*** وعن"يحي بن سعيد بن أبي الحسن" قال:" كان أبي رحمه الله إذا جنَّ عليه الليـــل قـــام فتوضأ، ثم عمد إلى محرابه فلم يزل قائما فيه يصلي حتى يطلع الفجر، قال أبي: فنمـــتُ ذات ليلة عن وقتي الذي كنتُ اقوم فيه، فإذا بشاب جميل قد وقف عليَّ فقال لي: قم يـا سعيد إلى خير ما أنت قائم إليه !! قم إلى تهجدك ، فإن فيه رضاء ربك وحظ نفســك !! وهو شرف المؤمنين عند مليكهم يوم القيامة ،قال أبي: فحدثتُ به أخي"الحسن" فقال لي: قد أطاف بي هذا الشاب قديما"** [نقلا عن كتاب" قيام الليل" للمروزي].

* وعن"رابعة "العابدة رحمها الله قالت:" اعتللت علة قطعتني عن التهجد وقيام الليل، ثم رزقني الله العافية، فاعتادتني فترة وكسل عن القيام عقب العلة، فبينا أنا ذات ليلة راقدة أُريتُ جارية، فأدخلتني قصرا، فتلقانا فيه وُصفاء بأيديهم مجامر، فقالت لهم: أفلا تُجمروا هذه المراة ؟!! فقالوا: قد كان لها في ذلك حظ فتركته!! (أي تركت قيام الليل) ، ثم أقبلت الجارية عليَّ فقالت:

صلاتك نور والعباد رقودُ ... ونومكِ ضدٌّ للصلاة عنيد

وعمركِ غنمٌ إنْ عقلتِ ومهلةٌ ... يسير ويفنى دائماً ويبيد "

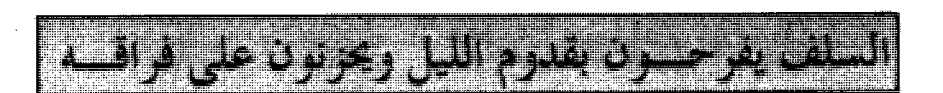
[نقلا عن كتاب"مختصر قيام الليل" للمقريزي].

* ورحم الله الشاعر حين يقول:

إذا كنتُ أعلم علماً يقيناً ... بأنَّ جميع حياتي كساعة

فلمَ لا أكون ضنيناً بها ... وأجعلها في صلاحٍ وطاعة

[نقلا عن كتاب"التبصرة" لابن الجوزي(١/٤٢٥)].



٨٦ السلف يفرحون بقدوم الليل ويحزنون على فراقه

" اعلم رحمك الله أن المغبون في الدنيا الذي لا يقول: سأربح غدا ، ولا يهتدي من أمره رشدا ،ولا يتجر لسلعته أبدا ، وصلاة الليل من أنفق أسواق الاخرة سوقا ، وأكثر بضائعها حقوقا ، فوجب على العاقل المنتفع بعقله إن ينظر لنفسه ويأخذ منها بحظه ، فيفرح بهذا الليل إذا أقبل وطال ، ويحزن إذا تقلّص وزال ، إذ هو موطنٌ تنتعش فيه الأرواح ، وتبتهج وترتاح، وتتقلب بين مسرَّات وافراح، وتُكثر من المساءلة والإلحاح ، وتمتار (أي تطلب) من خير ربها وتمتاح (أي تطلب ثواب ربها وترغب فيه) ، وتستمنح مِنْ سماح مَنْ بيده السماح ، ومن يُغدَى على فضله ويُراح ، فهي قائمة بين يدي خالقها ، عاكفة على مناجاة بارئها ، تتنسم من تلك النفحات ، وتقتبس من أنوار تلك القربات ، وما يرد عليها في تلك المقامات ، فتارة تذكر هنَّاتها، وسالف زلاتها، وأيام بطالاتها، فتَجدُّ

وتجتهد، وتُعدُّ وتستعد، وترغب وتسأل ، وتتضرع وتتوسل، وتجأر وتبتهل.

* قال"يحي بن معاذ الرازي"رحمه الله:"الدنيا حانوت المؤمنين، والليـــل والنـــهار رؤوس أموالهم ، وصالح الأعمال بضائعهم ، وجنة الخلد أرباحهم ، ونار الأبد خسرانهم" [نقلا عن كتاب"التهجد والصلاة" لابن الخراط].

- ولأجل هذه اللذة العظيمة التي كان السلف يجدونها في قيام الليل، كانوا يفرحـــون بقدومه ويتحسرون ويحزنون على ذهابه ،لما يفوقم من حلاوة المناجاة ولذة التهجد :

* قال"علي بن بكار" رحمه الله:"منذ أربعين سنة ما أحزنني إلا طلوع الفجر !!" [نقلا عـــن كتاب"إحياء علوم الدين"للغزالي (١/٤٢٣)].

* قال"سفيان الثوري" رحمه الله:"إذا جاء الليل فرحتُ، وإذا جاء النهار حزنتُ " [نقلا عـن كتاب"الجرح والتعديل" لابن أبي حاتم " (١/٨٥)].

* قيل لبعض الصالحين: كيف الليل عليك؟!! فقال: هو ساعة أنا فيها بين حالين، أفـــرح بظلمته إذا جاء، واغتمُّ بفجره إذا طلع !!، ما تمَّ فرحي به قط ، ولا اشتفيتُ منه قط (أي من صلاة الليل)" [نقلا عن كتاب"مختصر قيام الليل" للمقريزي].

* قيل بعض السلف:كيف أنت والليل؟!! فقال: ما راعيته قط!! (أي ما شعرت به لقصـــره) ، يريني وجهه ثم ينصرف وما تأملته بعد!! " [نقلا عن كتاب" إحياء علوم الدين"للغزالي ، ج ١].

* كان"عمر بن ذر"رحمه الله إذا نظر إلى الليل قد أقبل قال: جاء الليل!! لليل مهابة، والله أحق أن يُهاب" [نقلا عن كتاب" مختصر قيام الليل" للمقريزي].

* قال"الفضيل بن عياض" رحمه الله:"إني لأقوم الليل فيطلع الفجر فيرجف قلبي وأقـــول: جاء النهار بما فيه من الآفات" [نقلا عن كتاب"تنبيه المغترين" للشعراني].

* ورحم الله من قال:

هـــذا الليل فلتفـــرح فإنه ... لـــما ترجـــوه من خيـــرٍ مظـــنَّـــه
فخذه مرســـلا فيه جفـــونا ...كأن دمـــوعهـــما سُـــحـــبُ مُـــزنَّه
وقم فيه ولو تحت المواضيء ...وقـــف فـــيـــه ولو فـــوق الأسنَّـــه

* كان العبد الصالح" عثمان بن أبي دهرش" رحمه الله إذا رأى الفجر قد طلع حزن واغتمَّ

لذلك وقال:أصير الآن مع الناس فلا أدري ما أجني على نفسي؟!! (أي من الذنوب والمعاصي) " [نقلا عن كتاب"الزهد" للإمام أحمد].

* قال"ذو النون المصري" رحمه الله:"ثلاثة من أعلام العبادة:حب الليل للسهر بالتهجد والخلوة، وكراهية الصبح لرؤية الناس والغفلة، والبدار بالصالحات مخافة الفتنة" [نقلا عن كتاب"حلية الأولياء" لأبي نعيم (٣١٨/٩)].

*قال"أبو حازم" رحمه الله:"ما مرَّت بي ليلة إلا وأنا لم أقضِ همتي (أي لم أشبع من قيام الليل) " [نقلا عن كتاب"الصلاة والتهجد"لابن الخراط].

* قيل لبعض الصالحين:كيف الليل عليك؟!! فقال:ما أدري ما أنا فيه !! إلا أنني بين نظرة ووقفة!! يُقبل بظلامه فأتدرعه، ثم يُسفر قبل أن أتلبسه !! ثم أنشد:

لم أستتم عناقه لقدومه .... حتى بدا تسليمه لوداعي

[نقلا عن نفس المصدر السابق].

* كان "الفضيل بن عياض" رحمه الله يقول:"أفرح بالليل لمناجاة ربي، وأكره النهار للقاء الخلق !! " [نقلاعن كتاب" مختصر قيام الليل" للمقريزي].

* قالت الأمة الصالحة"أم هارون" رحمها الله :قد أنزلتُ الدنيا مترلتها!!بأبي الليل ما أطيبه!! إني لأغتمُّ بالنهار حتى يجيء الليل، فإذا جاء الليل قمتُ أوله، فإذا جاء السَّحَر دخل الروح (أي السعادة والراحة)قلبي" [نقلا عن كتاب" صفة الصفوة" لابن الجوزي (٣٠٣/٤)].

* قال الشاعر مناجيا الليل وطالبا منه أن يزداد طولا:

ما على الليل لو أقام علينا ... ساعةً مُحسناً بذلك إلينا

فجلونا به صدأً من قلوبٍ ... أكسبتها الذنوبُ طبْعاً ورينا

ودنونا مِنْ ربنا وعلونا ... وسمونا بفضله وارتقينا

فسمعنا عجائباً ورأينا ... وشفينا جراحةً واشتفينا

[نقلا عن كتاب"الصلاة والتهجد" لابن الخراط].

* أخي: إنْ اشتاقت نفسك إلى دارك التي طُردتَ منها (أي الجنة) فعرِّج بوادي المتهجدين فهناك تمر القافلة.

٨٧ المــواظبــة والمــداومــة علــى القيــام

من العناصر المهمة في العملية التربوية الإيمانيـــة ، عنصـــر"المواظبـــة والمداومة على فعل الطاعة ، وإنْ قلّت" ، وذلك أن المداومة والمواظبة تجعل تلك الطاعة هيئة راسخة في النفس ، تحنُّ النفس وتشتاق إليها، وتحزن وتأسف لفراقها وفوتها عليها .

- وقد جاءت نصوص الشرع المطهر ، تحث على المداومة على القيام ، والمواظبة على التهجد ولو بأقل القليل :

* عن" عبد الله بن أبي قيس" قال: قالت" عائشة "رضي الله عنها : "لا تدع قيام الليل!! فإن رسول الله ﷺ كان لا يدعه (أي لا يتركه)، وكان إذا مرض أو كسل صلى قـــاعدا" [رواه "أبو داود" وابن خزيمة وصححه، وقال" الألباني" في تعليقه على" صحيح ابن خزيمة":" إسناده صحيح على شـــرط مسلم].

* وعن"عائشة" رضي الله عنها أن النبي قال:" أحبُّ الأعمال إلى الله أدومها وإنْ قـــلَّ" ، وكانت"عائشة" رضي الله عنها إذا عملت العمل لزمته" [متفق عليه].

* قال"النووي" رحمه الله تعقيبا على لحديث المتقدم:"وإنما كان القليل الدائم خـــيرا مـــن الكثير المنقطع ، لأن بدوام القليل تدوم الطاعة والذكر والمراقبة والإخـــلاص والإقبـــال على الخالق سبحانه وتعالى، ويثمر القليل الدائم بحيث يزيد على الكثير المنقطع أفعـــالا كثيرة ،وقد كان آل محمد ﷺ من أهل بيته وخواصه من أزوجه وقرابته إذا عملوا عملا لازموه ودأوَمو عليه" [نقلا عن كتاب"شرح مسلم" للنووي (٢/٤٣٩)].

* وقد تقدم معنا قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح :" من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته فصليا ركعتين جميعا، كُتبا ليلتئذ من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات" .

- وقد سار سلفنا الكرام على هذا التوجيه الشرعي الرشيد:

* قال"محمد بن سيرين" رحمه الله:"لا بدَّ من قيام (أي قيام الليل) ولو قدر حلب شاة" [نقلا عـــن كتاب"الزهد" للإمام أحمد].

* قال"سليمان بن طرخان" رحمه الله : " إن العين إذا عودتها النوم اعتادت ، وإذا عودتها

السهر اعتادت" [نقلا عن كتاب"حلية الأولياء" لأبي نعيم (٢٩/٣)].

*** قال"أبو سليمان الداراني" رحمه الله لتلميذه"أحمد بن أبي الحوارى":"لترك الشهوات ثواب، وللمداومة ثواب، وإنما أنا وأنت ممن يقوم ليلة وينام ليلتين ، ويصوم يوما ويُفطر يومين، وليس تستنير القلوب على هذا"** [نقلا عن كتاب"الحلية" لأبي نعيم (٢٧١/٩)].

*** قال"محمد بن حمدون": صحبتُ "أبا بكر أحمد بن إسحاق النيسابوري" رحمه الله سنين، فما رأيته ترك قيام الليل لا في سفر ولا في حضر"** [نقلا عن كتاب"سير أعلام النبلاء" للذهبي (٤٨٥/١٥)].

*** قال"الحاكم" وهو يترجم للحافظ القدوة"الحسين بن علي النيسابوري" رحمه الله:" صحبته حضرا وسفرا، فما رأيته ترك قيام الليل من نحو ثلاثين سنة!! فكان يقرأ سُبُعاً في كل ليلة، وكانت صدقاته دارَّةً سراً وعلانية"** [نقلا عن كتاب"سير أعلام النبلاء" للذهبي (٤٠٧/١٦)].

*** أخي:"يا قليل النظر في أمره ، يا غافلا عن ذكر قبره ،أما نقل الموت واحدا واحدا ، وها هو قد أضحى نحوك قاصدا ، كم سلب ولداً وأخذ والداً ،إلى متى تصبح جاهلا وتُمسي ماردا ، وتُحَثُّ على النهوض وما تبرح قاعدا ، متى يذوب دمعٌ ما يزال جامدا ، متى ينقص جهل ما يفتأ زائدا ، يا من إذا قاربه النصح أصحى متباعدا ، لقد نظرتَ لنفسك نظرا فاسدا ، كم أشمتَّ بك عدوا وافرحتَ حاسدا ،يا نائما عن خلاصه راقدا ، يا مريضا ما نرى له عائدا ،كم نُوضح الأمثال ونضرب حديدا باردا "**[نقلا عن كتاب"التبصرة"لابن الجوزي (٥٦/٢)].

٨٨ استحضار القيامة وأهوالها

يوم القيامة يوم الحسرة والندامة ، يوم التوبيخ والملامة ، يوم الكربات العظام ، والأهوال الجسام ، يوم تشهد الجلود لتفضح من تعدى على المحارم والحدود ، يوم يشيب الولدان وترتجف الأفئدة والجنان ، يوم تُهتك الأستار وتُفضح الخبايا والأسرار،{لمن الملك اليوم لله الواحد القهار} .

* وقد كان النبيﷺ يُذكِّر نفسه كل ليلة قبل النوم ، بأهوال القيامة وكرباتها ، ويُـربي أمته على ذلك :

* عن"حفصة " رضي الله عنها أن النبيﷺ :" كان إذا نام وضع يده اليمنى تحت خـده وقال:"اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك (ثلاث مرات)" [رواه أبو داود والنسـائي، والحديث صححه الألباني في"صحيح الجامع" برقم (٤٥٣٢)].

- وقد سار السلف الأبرار على هذا النهج القويم ، فكانوا يُعدُّون الزاد ، ويُـهيئون العتاد ،لذلك اليوم العظيم:

* كان"عتبة الغلام" رحمه الله يقوم من الليل يصلي، فإذا جاء السحر أخذ ينـاجي ربـه ويبكي بكاء شديدا، فسئل عن ذلك فقال: إني والله ذكرتُ يوم العرض على الله!! لقـد قطَّع ذكر يوم العرض على الله أوصال المحبين" [نقلا عن كتاب"صفة الصفوة" لابن الجوزي (١/٣٧٠)].

* بكى العبد الصالح "مسعر بن كدام" رحمه الله فبكت أمه، فقا ل لها "مسعر":"ما أبكـاكِ يا أماه؟!! فقالت: يا بنيَّ رأيتك تبكي فبكيتُ!! فقال لها: يا أماه لمثل ما هجم عليه غـدا فلنُطِلِ البكاء، قالت: وما ذاك؟!! فانتحب ثم قال :القيامة وما فيها (أي من الأهوال والشدائد)، ثم غلبه البكاء فبكى" [نقلا عن كتاب" صفة الصفوة" لابن الجوزي (٣/١٣٠)].

* بكى العبد الصالح"بديل بن ميسرة العقيلي" رحمه الله حتى قرحت مآقيه، فلما عُوتب في ذلك قال:"إنما أبكي خوفا من طول العطش يوم القيامة" [نقلا عن كتاب" صفـة الصفـوة" لابـن الجوزي (٣/٢٦٥)].

* بكىالعبد الصالح" ضيغم بن مالك" رحمه الله ذات ليلة فاشتد بكاؤه ، فسئل عن ذلـك فقال:"لو يعلم الخلائق ما يستقبلون غداً (أي من أهوال القيامة) ما لذُّوا بعيش أبدا!! ، والله إني لما رأيت الليل وهوله وشدة سواده، ذكرت به الموقف وشدة الأمر هناك، وكل امـريء يومئذ همُّه نفسه:{يوماً لا يجزي والدٌ عن ولده ولا مولودٌ هو جازٍ عن والده شيئا} [سورة لقمان الاية (٣٣)] " [نقلا عن كتاب"صفة الصفوة" لابن الجوزي (٣/٣٥٧)].

* أخي :قم في ظلام ليلك وناجِ ربك ومولاك وقل بصوت الخاشع المنكسر:

الا يا عــينُ ويحكِ أســعــديــني .... بطــول الدمــع في ظــُلَم الليالي
لعــلك في القــيامــة أن تــفوزي ....بخــير الدهــر في تــلك العــلالي

[نقلا عن" صفة الصفوة" لابن الجوزي (٥٩/٤)].

*وأما امراة"ابي عمران الجوني" رحمها الله فقد كانت تقوم تصلي الليل حتى أنها تعصب ساقيها بالخرق من طول القيام، فكان"أبو عمران" يقول لها:دون هذا يا هذه (أي خففي على نفسك وارفقي بها) فكأنت تقول له: هذا عند طول القيام في الموقف قليل!! فكان "أبو عمران يسكت عنها" [نقلا عن كتاب" صفة الصفوة" لابن الجوزي (٤٣/٤)].

* كان"عتبة الغلام" رحمه الله يتهجد من الليل ويُكثر البكاء من خشية الله فقالت له أمه: لو رفقت بنفسك يا بنيَّ؟!! فقال لها:دعيني يا أماه أتعب في عمر قصير ليومٍ طويل!! (يعني يوم القيامة)" [نقلا عن كتاب"تنبيه المغترين" للشعراني].

* كان العبد الصالح" أبو معاوية الأسود"رحمه الله إذا قام يصلي من الليل قال:"من كانت الدنيا أكبر همّه طال غدا في القبر غمُّه، ومن خاف الوعيد لها في الدنيا عما يريد، يا مسكين إنْ كنت تريد لنفسك فلا تنامنَّ الليل إلا القليل" ثم يبكي رحمه الله بكاءا شديدا، ثم يقول:أهٍ من يوم يتغير فيه لوني ويتلجلج فيه لساني ويقلُّ فيه زادي(يعني يوم القيامة)" [نقلا عن كتاب" الحلية" لأبي نعيم (٢٧٢/٨)].

* كانت الأمة الصالحة"منيرة السدوسية"رحمها الله إذا جاء الليل تقول:قد جاء الهول!! قد جاءت الظلمة!!قد جاء الخوف!! ما أشبه هذا بيوم القيامة !! ثم تقوم إلى محرابها فلا تزال تصلي حتى يطلع الصباح" [نقلا عن كتاب" صفة الصفوة" لابن الجوزي (٣٨٨/٤)].

* قال"الفضيل بن عياض"رحمه الله:" بكى ابني "علي" فقلت له: ما يبكيك؟!! فقال: أخاف ألا تجمعنا القيامة!!" [نقلا عن كتاب"سير أعلام النبلاء" للذهبي (٤٤٣/٨)].

* كانت الأمة الصالحة" رابعة العدوية" رحمها الله تصلي الليل كله ، فإذا طلع الفجر هجعت في مصلاها هجعة خفيفة حتى يُسفر الفجر، ثم تثب من هجعتها وهي تقول: يا نفسُ كم تنامين؟!! وإلى كم تقومين؟!! يوشك أن تنامي نومة لا تقومين منها إلا إلى صرخة يوم النشور!!" [نقلا عن كتاب" صفة الصفوة " لابن الجوزي (٢٩/٤)].

*ورحم الله من قال:

فكم بيـــن مشغـــولٍ بطـــاعة ربـــه ... وآخـــر بالذنـــب الثـــقـــيل مقـــيَّـــد

فـــهذا ســـعـــيدٌ في الـــجنان منعَّمٌ ... وهـــذا شـــقيٌّ في الجـــحيم مـــُخـــلَّدُ

كـــأني بنـــفـــسي في القيامة واقفٌ ... وقـــد فـــاض دمـــعي والمفاصـــل ترعدُ .

*أخي:" لو رأيت أرباب القلوب والأسرار، وقد أخذوا أهبة التعبد في الأسحار، وقـــاموا في مقام الخوف على قدم الاعتذار:{ يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار}.

عقدو عزم الصيام وما جاء النهار!! وسجنوا الألسنة فما فيهم مهذار!! وغضُّوا أبصارهم ولازمٌ غضُّ الأبصار، فانظر مدحهم إلى اين انتهى وصار؟!! وأحزانهم أحزان ثكلى ما لها اصطبار، ودموعهم لولا التحري لقُلتَ كالأنهار، ووجوهم من الخوف قد علاها الصَّفار، والقلق قد أحاط بهم ودار:{ يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار}.

جدُّوا في انطلاقهم إلى خلاَّقهم، وراضوا أنفسهم بتحسين أخلاقهم، فإذا بهم قد أذابهـــم كرْب اشتياقهم، أتدري ما الذي حبسك عن لحاقهم؟!! حبُّ الدرهم والدينار!! أيقظنـــا الله وإياكم من هذه السِّنة، ووفقنا اتباع النفوس المحسنة، وآتانا في الدنيـــا حســـنة وفي الآخرة حسنة، ووقانا عذاب النار" [نقلا عن كتاب" التبصرة" لابن الجوزي (١/١٣٤)].

٨٩ افـــتـــتـــاح الـــقـــيـــام بـــركـــعـــتـــين خفيفـــتـــين

وافتتاح صلاة الليل بركعتين خفيفتين ، يحفز الهمة لمناجاة الرحمـــن ، ويُنشط الوسنان ، ويطرد وساوس الشيطان .

* وقد حثنا الرسولﷺ على ذلك ، بقوله وفعله:

* فعن"أبي هريرة" رضي الله عنه أن النبيﷺ قال:"إذا قام أحدكم من صـــلاة الليـــل فليستفتح صلاته بركعتين خفيفتين" [رواه مسلم وأحمد في المسند].

* وعن"عائشة" رضي الله عنها قالت :"كان رسول اللهﷺ إذا قام من الليل ليصلي افتتح

صلاته بركعتين خفيفتين" [رواه مسلم في صحيحه].

* قال"أبو زرعة" رحمه الله:" ورأيت والدي رحمه الله لما سئل عن الحكمة في افتتاح الليل بركعتين خفيفتين؟!! أجاب عن ذلك بأن الحكمة فيه استعجال حلّ عُقَد الشيطان ، وهو معنى حسن بديع، ومقتضاه ما رجحتُهُ من أنه لا يحصل ذلك إلا بتمام الصلاة" [نقلا عن كتاب"طرح التثريب في شرح التقريب" لأبن العراقي (٣/٨٥)].

* أخي: كن كقوم قال فيهم الشاعر:

لله قومٌ أخلصوا في حبِّه .... فاختصَّهم ورضي بهم خُدَّاما

قومٌ إذا هجم الظلام عليهمُ ... قاموا فكانوا سُجَّدا وقياما

يتلذذون بذكره في ليلهم ... ونهارهم لا يفترون صياما

فسيفرحون بوردِ حوض محمدٍ ... وسيسكنون من الجنان خياما

وتقرُّ أعينهم بما أخفى لهم ... وسيسمعون من الجليل سلاما .

* أخي:"بقيام الليل يعلو أجرك ، ويربو زندك، ويثبت مجدك، فإياك ان تهدَّ بالكسل بنيانه ، وتسقط بالنوم إيوانه ، فيخرب منك ما لا يعمر ، وينصدع منك ما لا ينجبر ، وتخسر بضائعك أعظمَ ما يُخسر !!

لو يعلمُ الراقد ما فاتهْ ... وأيُّ مجدٍ هدَّ أبياتهْ

لحرَّم النوم على جفنه ... وسدَّ بالخدمة أوقاتهْ

وأرسلَ الدمعةَ ممزوجة ... على مبيتٍ طالما ما باتهْ

ضيَّع فيه الحظَّ من ربِّه ... ولم يبالِ الذي فاته

من درجاتٍ ثبتت في العلى ... تحكم في الفردوس إثباته

ومنْ يرُم تلك المعالي غدا ... يطُل إليها اليوم إعناتهْ

[نقلا عن كتاب"التهجد والصلاة" لابن الخراط].

* أخي: يا من قد قيَّد الطرد قدميك، وغلَّ الإبعاد يديك، أما لك عينٌ تبكي عليك؟!!

وفي نظرة الصادي إلى الماء حسرة .... إذا كان ممنوعاً سبيل الموارد.

٩٠ السلف يتقاسمون القيام فيما بينهم

وتقاسم قيام الليل بين أفراد البيت الواحد ، أو الغرفة الواحدة ، وسيلة فعالة في إيقاظ الهمة وإيقاد العزيمة للتهجد والقيام ، ولا عجب في ذلك ، فإن النفس البشرية بطبيعتها تميل إلى التقليد والمحاكاة للآخرين ، وعلاوة على ذلك فإن تقاسم القيام بين أكثر من شخص يخفف من ثقله ووطأته على النفس ، فتُقبل النفس عليه بكل انشراح وارتياح .

* ولقد كانت بيوت سلفنا الأبرار لها دوي بالقرآن طوال الليل ، فما يكاد أحدهم يفرغ من قيامه وصلاته ، حتى يقوم غيره ، وهكذا دواليك حتى يطلع الفجر :

* عن"أبي عثمان النهدي" قال:"تضيَّفتُ (أي نزلتُ ضيفا) أبا هريرة رضي الله عنه سبعاً، فكان هو وامرأته وخادمه يقسمون الليل أثلاثا، يصلي هذا ثم يُوقظ هذا" [رواه ابن حجر بإسناد صحيح كما في "الإصابة في تمييز الصحابة" لابن حجر (٢٠٩/٤)].

* وفي رواية:"أن أبا هريرة كان يقوم ثلث الليل، وتقوم امرأته ثلث الليل، ويقوم ابنه ثلث الليل، إذا نام هذا قام هذا" [نقلا عن كتاب"الزهد" للإمام أحمد].

* كان"الحسن بن علي" رضي الله عنهما يأخذ بنصيبه من القيام في أول الليل، وكان الحسين يأخذ بنصيبه من آخر الليل" [نقلا عن كتاب"الزهد" للإمام أحمد].

* كان"سليمان التيمي" رحمه الله يقول لأهله:هلموا حتى نجزيء الليل!! فإن شئتم كفيتكم أوله، وإن شئتم كفيتكم آخره!! وكان عنده زوجتان فكانو يقتسمون الليل أثلاثا، وكان الناس يتعجبون من صبره على الصلاة" [نقلا عن كتاب" رهبان الليل" للعفاني (٣٧٣/١)].

* كان العبد الصالح" زبيد بن الحارث الأيامي"رحمه الله يقسم الليل بينه وبين ولديه أثلاثا،فيبدأ فهو فيقوم ثلثه، ثم يقوم الولدان الثلثين الباقين، وكان إذا وجد منهما أو من أحدهما كسلا عن القيام قال: نم يا بنيَّ فانا أقوم عنك الليلة!! فيقوم ليلته حتى يُصبح " [نقلا عن كتاب"حلية الأولياء" لأبي نعيم (٣٢/٥)].

* كان"الحسن بن صالح" وأخوه" علي بن صالح" وأمهما عليهم جميعا رحمة الله ، قد جزّأوا الليل ثلاثة أجزاء: فكان "علي" يقوم ثلثا ثم ينام، وكان"الحسن" يقوم ثلثا ثم ينام، وكانت أمهما تقوم ثلثا ثم تنام، فلما ماتت أمهما اقتسما الليل فيما بينهما أنصافا، ثم مات"علي بن صالح" فقام"الحسن بن صالح" الليل كله !! " [راجع كتاب"حلية الأولياء" لأبي نعيم (٣٢٨/٧)].

* جزّأ" محمد بن المنكدر" رحمه الله الليل عليه وعلىأمه وعلى أخته أثلاثا، يقوم كل واحد ثلثه، فماتت أخته ، فجزأه عليه وعلى أمه فماتت أمه فأصبح يقوم الليل كله وحده" [نقلا عن" المستطرف" للأبهيشي].

* عن"وهيب بن الورد" رحمه الله أن داود عليه السلام كان قد جعل ذكر الله نَوْبَاً (أي مناوبات) عليه وعلى أهل بيته ، لا تمر ساعة من الليل إلا وفي بيته مصلٍّ لله وذاكر" [نقلا عنه كتاب"مختصر قيام الليل" للمقريزي].

*قال الحافظ"ابن كثير"رحمه الله عند تفسير قوله تعالى:{اعملوا آل داود شكراً وقليلٌ من عبادي الشكور} [سورة سبأ الآية (١٣)] ما نصه:"عن"ثابت البناني"رحمه الله قال:"كان"داود" عليه السلام قد جزّأ على أهله وولده ونسائه الصلاة، فكان لا يأتي عليهم ساعة من الليل والنهار إلا وإنسان من آل داود قائم يصلي،فغمرتهم هذه الآية:{اعملوا آل داود شكرا} " [نقلا عن كتاب"تفسير ابن كثير (٥٢٨/٣)] .

٩١ إدراك أهمية دقائق الليل والسَّحَر

دقائق الليل والسَّحر لها مذاق خاص، ولها روحانية عجيبة ، وبناء على ذلك فإن لها أهمية خاصة ، تختلف عن بقية الأوقات:

- فوقت الليل هو وقت الادلاج والسير إلى الله تعالى:

* عن"أبي هريرة" رضي الله عنه أن النبي عليه الصلاة والسلام قال:"مَنْ خاف أدلج، ومَنْ أدلج بلغ المترل، ألا إنَّ سلعة الله غالية، إلا إنَّ سلعة الله الجنة" [رواه الترمذي والحاكم

وصححه وأقره على ذلك الذهبي]، وسير الدلجة هو آخر الليل!! والمراد به هنا:العبادة والاجتهاد في الطاعة ، وبه يُقطع سفر الآخرة.

- ووقت السحر هو وقت النزول الإلهي :

*عن"أبي هريرة" رضي الله عنه أن النبيﷺ قال:"ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: مَن يدعوني فاستجيب له؟!! مَن يسألني فأعطيه؟!! مَن يستغفرني فأغفر له؟!! " [رواه البخاري ومسلم].

* قال"الأوزاعي" رحمه الله:" كان السلف إذا صدع الفجر أو قبله بشيء كأنما على رؤوسهم الطير مقبلين على أنفسهم ، حتى لو أنَّ حميماً لأحدهم قد غاب عنه حيناً ثم قدم ما التفت إليه" [نقلا عن كتاب"رهبان الليل" للعفاني (١/٥٢٦)].

*أخي: حتى متى الغفلة؟!! وإلى متى الإعراض؟!!

يا نائماً بالليل كم ترقد ... قم يا حبيبي قد دنا الموعد
وخذ من الليل وأوقاته ... ورداً إذا ما هجع الرُّقَّد
مَن نام حتى ينقضي ليله ... لم يبلغ المنزل أو يجهد

[نقلا عن كتاب" لطائف المعارف" لابن رجب].

* أخي الحبيب: " بأبي الليل ما أطيبه وما أعظم قدره عند الله عزَّ وجلَّ، فقد أقسم به في كتابه الكريم ، والعظيم لا يُقسم إلا بعظيم:{ والليل إذا يغشى}[سورة الليل الآية(١)]، وقال تعالى:{والضحى والليل إذا سجى} [سورة الضحى الآيتان(١،٢)]،، وما أطيب السحر ونسيمه، هذا الوقت المبارك الذي نجّى الله فيه نبيه لوطا عليه الصلاة والسلام فقال:{ إلا آل لوط نجيناهم بسَحَر} [سورة الذاريات الآية(٣٤)] " [نقلا عن كتاب" رهبان الليل" للعفاني (١/٥١٦)].

* قال الأُستاذ"حسن البنا" رحمه الله:"أمامك كل يوم لحظة بالغداة، ولحظة بالعشي، ولحظة في السحر تستطيع أن تسمو فيها كلها بروحك الطهور إلى الملأ فتظفر بخير الدنيا والآخرة، وأمامك مواسم الطاعات وأيام العبادات وليالي القربات التي وجَّهك إليها كتابك الكريم ورسولك العظيم محمدﷺ ، فاحرص أن تكون فيها من الذاكرين لا من

الغافلين، ومن العاملين لا من الهاملين، واغتنم الوقت، فالوقت كالسيف، ودع التسويف فلا أضر منه"[نقلا عن كتاب"الرقائق" للراشد].

* قال الشيخ"شاه ولي الله الدهلوي" رحمه الله مبينا أهمية وقت الليل على سائر الأوقات : "من ضروريات الدين أن هناك أوقاتا يحدث فيها شيء من انتشار الروحانيات في الأرض وسريان قوة مثالية فيها، وليس وقت أقرب لقبول الطاعة واستجابة الدعوات من تلك الأوقات ــ ثم ضرب لها مثلا بالوقت من نصف الليل إلى السحر ــ ففي تلك الأوقات وقبلها بقليل وبعدها بقليل تنتشر الروحانية وتظهر البركة ،وليست في الأرض ملة إلا وهي تعلم أن هذه الأوقات أقرب شيء من قبول الطاعات" [نقلا عن كتاب" حجة الله البالغة" للدهلوي (٩٨/١)].

* قال"عاصم بن أبي النجود" رحمه الله:" ادركتُ اقواما كانوا يتخذون هذا الليل جملا".

وإذا كانت هذه المزايا لدقائق الليل، فإن لليل الشتاء مزايا خاصة ، وسمات متميزة :

* عن"أبي سعيد الخدري" رضي الله عنه أن النبيﷺ قال:"الشتاء ربيع المؤمن ، طال ليله فقام ، وقصر نهاره فصام" [رواه أبو يعلى الموصلي والعسكري وأحمد في المسند،والحديث حسَّن إسناده"الهيثمي" في"مجمع الزوائد"(٢٠٠/٣)،والحديث ضعفه "الألباني" في" ضعيف الجامع" برقم (٣٤٢٩)].

* قال الحافظ"ابن رجب" تعقيبا على الحديث المتقدم:"لأنه يرتع فيه في بساتين الطاعات ويسرح في ميادين العبادات، ويُنزه قلبه في رياض الأعمال الميسرة فيه، كما ترتع البهائم في مرعى الربيع فتسمن وتصلح أجسادها، فكذلك يصلح دين المؤمن في الشتاء بما ييسر الله فيه من الطاعات، فإن المؤمن يقدر في الشتاء على صيام نهاره من غير مشقة ولا كلفة تحصل له من جوع ولا عطش، فإن نهاره قصير بارد فلا يحس فيه بمشقة الصيام.

أما قيام ليل الشتاء فلطوله يمكن أن تأخذ النفس حظها من النوم ثم تقوم بعد ذلك إلى الصلاة فيقرأ المصلي ورده كله من القرآن وقد أخذت النفس حظها من النوم ، فيجتمع له فيه نومه المحتاج إليه مع إدراك ورده من القرآن فيكمل له مصلحة دينه وراحة بدنه،

بخلاف ليل الصيف فإنه لقصره وحره يغلب النوم فيه، فلا تكاد تأخذ النفس حظها بدون نومه كله، فيحتاج القيام فيه إلى مجاهدة، وقد لا يتمكن فيه لقصره من الفراغ من ورده من القرآن" [نقلا عن كتاب" لطائف المعارف" لابن رجب].

* قال"عمر بن الخطاب" رضي الله عنه:" الشتاء غنيمة العابدين" [نقلا عن كتاب" الحلية" لأبي نعيم (١/٥١)].

* قال"ابن مسعود" رضي الله عنه:" مرحبا بالشتاء تنزل فيه البركة ويطول فيه الليل للقيام ، ويقصر فيه النهار للصيام" [نقلا عن كتاب" لطائف المعارف" لابن رجب].

* قال"قتادة"رحمه الله:" الملائكة تفرح بالشتاء للمؤمن، يقصر النهار فيصومه ويطول الليل فيقومه" [نقلا عن نفس المصدر السابق].

* كان"عبيد بن عمير الليثي" رحمه الله إذا جاء الشتاء يقول:"يا أهل القرآن: قد طال الليل لصلاتكم، وقصرالنهار لصومكم ، فإن أعياكم الليل أن تُكابدوه، وخفتم العدو أن تُجاهدوه، وبخلتم بالمال أن تنفقوه فأكثروا من ذكر الله عزَّ وجلَّ " [نقلا عن كتاب" لطائف المعارف" لابن رجب].

* قال"الحسن البصري"رحمه الله:"نعم زمان المؤمن الشتاء:ليله طويل فيقومه، ونهاره قصير فيصومه" [نقلا عن نفس المصدر السابق].

* أيها الحبيب:قف في السحر على أقدام الذل وقل:" يا أيها العزيز مسَّنا وأهلنا الضر" .

* إخواني: لو قام المذنبون في الأسحار إلى مولاهم ، وتركوا النوم ومالوا إلى الاستغفار، واشتاقوا إلى موقف نافع وابن عمر"أسحرنا يا نافع؟!!" لرقَّت منهم القلوب، وحنَّت إلى أيام الصالحين من سلفنا .

٩٢ معرفة أنَّ القيام سببٌ لطرد الأمراض عن البدن

وعلاوة على كون قيام الليل شفاء من أمراض القلوب ، وأدران المعاصي والذنوب ، فهو كذلك شفاء بإذن الله لأمراض الأبدان ، فالقيام سبب لطرد الأمراض

عن البدن ، ووقاية وحماية للجسم من الأسقام والأدواء بإذن الله :

* عن"أبي أمامة الباهلي"رضي الله عنه قال:قال الرسول ﷺ:" عليكم بقيام الليل؛ فإنه دأب الصالحين قبلكم، وقربة إلى الله تعالى، ومنهاة عن الإثم ، وتكفير للسيئات ، ومَطرَدة للداء عن الجسد" [وقد تقدم تخريجه في الطريقة رقم (٤٩)].

* قال"شمر":" أخذ بيدي"أبو عبد الرحمن السلمي" رحمه الله فقال لي: كيف قوتك في الصلاة؟! فذكرتُ ما شاء الله ان أذكره، فقال"أبو عبد الرحمن":كنتُ وأنا مثلك (أي في سن الشباب) أُصلي العشاء ثم أقوم أُصلي(أي من الليل)، فإذا أنا حين أُصلي الفجر أنشط مني أول ما بدأت!! (أي أول ما بدأت في قيام الليل!!) " [نقلا عن كتاب"حلية الأولياء" لأبي نعيم (١٩٢/٤)]

* قال"أبو عثمان الخراساني" رحمه الله:"قيام الليل محياة البدن (أي فيه حياة وقوة للبدن)، ونورٌ في القلب، وضياءٌ في البصر، وقوةٌ في الجوارح" [نقلا عن كتاب"مختصر قيام الليل" للمقريزي] .

* عُقد في "القاهرة" قبل سنوات مؤتمر بعنوان"الإعجاز الطبي في القرآن الكريم" وشارك في المؤتمر مجموعة من الهيئات واللجان الإسلامية والطبية المتخصصة، وفي هذا المؤتمر قدم أحد المشاركين في المؤتمر بحثاً بعنوان"صلاة الترأويح وأثرها على مرونة العمود الفقري والكفاءة الوظيفية للقلب بعد سن الستين " حيث قام بإجراء دراسة على عينة مكونة من ستين رجلا وامرأة، مقسمين إلى ثلاثين ممن قاموا بتأدية صلاة التراويح (أي قيام الليل في رمضان) في شهر رمضان عام ١٤٠٥ هـ ، وثلاثين من المصلين الذين لم يصلوا التراويح في ذلك العام، وقد أجريت لهذه العينة اختبارات لمعرفة درجة كفاءة ومرونة العمود الفقري وكذلك كفاءة وظائف القلب،..... .

وكانت النتيجة العجيبة هي أن الصلاة عموما وقيام الليل (التراويح) خصوصا له دور كبير في تنشيط الجهاز الدوري الدموي، والجهاز التنفسي، ولها (أي الصلاة) دور كبير في تليين المفاصل والعظام وخاصة عظام العمود الفقري، حيث ظهر من خلال الدراسة أن هناك فروقا كبيرة بين المصلين لصلاة التراويح وغير المصلين لها في درجة مرونة العمود الفقري وفي كفاءة الوظائف القلبية عند الإنسان،..." [نقلا عن"مجلة "الاعتصام" العددان الرابع

والخامس لعام ١٤٠٦ هـ، بواسطة كتاب" رهبان الليل" للعفاني (١/١٧٥)] .

* بل لقد ثبت بالبحث الطبي الدقيق أن السهر يُساعد على الشفاء من كثير من الأمراض، وذلك أن المخ يفرز مادة تسمى"الأندروفين" التي تُسكّن الألم، ونتيجة الأبحاث الطبية المتواصلة تبين للأطباء أن إفراز المخ لمادة"الأندروفين" المسكنة للألم يكون في حال اليقظة والسهر أكبر بكثير من حال النوم،فإذا كان هذا هو أثر السهر العادي في تسكين الألم فقل لي بربك: كيف سيكون أثر السهر في طاعة الله ـ صلاة وتعبدا ومناجلة ـ في تسكين الآلام القلبية والجسدية؟!! .

*أخي:" يا غافلا في بطالته، يا من لايُفيق من سكرته، أين ندمك على ذنوبك، أين حسرتك على عيوبك، إلى متى تؤذي بالذنب نفسك، وتضيع يومك تضييع أمسك، لا مع الصادقين لك قدم، ولا مع التائبين لك ندم،هلا بسطت في الدجى يداً سائلة، وأجريت في السحر دموعا سائلة" [نقلا عن كتاب" التبصرة" لابن الجوزي (١/١٧٦)].

٩٣ التدرُّج في طول القيام وعدد ركعاته

ومما يُعين على القيام ـ وخاصة للشخص الذي لم يتعود على القيام والتهجد من قبل ـ أن يتدرج المبتديء في القيام قليلا قليلا ،وهذا التدرج والتنقل له عدة مجالات منها:

أ ـ تدرج في وقت القيام: ففي البداية يصلي القيام بعد صلاة العشاء ثم ينام ،ولا سيما إنْ غلب على ظنه أنه لن يقوم في آخر الليل ، ثم بعد فترة إذا شعر بلذة القيام وزيادة الإيمان صلي القيام عند منتصف الليل ثم نام إلى الفجر ، ثم بعد فترة إذا ارتقى إيمانه وسمت همته صلي القيام في الثلث الأخير من الليل ،وهو وقت النزول الإلهي.

* عن "عائشة"رضي الله عنها قالت:" من كل الليل قد أوتر النبيﷺ ، فانتهى وتره إلى السحر" [متفق عليه].

* وعن أنس" رضي الله عنه قال:" وكان (أي النبيﷺ) لا تشاء أن تراه من الليل مصليا إلا رأيته ولا نائما إلا رأيته " [رواه البخاري].

* قال"ابن حجر" تعليقا على الحديث السابق:" أي أن صلاته ونومه كان يختلف بالليل ، ولا يرتب وقتا معينا بل بحسب ما تيسر له القيام " [نقلا عن كتاب" فتح الباري" لابن حجر (٢٣/٣)].

ب ــ تدرج في عدد ركعات القيام: ففي البداية يمكن أن يكتفي من القيام بركعتين ثم يوتر ، وبعد فترة تصبح الركعتان أربع ركعات ، وبعد فترة يزيد الكمية ، فتصبح الأربع ثمان ، وهكذا دواليك .

* عن"أبي هريرة" و"أبي سعيد" رضي الله عنهما أن النبيﷺ قال:"من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته فصليا ركعتين جميعا، كُتبا ليلتئذ من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات" [رواه أبو داود والحاكم وابن حبان وصححه، والحديث صححه الألباني" في"صحيح الجامع" برقم (٥٩٠٦)].

ج ــ تدرج في طول القيام : ففي البداية مثلا يقرأ في كل ركعة بعشر أو عشرين آية، ثم بعد فترة يزيد كمية المقروء فيقرأ في الركعة بالأربعين آية مثلا ، ثم بعد فترة يزيد الكمية فيقرأ في الركعة بثُمُن الحزب ، ثم بربع الحزب ، ثم بنصف الحزب ، ثم بالحزب كاملا ، وهكذا يترقى في القيام ويزيد الكمية بالتدريج.

* عن"ابن عباس"رضي الله عنهما قال: ذكرتُ القيام، فقال بعضهم: إن النبيﷺ قال: "نصفه ، ثلثه، ربعه، فواق حلب ناقة (هو قدر ما بين رفع يدك عن الضرع وقت الحلب وضمها)، فواق حلب شاة" [ذكره الهيثمي" في " مجمع الزوائد" وقال: رجاله رجال الصحيح،والحديث صححه"الألباني" في" صحيح الترغيب والترهيب" برقم (٦٢٣)].

*عن" عبد الله بن عمرو بن العاص"رضي الله عنهما: أن النبيﷺ قال:"من قام بعشر آيات لم يُكتب من الغافلين، ومن قام بمئة آية كُتب من القانتين، ومن قام بألف آية كُتب من المقنطرين (أي ممن كُتب له قنطار من الأجر والثواب)" [رواه أبو داود وابن خزيمة في صحيحه، وصححه"الألباني" في" السلسلة الصحيحة" برقم (٦٤٢)].

* عن"فضالة بن عبيد" و"تميم الداري" رضي الله عنهما أن النبيﷺ قال:" من قرأ عشر آيات في ليلة كُتب له قنطار (أي من الأجر) والقنطار خير من الدنيا وما فيها ، فإذا كان يوم القيامة يقول ربك عزَّ وجلّ:اقرأ وارقَ بكل آية درجة، حتى ينتهي إلى آخر آية معه، يقول الله عزَّ وجلَّ للعبد: اقبض!! فيقول العبد بيده: يا ربِّ !! أنت أعلم ، فيقول الله:بهذه الخلد وبهذه النعيم (أي اقبض يمينك على الخلد وشمالك على النعيم)" [رواه الطبراني في"المعجم الكبير والأوسط، والحديث حسنه الألباني في"صحيح الترغيب والترهيب" برقم (٦٣٤)].

* عن"تميم الداري" رضي الله عنه أن النبيﷺ قال:"من قرأ بمائة آية في ليلة كُتب له قنوت ليلة (أي عبادتها)" [رواه أحمد والنسائي، وصححه الحافظ العراقي، كما صححه الألباني في"السلسلة الصحيحة" برقم (٦٤٤)].

* قال" محمد بن سيرين"رحمه الله:" لا بدَّ من قيامٍ ولو قدر حلبِ شاة" [نقلا عن كتاب" الزهد" للإمام أحمد].

٩٤ السلف يُحافظون على القيام حتى وهم مرضى

لقد بلغ من حرص السلف الأبرار على القيام ، واجتهادهم فيه ، أنه كانوا لا يتركونه حتى وهم يُعانون آلام المرض وكرباته ، فيا لله ما أعظم تلك الهمم؟!! .

*قال"محمد بن إسحاق":" قدم علينا"عبد الرحمن بن الأسود" رحمه الله ،وهو معتل الرِّجْل ، فقام يصلي من الليل حتى أصبح!! شاغرا رجله قائما على رجل (أي بسبب المرض) ، وصلى بنا العشاء والفجر بوضوء واحد " [نقلا عن كتاب"مختصر قيام الليل" للمقريزي ، ص٢٨].

*لما وقعت الآكلة (وهي داء اشبه بالسرطان يستدعي قطع العضو المصاب وبتره) في رجل"عروة بن الزبير" رحمه الله، وأشار عليه الأطباء بقطعها فقُطعت وأُغميَ على"عروة" بعد قطعها ، لكنه لم يدع قيام الليل في تلك الليلة !!" [وراجع القصة في كتاب"الزهد" للإمام أحمد].

٩٥ معرفة أنَّ الملائكة تستمع لمن يُصلي بالليل

وحين تعلم ايها الحبيب أن الملائكة الكرام عليهم السلام ، يستمعون لمن يقوم الليل ، ويُنصتون لقراءته ، فإن ذلك بلا شك يزيدك تحمسا للقيام وحرصا عليه ، لتنال هذه الكرامة العظيمة ، والمنحة الجسيمة .

* عن"أبي سعيد الخدري" رضي الله عنه أن"أُسيد بن الحضير" رضي الله عنه بينما هو ذات ليلة يقرأ سورة البقرة (أي في قيام الليل) في مِربده (وهو مكان تيبيس التمر ونحوه) ، إذ جالت فرسه(أي اضطربت وتحركت)، فقرأ ثم جالت أخرى، فقرأ ثم جالت أيضاً الثالثة، قال"أسيد": فخشيتُ ان تطأ ولدي "يحي" فقمتُ إليها فإذا مثل الظُلّة فوق رأسي فيها أمثال السُرُج عرجت في الجو حتى ما أراها، قال: فغدوتُ على رسول الله ﷺ ، فقلت: يا رسول الله بينا أنا البارحة من جوف الليل أقرأ في مربدي إذ جالت فرسي، فقال عليه الصلاة والسلام:" اقرأ ابن حضير"، قال: فقرأتُ ثم جالت أيضاً!! فقال عليه الصلاة والسلام:اقرأ ابن حضير"، قال: فانصرفتُ وكان ابني"يحي" قريبا منها(أي من الفرس) فخشيت أن تطأه، فرأيت مثل الظلة فيها أمثال السرج عرجت (أي علت وارتفعت) في الجو حتى ما أراها، فقال عليه الصلاة والسلام:" تلك الملائكة كانت تستمع لك، ولو قرأتَ (أي واصلت القراءة والصلاة) لأصبحتْ يراها الناس ما تستتر منهم!!"وفي رواية قال:"اقرأ فلان فإنها السكينة..." [متفق عليه].

* قال"النووي" تعليقا على هذا الحديث:"قوله"إقرأ فلان فإنها السكينة..." معناه : كان ينبغي أن تستمر على القرآن وتغتنم ما حصل لك من نزول السكينة والملائكة وتستكثر من القراءة التي هي سبب بقائها، وفي هذا الحديث فضيلة القراءة ليلا، وانها سبب لنزول الرحمة وحضور الملائكة" [نقلا عن"شرح مسلم" للنووي].

* وقال"الحافظ"ابن حجر" تعليقا على هذا الحديث:" في هذا الحديث منقبة للصحابي الجليل،وفضل قراءة سورةالبقرة في صلاة الليل ، وفضل الخشوع في الصلاة ، وأن

التشاغل بشيء من أمور الدنيا ولو كان من المباح قد يفوِّت الخير الكثير، فكيف لو كان بغير الأمر المباح؟!! " [نقلا عن كتاب" فتح الباري" لابن حجر (٦٤/٩)].

* أخي:" انَّى للكلمات أن تصور هذا المشهد النديّ واستغراق الملائكة للإستماع في الليل لمزمار داود (أي أسيد بن الحضير) يتهجد في ليله ويقرأ القرآن وكأنه رسائل من فوق العرش ، ولو استمر تاليا ما اختفت !! مثل هذا لا يكون إلا لمثل أصحاب محمد رسول الله ﷺ ، جيل العبادة وشموس الهدى أو من سار على دربهم " [نقلا عن كتاب" رهبان الليل" للعفاني (٣٣١/١)].

* وقد أخرج أبو داود في سننه من طريق مرسلة كما قال الحافظ "ابن حجر" في فتح الباري" (٦٧٥/٨) :

*قيل للنبي صلى الله عليه وسلم: ألم ترَ ثابت بن قيس" رضي الله عنه لم تزل داره البارحة تُزهر بمصابيح!! فقال عليه الصلاة والسلام:فلعله قرأ سورة البقرة ، فسئل ثابت عن ذلك فقال:قرأت سورة البقرة!! (أي في قيام الليل) " .

* وعن"علي بن أبي طالب" رضي الله عنه قال قال الرسول ﷺ:"إن العبد إذا تسوَّك ثم قام يصلي، قام المَلَك خلفه، فسمع لقرءاته، فيدنو منه ــ أو قال كلمة نحوها ــ حتى يضع فاه على فيه، وما يخرج من فيه شيء من القرآن إلا صار في جوف الملك ، فطهروا أفواهكم للقرآن" [رواه"البزار" في"مسنده" وقال"المنذري":إسناده جيد ، لا بأس به، وجوّد إسناده "الألباني" كما في"السلسلة الصحيحة"برقم (١٢١٣)].

* وعن"جابر بن عبدالله "رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال:"إذا قام أحدكم يصلي من الليل فليستك ، فإن أحدكم إذا قرأ في صلاته وضع ملَكٌ فاهُ على فيهِ ، ولا يخرج من فيه شيء إلا دخل فم المَلَك" [رواه البيهقي في"شعب الإيمان"، والمقدسي في"المختارة"، وصححه"الألباني" في" صحيح الجامع" برقم (٧٣٣)].

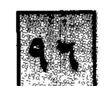
* وعن"عبادة بن الصامت" رضي الله عنه قال:"إذا قام أحدكم من الليل فليجهر بقراءته فإنه يطرد بجهر قراءته الشياطين وفسَّاق الجن ، وإن الملائكة الذين هم في الهواء وسكان

الدار(أي من مسلمي الجن) يستمعون لقراءته ويصلون بصلاته ،فإذا مضت هذه الليلة أوصت الليلة المستأنفة فتقول: نبهيه لساعته وكوني عليه خفيفة!! " [نقلا عن كتاب"مختصر قيام الليل"للمقريزي].

* وقال"محمد بن قيس" رحمه الله:" بلغني أن العبد إذا قام من الليل للصلاة تناثر عليه البرُّ من عنان السماء إلى مفرق رأسه، وهبطت عليه الملائكة لتستمع إلى قراءته، واستمع له عمَّارُ داره (أي من الجنِّ المسلمين)، وسكان الهواء ، فإذا فرغ من صلاته وجلس للدعاء أحاطت به الملائكة تؤمِّنُ على دعائه ، فإن هو اضطجع بعد ذلك (أي بعد قيامه لليل) نودي: نم قرير العين مسرورا،...، نم خير نائم على خير عمل" [نقلا عن كتاب" مختصر قيام الليل" للمقريزي].

* وعن"طلحة بن مصرف" رحمه الله قال:" بلغني أن العبد إذا قام من الليل للتهجد ناداه ملكان:طوباك!! سلكتَ منهاج العابدين قبلك " [نقلا عن كتاب" رهبان الليل" للعفاني (١/٥٢٦)].

* وقال"كعب الأحبار" رحمه الله:"إن الملائكة ينظرون من السماء إلى الذين يتهجدون بالليل كما تنظرون أنتم إلى نجوم السماء!! " [نقلا عن كتاب" صفة الصفوة" لابن الجوزي (٤/٢٠٥)].



٩٦ إدراك أنَّ القيام تربيةٌ للنفس على الإخلاص

وخصلةٌ أخرى تزيدك تحمسا للقيام ، وتشوقا للوقوف بين يدي ذي الجلال والإكرام ، الا وهي أن تعلم أن قيام الليل ، مدرسة إيمانية تتربى فيها النفس على الاخلاص لرب البرية ، وتتعلم من خلالها الصدق في النية والطويَّة ، فإن القيام غالبا ما يكون في خلوة بعيدا عن أنظار الناس ، والمرائي لا يعمل ولا يتعبد إلا حيث يراه الناس :

- وقد قرر النبيﷺ لنا هذه الحقيقة في أحاديث منها:

* عن"أبي هريرة" رضي الله عنه أن النبيﷺ قال:"من صلى في ليلة بمائة آية لم يُكتب من الغافلين، ومن صلى في ليلة بمائتي آية فإنه يُكتب من القانتين المخلصين" [رواه الحاكم في" المستدرك" وقال: صحيح على شرط مسلم، وأقره على ذلك الذهبي].

* قال"قتادة بن دعامة السدوسي":"قلّما سهر الليل منافق" [نقلا عن" حلية الأولياء" لأبي نعيم (٣٣٨/٢)]، ووجه ذلك ظاهر في أنه إذا كانت صلاة العشاء ثقيلة على المنافقين كما ثبت ذلك في الصحيحين عن النبيﷺ فما بالك بالقيام في جوف الليل الآخر؟!! إنه لأشد عليهم وأثقل، ولهذا لا يُوفّق للقيام إلا مخلص متجرد قد سلم قلبه من النفاق.

وكذلك فإن قيام الليل عمل سر لا يراك فيه أحد ، ولا يطلع عليك إلا الواحد الأحد:

* قال"عبدالله بن مسعود" رضي الله عنه:"فضل صلاة الليل على صلاة النهار كفضل صدقة السرِّ على صدقة العلانية" [نقلا عن كتاب" حلية الأولياء" لأبي نعيم (١/١٣٠) وكتاب"الزهد" لابن المبارك] ، وصدقة السر تفضل بسبعين ضعفا على صدقة العلانية وهكذا الصلاة.

* قال الأُستاذ" وليد الأعظمي" واصفا أثر قيام الليل في الإخلاص:

يا ليلُ قيامكَ مدرسةٌ .... فيها القرآنُ يُدرِّسني
معنى الإخلاص فألزمهُ .... نهجاً بالجنَّة يُجلسني
ويُبصِّرني كيف الدنيا .... بالأمل الكاذب تغمسني
فأشدُّ القلب بخالقه .... والذكر الدائم يحرسني

[نقلا عن كتاب "الرقائق" للراشد].

٩٧ السلف يُربُّون زوجاتهم وأمهاتهم على القيام

لقد بلغ من أهمية القيام عند السلف الأبرار ، أنهم كانوا يربون زوجاتهم وأمهاتهم على التهجد والقيام ، حرصا على مشاركتهم لهم في الخير ، وقياما بواجب القوامة والرعاية للأسرة ، ونشرا لهذه الشعيرة في المجتمع المسلم:

* عن"محمد بن طلحة بن مصرف" قال: كان أبي رحمه الله يأمر نساءه وخدمه وبناته بقيام الليل، ويقول:صلوا ولو ركعتين في جوف الليل!! فإن الصلاة في جوف الليل تحط

الأوزار ، وهي من أشرف أعمال الصالحين" [نقلا عن كتاب" مختصر قيام الليل" للمقريزي].

* كانت"عصمت الدين خاتون بنت الأتابك معين الدين" وزوجة العبد الصالح" نور الدين زنكي" رحمه الله تُكثر القيام من الليل، فنامت ذات ليلة عن وردها ، فأصبحت وهي غضبى فسألها نور الدين عن أمرها فذكرت نومها الذي فوَّت عليها وردها، فأمر نور الدين عند ذلك بضرب طبلخانة في القلعة وقت السحر لتُوقظ النائم ذلك الوقت لقيام الليل، وأعطى الضارب على الطبلخانة أجرا جزيلا وجراية كثيرة" [نقلا عن كتاب"البداية والنهاية" لابن كثير (٢٧٩/١٢)].

* قال الحافظ"ابن حجر" وهو يترجم للإمام"نور الدين الهيثمي" رحمه الله:" وكان(أي الهيثمي) قد تزوج إبنة الشيخ (أي ابنة الحافظ العراقي) ورُزق منها بأولاد، وقد عاشرهما مدة فلم أرهما يتركان قيام الليل" [نقلا عن نفس المصدر السابق].

* كان"بشر بن سعد" رحمه الله يُوقظ أهله لقيام الليل ويقول لهم:الصلاة الصلاة!! وكان يقول: إن السفر لا يُقطع إلا بدُلج الليل!! وإن الدنيا سفر ونصب وتعب ، حتى يُفضي العبد إلى رحمة الله تعالى" [نقلا عن كتاب"الصلاة والتهجد"لابن الخراط].

* أخي:"تشبَّه بالصالحين تُعدُّ في الجملة ،..،لو سرتَ في حزب المتهجدين خطوات لعرفوا لك حق الصحبة ، يا من كان لهم رفيقا فأصبح لا يعرف لهم طريقا !! اطلب اليوم أخبارهم واتبع في السلوك آثارهم ، فإن لقيت بعضهم فربما حملك إلى أرضهم .

٩٨ معرفة أنَّ القيام كان مشروعا حتى في الأمم السابقة

ومما يدلك أيها الحبيب على أهمية قيام الليل، ويبرز لك فضيلة التهجد ، أن تعلم أن مشروعية قيام الليل ليست مقصورة على هذه الأمة المحمدية فحسب ، بل لقد كان القيام مشروعا في الأمم السابقة ، لأهميته وعظيم مكانته عند الله ، فهو مما اتفقت عليه الشرائع :

* عن"بلال"رضي الله عنه أن النبيﷺ قال:"عليكم بقيام الليل، فإنه دأب الصالحين قبلكم، وهو قربةٌ إلى ربكم، ومكفرة للسيئات، ومنهاة عن الإثم" [رواه"الترمذي والحاكم في"المستدرك" وصححه على شرط البخاري ووافقه "الذهبي"، وحسنه الحافظ العراقي ،والحديث حسنه "الألباني" كما في"إرواء الغليل" برقم (٤٥٢)] .

* قال"المناوي" رحمه الله معقبا على الحديث:"قوله"قبلكم" أي هي عادة قديمة واظب عليها الكُمَّل السابقون، واجتهدوا في إحراز فضلها،..." [نقلا عن كتاب"فيض القدير" للمناوي (٣٥١/٤)] .

* عن"عبد الله بن عمرو" رضي الله عنهما أن النبيﷺ قال:" أحب الصلاة إلى الله صلاة داود، وأحب الصيام إلى الله صيام داود، كان ينام نصف الليل، ويقوم ثلثه، وينام سدسه ، ويصوم يوما ويفطر يوما" [متفق عليه].

* قال"عيسى بن مريم" عليه السلام:"إن هذا الليل والنهار خزانتان، فانظروا ما تضعون فيهما، اعملوا الليل لما خُلقَ له (أي للعبادة والصلاة)، واعملوا النهار لما خُلق له (أي طلب الرزق والمعاش) " [نقلا عن كتاب"رهبان الليل" للعفاني (٣٠٢/١)].

* قال"ابن عباس" رضي الله عنهما في وصف"عيسى بن مريم" عليه السلام:".. وكان أينما أدركه الليل صفن بين قدميه وقام يصلي حتى يُصبح" [نقلا عن كتاب"البداية والنهاية" لابن كثير (١٦/٢)] .

* عن"ثابت البناني"رحمه الله قال:"كان"داود" عليه السلام قد جزَّأ على أهله وولده ونسائه الصلاة، فكان لا يأتي عليهم ساعة من الليل والنهار إلا وإنسان من آل دود قائم يصلي،فغمرهم هذه الآية:{اعملوا آل داود شكرا} "[نقلا عن كتاب"تفسير ابن كثير (٥٢٨/٣)] .

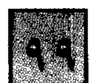
* عن"مجاهد" رحمه الله قال:" لما نزلت: {اعملوا آل داود شكرا} قال"دود" لابنه "سليمان" عليهما الصلاة والسلام:إن الله قد ذكر الشكر،فاكفني قيام النهار وأكفيك قيام الليل!! قال: لا أستطيع، قال:فاكفني إلى صلاة الظهر (أي صلِّ فقط إلى صلاة الظهر وأنا أُصلي باقي الليل والنهار) فكفاه!!"وعن"ابن شبرمة" قال: لما نزلت:{اعملوا آل داود شكرا} اعتقبوا الليل فكنت لا ترى منهم إلا مصلياً" [نقلا عن كتاب" رهبان الليل" للعفاني (٣٠٥/١)] .

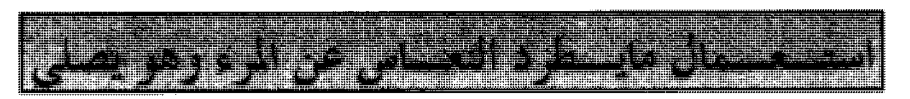
* قال"ابن عباس" رضي الله عنهما:"كانت لداود عليه السلام ركعة من الليل يبكي فيها نفسه، ويبكي ببكائه كل شيء، ويصرف بصوته الهموم والأحزان" [نقلا عن كتاب"البداية والنهاية" لابن كثير (١٦/٢)].

* عن"جابر بن عبد الله" رضي الله عنما قال:قال الرسولﷺ:" قالت أم "سليمان بن داود" لسليمان :يا بُنيَّ لا تكثر النوم بالليل،فإن كثرة النوم بالليل تترك الرجل فقيراً (أي من الحسنات) يوم القيامة" [رواه"ابن ماجة والبيهقي"، وقال"الهيثمي" في"مجمع الزوائد"(٨٠/٢):وفي إسناده احتمال للتحسين، وقال"الحافظ "ابن حجر"فيه "الفضل بن عيسى الرقاشي" وقد أجمعوا على ضعفه"] .

*عن"وهيب بن الورد" رحمه الله:أن الشيطان تبدى"ليحي بن زكريا" عليهما الصلاة والسلام،.... فقال له"يحي":"هل قدرت مني على شيء؟! (أي هل أوقعتني في معصية لله أو غفلة عن طاعته؟!!)قال:لا إلا مرة واحدة، فإنك قدَّمتَ طعاما تأكله فلم أزل أُشهيه إليك حتى أكلتَ منه أكثر مما تريد، فنمتَ تلك الليلة فلم تقم إلى الصلاة كما كنت تقوم إليها!!.." [نقلا عن كتاب"مختصر قيام الليل" للمقريزي] .

* قال"الفضيل بن عياض" رحمه الله:"كان يُقال: من أخلاق الأنبياء والأصفياء الأخيار الطاهرة قلوبهم، خلائق ثلاثة:الحلم والإنابة وحظٌ من قيام الليل" [نقلا عن كتاب"حلية الأولياء" لأبي نعيم (٩٥/٨)] .





في كثير من الأحيان يستيقظ المرء للقيام ، ثم يتوضأ ويبدأ في صلاته ، ولكنه تغلبه عينه فينام وهو يُصلي ، فيفوته بذلك خير عظيم وثواب جزيل ، وقد يُصاب بالإحباط فيدع القيام بالكلية وهذه خسارة عظيمة ، ورزية جسيمة.

والمتعين في مثل هذه الحالة أن يتبع المصلي بعض الأساليب والطرق التي تطرد عنه النعاس وهو في صلاته ، ومنها:

أ ـــ يجعل بجواره قدحا فيه ماء ، فكلما نعس أو تكاسل ، مسح وجهه بالماء ليطرد عنه

النوم ، وليكون أنشط له على القيام ، ويمكنه كذلك أن يتوضأ مرة أخرى .

* كان"بلال بن سعد" رحمه الله يقوم من الليل فإذا نعس في صلاته ألقى بنفسه في بركة ماء قريبة منه ويقول: إن ماء البركة أهون من عذاب جهنم" [نقلا عن كتاب" البداية والنهاية" لابن كثير (٩/٣٤٨)].

* قال"الهيثم بن جماز":كانت لي امرأة لا تنام بالليل (أي تصلي طوال الليل)، وكنت لا أصبر معها على السهر، فكنت إذا نعست ترش عليَّ الماء وأنا في أثقل ما أكون من النوم وتنبهني برجلها وتقول لي: أما تستحي من الله!! إلى كم هذا الغطيط؟!!قال"الهيثم":فوالله إنْ كنتُ لأستحي مما تصنع! (أي من اجتهادها وكسلي)"[نقلا عن كتاب"صفة الصفوة" لابن الجوزي ، ج٤].

* كان"الحكم بن أبان" رحمه الله يصلي ما شاء الله من الليل ، فإذا غلبه النوم ألقى بنفسه في البحر وقال:" أُسبِّح الله مع الحيتان" [نقلا عن" الحلية" لأبي نعيم (١٩/١٤١)].

ب ــ يمكن للمرء إذا أحسَّ بالنعاس وهو في صلاته،أن يتمها خفيفة، ثم يتجول ويتمشى في أرجاء البيت أو في حديقة المترل لفترة قصيرة، أو ينتقل من غرفة لأخرى ، أو يقف بجوار النافذة قليلا ليستنشق الهواء العليل ليطرد عنه النعاس .

* كان"سفيان الثوري" رحمه الله يخرج يدور بالليل وينضح في عينيه الماء حتى يذهب عنه النعاس" [نقلا عن كتاب"الحلية" لأبي نعيم (٧/٥٩)].

* كانت الأمة الصالحة" معاذة العدوية" رحمها الله تقوم الليل وتناجي ربها، فإذ غلبها النوم وهي تصلي قامت فجالت في الدار وهي تقول:" يا نفسُ: النوم أمامك!! لو قدمتِ (أي على القبور) لطالت رقدتك في القبور على حسرة أو سرور!! " [نقلا عن كتاب" صفة الصفوة" لابن الجوزي (٤/٢٣)].

ج ــ اختيار المكان المناسب للصلاة الذي لا يجلب النوم :

* كان"صفوان بن سليم" رحمه الله يصلي في الشتاء على السطح ، وفي الصيف في بطن البيت، يتيقظ بالحر والبرد حتى يُصبح، ثم يقول: هذاالجهد من صفوان وأنت أعلم، وكانت رجلاه تتورمان من قيام الليل حتى تعودا مثل السفط !! "

[نقلا عن كتاب " كتاب"حلية الأولياء" لأبي نعيم (٣/١٥٩)].

ولقد كان لبعض السلف الأبرار أساليب طريفة وعجيبة في طرد النعاس عنهم إذا قاموا للصلاة بالليل :

* قال"نافع القاريء" :" كان "أبو جعفر القاريء" رحمه الله يقوم الليل، فإذا قرأ ينعس، فكان يقول لأهله:ضعوا الحصى بين أصابعي وضمُّوها (أي لكي يطرد النوم عنه وهو يصلي)، فكانوا يفعلون ذلك والنوم يغلبه، فقال: إذا أنا نمتُ (أي وانا في الصلاة) فمُدُّوا (أي اسحبوا وشدوا) خصلة من لحيتي (أي لأنتبه من نعاسي) " [نقلا عن كتاب"سير أعلام النبلاء"للذهبي (٥/٢٨٥)].

* وكان الحافظ"أبو عمر محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي" رحمه الله إذا قام يصلي من الليل فنعس في صلاته، ضرب على رجليه بقضيب حتى يطير النعاس!! " [نقلا عن كتاب" سير أعلام النبلاء" للذهبي (٢٢/٧)].

١٠٠ معرفة كيف كان السلف يُربون أبناءهم على القيام

تربية الأبناء ليست بكثرة الطعام والشراب واللباس والمساكن ، ولكنَّ التربية الحقة هي حثهم على التزام أوامر الله ، وتحذيرهم من اقتراف محارمه ، ومتابعتهم في ذلك ، وتعويدهم على الطاعات ، ومن ذلك قيام الليل :

* كان العبد الصالح" سليمان التيمي" رحمه الله هو وابنه يدوران بالليل في المساجد، فيصليان في هذا المسجد مرة، وفي هذا المسجد مرة ، حتى يُصبحا!!" [نقلا عن كتاب"سير أعلام النبلاء" للذهبي (٦/١٩٥)].

* كان العبد الصالح" زبيد بن الحارث الأيامي"رحمه الله يقسم الليل بينه وبين ولديه أثلاثا،فيبدأ هو فيقوم ثلثه، ثم يقوم الولدان الثلثين الباقين، وكان إذا وجد منهما أو من أحدهما كسلا عن القيام قال: نم يا بنيَّ فانا أقوم عنك الليلة!! فيقوم ليلته حتى يُصبح " [نقلا عن كتاب"حلية الأولياء" لأبي نعيم (٥/٣٢)].

١٠١ معرفة أن الحيوانات تذكر الله وأنت نائم

هذا الكون كله يسبح الله ويمجده ، ويخضع له ويعبده ، ومن ذلك هذه الحيوانات والبهائم فإنها تسبح الله وتعبده:

* قال تعالى: { ألم ترَ أن الله يسبِّح له من في السموات ومن في الارض والطير صآفات كلٌّ قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون }[سورة النور الاية(٤١)].

*وقال تعالى:{وإنْ من شيءٍ إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم } [سورة الاسراء الاية(٤٤)]، وليس العجب في تسبيح الحيوانات وعبادتها لربها ، بل العجب من غفلة هذه الإنسان ،وإعراضه عن طاعة الملك الديَّان.

فيا أيها الحبيب: لماذا تسبح الحيوانات ربها في السَّحر ، وأنت في نومك وغطيطك؟!! ولماذا تجتهد العجماوات في عبادة ربها ، وأنت تتمادى في تقصيرك وتفريطك؟!! .

* قال" لقمان الحكيم" لابنه: يا بنيَّ لا يكون الديك أكيس منك، ينادي بالأسحار وأنت نائم" [نقلا عن" تفسيرالقرطبي" (٢/١٢٨٠)].

*"عن"وهيب بن الورد" رحمه الله أن داود عليه السلام كان قد جعل ذكر الله نَوْبَاً (أي مناوبات) عليه وعلى أهل بيته ، لا تمر ساعة من الليل إلا وفي بيته مصلٍّ لله وذاكر، فلما كانت نوبة داود قام يصلي وبين يده غدير، وكأنه أُعجب بما هو فيه وأهل بيته مما فُضلوا به من العبادة، فأنطق الله ضفدعا من الماء فنادته:" يا داود كأنك أُعجبتَ بما أنت فيه وأهل بيتك من عبادة ربك!! فوالذي أكرمك بالنبوة إني لقائمة لله منذ خلقني على رجل !! ما استراحت أوداجي من تسبيحه إلى هذه الساعة!! فما الذي يُعجبك من نفسك وأهل بيتك!!قال:فتصاغرت إلى داود نفسُه !! .

*وفي رواية عن"ابن عباس":فنادته ضفدع:يا داود كنتُ أدابَ منك!! لقد أغفيتَ إغفاءة!!(أي وأنت تصلي لله) ، وفي رواية:" لا تعجب بنفسك فقد رأيتك البارحة حين خفقتَ برأسك (أي حين نعستَ ومال رأسك) " [نقلا عن كتاب" مختصر قيام الليل" للمقريزي].

* كان" الحكم بن أبان" رحمه الله يصلي ما شاء الله من الليل ، فإذا غلبه النـــوم ألقـى بنفسه في البحر وقال:" أسبح الله مع الحيتان" [نقلا عن" الحلية" لأبي نعيم (١٤١/١٩)].

*وما أجمل ما قاله الشاعر حاثا لرفيقه على القيام والاجتهاد:

قـم بنا يا أخـي لـما نـتـمنـى ... واطـرد النـوم بالعـزيـمة عـنَّا .

قـم فقد صاحت الديـوك ونـادت ... لا تكـونُ الديـوكُ أطـرب مـنَّا .



إدراك أنَّ القيام تـزكيةٌ للنفس من أمـراضها وآفاتها

وقيام الليل مدرسة ، تتخلص فيها النفس من أمراضها وآفاهـا ، وتتربى على فضائلها وكمالاهَا :

* قال"أبو الحسن الندوي" رحمه الله:" إن تزكية النفوس والدعوة إلى الإحسـان وفقـه الباطن شعبة من أهم شعب النبوة" [نقلا عن كتاب"ربانية لا رهبانية" للندوي].

* أخي:" إن من يتخرج في مدرسة الليل يؤثر في الأجيال التي بعده إلى مـا شـاء الله، والمتخلف عنها (أي عن هذه المدرسة) يابس قاسٍ، تقسو قلوب الناظرين إليه، والدليل عنـد " بشر بن الحارث" منذ القديم شاهدَه وأرشدك إليه فقال: "بحسبك أن قوما موتـى تحيـا القلوب بذكرهم، وأنَّ قوما أحياء تقسو القلوب برؤيتهم" ، بل تموت القلوب برؤيتـهم، فلمَ كان ذلك ؟!! إن لم يكنْ لأنَّ ليل الأولين يقظة وليل غيرهم نوم!! وهار الأولين جـد وهار الآخرين شهوة" [نقلا عن كتاب"الرقائق" للراشد].

*قال"أبو الحسن الندوي" :"مما يجدر بالذكر ويسترعي الانتباه،أن تلك القـوة المعنويـة والروحية، والشخصية القوية الفذة، والإخلاص والربانيـة،....، والجـهاد والكفـاح والتجديد والإصلاح، والفتح والتسخير لا تنشأ ولا تظهر في أكثر الأحيان إلا بعد صفاء الروح وتهذيب النفس والرياضة (أي الرياضة القلبية وهي مجاهدة النفس) والعبادة، ولذلك نـوى أن

أكثر من قاموا بدرو التجديد والجهاد في تاريخ الإسلام كانوا يتمتعون بمكانة روحية سامية،.... ، والحقيقة أن هذه المجاهدات والرياضات(أي الرياضات القلبية) وتزكية النفس والصلة بالله تنشيء في الإنسان حالة عجيبة من الشوق والوجد،...،حتى تراه ينشد بلسان حاله ويقول:" إني لا أملك شيئاً أفديك به (أي يا ربي) إلا هذه الحياة التي اعرتني إياها، فهي منك ولك" ......، فنهاية المطاف في هذه الرحلة الروحية والسلوك الطويل هي حب الشهادة، والغاية الأخيرة من هذه المجاهدة والرياضة هي الجهاد" [نقلا عن كتاب "ربانية لا رهبانية" للندوي].

*أخي: إن شئت دليلا عمليا على هذه الحقيقة فسرِّح طرفك في القرون:

مضوا يحفرون بدمع القيام ... وبذل الدماء طريق الإياب.

* في"عبّاد بن بشر" وقيامة الليل وجهاده واستشهاده.
* في "سالم مولى أبي حذيفة" رضي الله عنه.
*في" صلة بن أشيم" وتهجده وحبه للغزو.
* في"عمرو بن عتبة" وفي" عتبة الغلام" رحمهما الله.
* في"هاورن الرشيد" وغزوه عاماً وحجه عاماً.
* في"عبد الله بن المبارك" المجاهد العابد الزاهد .
* في" ابن تيمية" وجهاده للتتار.
* في" قاهر الصليبيين" نور الدين محمود زنكي" .
*في"بطل حطين" صلاح الدين الأيوبي.
* في" محمد الفاتح" وفتحه لللقسطنطنية.

فرحم الله اولئك القادة الفاتحين ، والائمة المهديين ، وجمعنا بهم في أعلى عليين مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسُنَ اولئك رفيقا .

* أخي: قف على وادي المتهجدين بالليل ، وتأمل القوم بقلبك وبصرك، فما عساك أن ترى ، إنه العجب العجاب ، والمشهد الذي تشتاق له الأفئدة والألباب:

"لو رأيتهم بين ساجد وراكع ، وذليل مخمول متواضع ، منكسر الطرف من الخوف خاشع ، فإذا جنَّ الليل حنَّ الجازع:{ تتجافى جنوبهم هن المضاجع}.

نفوسهم بالمحة علقتْ ، وقلوبهم بالأشواق فُلقتْ ،وأبدانهم للخدمة خُلقتْ ، يقومون إذا انطبقت أجفان الهاجع: { تتجافى جنوبهم عن المضاجع}.

سبق والله القوم، بكثرة الصلاة والصوم ، فإذا أقبل الليل حاربوا النوم والعزم في الطوالع:{تتجافى جنوبهم عن المضاجع}.

يُنادي منادي تائبهم : لا أعود ، والمنعم يُنعم بالقبول ويجود ، هم والله من الكون المقصود ، فما حيلة المطرود والمعطي مانع :{ تتجافى جنوبهم عن المضاجع}.

كن يا هذا رفيقهم ،..،ولِجْ وإنْ شقَّ مضيقهم ،واسلك ولو يوما طريقهم ، فالطريق واسع:{تتجافى جنوبهم عن المضاجع}.

اهجر بالنهار لذيذ الطعام ، ودع في الدجى لذيذ المنام، {والله يدعو إلى دار السلام} ، فما يُقعِد السامع؟!! {تتجافى جنوبهم عن المضاجع}. [نقلا عن كتاب"التبصرة" لابن الجوزي(٢/٣٢٤)].

١٠٣ معرفة كيف كان السلف يُربون ضيوفهم على القيام

وحرصاً على إحياء شعيرة"قيام الليل" ، كان السلف الأبرار يربون ضيوفهم ومن يترل عليهم على القيام والتهجد، وهذا والله من أعظم صور إكرام الضيف، بل هو أعظم من إكرامه بأفخر أنواع الطعام والشراب ، فأين من يُكرمون ضيوفهم هذه الأيام بهذا الاكرام العجيب المبارك:

*عن"أبي جحيفة" رضي الله عنه قال:"آخى الرسولﷺ بين "سلمان الفارسي" رضي الله عنه وبين "أبي الدرداء" رضي الله عنه، فزار"سلمان" "أبا الدرداء"،....، فلما كان آخر الليل قال"سلمان " لأبي الدرداء: قم الآن، قال: فصَلَّيا (أي قيام الليل)،...." [رواه البخاري في صحيحه].

*قال"الحافظ عبد الغني المقدسي" رحمه الله:" نزلت ضيفا على رجل من أصبهان، فلما تعشينا كان عنده رجل أكل معنا، فلما قمنا إلى الصلاة (أي صلاة الليل) لم يقم لِيُصلي معنا، فقلت لصاحب الدار: ما له؟!! فقال: هذا رجلٌ شمسي (أي يعبد الشمس)، فضاق صدري وقلت لصاحب الدار: ما أضفتني إلا مع كافر ؟!! فقال: إنه كاتب ولنا عنده راحة، قال"المقدسي" :فمضيتُ في صلاتي بالليل أقرأ القرآن وأُرتله وذاك الكافر يستمع القراءة!! فلما سمع القرآن تزفَّر، ثم أسلم بعد ايام، وقال لي: لما سمعتك تقرأ القرآن وقع الإسلام في قلبي" [نقلا عن كتاب"سير أعلام النبلاء" للذهبي (٢١/ ٤٦٣)].

*ورحم الله من قال واصفاً أهل الليل:

لله درُّ رجالٍ لم يمِلْ بهمُ
لين الفراش ولا الأوانس الخُرَّدُ

قاموا ونار الأسى في القلب تتقدُ
ودمعة العين في الخدَّين تَطَّرِدُ

بثُّوا حديثهمُ وطولَ شجوهمُ
واستشفعوا لعظيم الفضل إذ قصدوا

تنعموا في الدجى بقرب ربهمُ
وفي قبورهمُ يا طيبَ ما وجدوا

جازوا عليك وأنت راقدٌ فمضوا
وخلَّفوك إلى الورِد الذي وردوا

يا راقداً ورجال الله ساهرةٌ
ما كان أولى تلك المقلة الرَّمدُ

[نقلا عن كتاب"الصلاة والتهجد" لابن الخراط].



تنويع هيئة الصلاة بين القيام والقعود

ومما يُعين على التحمس للقيام تنويع هيئة القيام ، فأحيانا يصلي المرء قائما ، فإذا كسل أو فتر صلى قاعدا بعض الصلاة أو كل الصلاة وهكذا .

- وقد كان الرسولﷺ ينوِّع هيئة صلاته بالليل ، فتارة قائما وتارة قاعدا :

* قال"ابن القيم":"كانت صلاته عليه الصلاة والسلام بالليل ثلاثة أنواع:

أحدها وهو أكثرها: صلاته قائما.

الثاني: أنه كان يصلي قاعدا ويركع قاعدا.

الثالث: أنه كان يقرأ قاعدا، فإذا بقي يسير من قراءته ، قام فركع قائما .

والأنواع الثلاثة صحت عنه" [نقلا عن كتاب" زاد المعاد" لابن القيم (٣٣١/١)].

* وعن"عائشة" رضي الله عنها قالت:" لما بدَّن رسول اللهﷺ وثقُل (أي كبرت سنُّه) كان أكثرهم صلاته (أي بالليل) جالسا" [رواه مسلم في صحيحه].

* وعن"عبد الله بن أبي قيس" أن عائشة" رضي الله عنها قالت له:لا تدع قيام الليل!! فإن رسول اللهﷺ كان لا يدعه، وكان إذا مرض أو كسل صلى قاعدا" [متفق عليه].

* وعن"عائشة" رضي الله عنها قالت:" رأيت رسول اللهﷺ يُصلي متربعا " [رواه النسائي وابن حبان وصححه، ورواه الحاكم وصححه وأقره على ذلك الذهبي].

* قال"الحسن البصري" رحمه الله:"كان يُقال :ما عمل الناس من عمل أثبتَ في خير من صلاة في جوف الليل!! وكان "الحسن" يصلي من الليل قائما، فإذا عييَ صلى قاعدا، فإذا فتر صلى مضطجعا" [نقلا عن كتاب"مختصر قيام الليل" للمقريزي].

* كان"ثابت البناني" رحمه الله يصلي قائما حتى يعيى (أي يتعب)، فإذا أعيى جلس فيصلي وهو جالس" [نقلا عن كتاب" رهبان الليل" للعفاني (٣٦٧/١)].

* أخي: أما لك همة أن تكون كأهل الليل ، الذين:

"اكتفوا من الليل بيسير النوم ،.. ، واشتغلوا بالصلاة والصوم ، كانت والله همم القوم في صلاح قلوبهم:{يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم}.لبسوا ثياب السفر ، وارتحلوا على أوكار السهر ، فلو سمعتَ وقت السحر ترنم طروبهم:{يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم} .

أما الليل فسهارى ، وأما النهار فأسارى ، وكأنهم بالمحبة سكارى في شروقهم وغروبهم { يذكرون الله قيام وقعودا وعلى جنوبهم} .

لو أصغيتَ في الدجى واستمعت ، وأحضرتَ قلبك عندهم وجمعت ، وهيهات ليتك اطلعت على بعض كروبهم:{يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم} " [نقلا عن كتاب"المدهش"لابن الجوزي].

١٠٥ إدراك أنَّ القيام تربية للنفس على التعلق بالمعالي

ومما يزيدك تحمسا لقيام الليل ، وحرصا عليه ، أن تعلم أن هذا القيام فيه تربية للنفس على التعلق بالمعالي ، وتعويد لها على التوجه إلى مهمات الأمور والترفع عن سفسافها :

* قيل لبعض المجتهدين في الطاعة: لماذا تعذب هذا الجسد؟!! فقال: كرامته أريد !! ،وصدق من قال:

وإذا كانت النفوس كبارا .... تعبت في مرادها الأجسام.

* قال"عبد القادر الجيلاني" رحمه الله" سيروا مع الهمم العالية" [نقلا عن كتاب"الفتح الرباني" للجيلاني].

* قال"ابن القيم" واصفا أثر علو الهمة على القلب:" مثل القلب مثل الطائر: كلما علا بعد عن الآفات، وكلما نزل احتوشته الافات" [نقلا عن كتاب"الفوائد" لابن القيم].

* قالت"أُم غزوان" لابنها وقد رأته يصلي بالليل:أما لفراشك عليك حق؟!! أما لنفسك عليك حق؟!! فقال لها: يا أمَّاه إنما أطلب راحتها ،.. ، أُبادر طيَّ صحيفتي" [نقلا عن

كتاب"مختصر قيام الليل" للمقريزي].

* أخي:"إذا انتصف الليل في القرون الأولى كانت أصوات المؤذنين ترتفع وتنادي:

يـــا رجـــــال الــلــيـــل جــــدُّوا

ربَّ صـــــــــوتٍ لا يــــــُرَدُّ

مــــا يــقـــوم الــلـــيـــل إلا

مـــَنْ لـــــه عــــزمٌ وجِـــــدّ

لـــيـــس شـــيء كـــصلاة الليـــــ

ـــــل لـــلــقـــبـــــر يـــُعَــدُّ .

وإنها حقا مدرسة الليل ، فيها وحدها يستطيع رجالها أن يذكوا شعلة حماستهم ،وينشروا النور في الرجاء التي لفتها ظلمات الجاهلية:

يــا نــفــسُ فــاز الــصــالــحـون بالــتــقى

وأبــصــروا الــحــقَّ وقــلبي قــد عــمــي

يــاحــُـســنــهــم والــلــيــل قــد أجــنَّهم

ونـــورهــم يــفـــوق نـــور الأنــجــمِ

تــرنــّمــوا بــالــذكــر فــي لــيــلــهــم

فــعــيــشــهــم قــد طــاب بالــتــرنــم

قــلــوبــهــم لــلــذكــر قــد تــفــرَّغــت

دمـــوعــهــم كــلــؤلــؤ مــنــظَّــمِ

أســحــارهــم بــهــم لــهــم قــد أشــرقت

وخُــلَــعُ الــغــفــران خــيــرُ الــمقسم

[نقلا عن كتاب"رهبان الليل" للعفاني(٢/٢٩٩)].

* وما أجمل ما قاله الشاعر :

همم الأحرار تُحيي الرمــما ...... نفحة الأبرار تُحيي الأمما.



١٠٦- معرفة كيف كان السلف يُربــون تلاميذهم على القيام

لقد أدرك السلف الأبرار أن مهمة المعلم الأساسية ليست مجرد تفريــغ المعلومات في أذهان التلاميذ وحسب ، بل مهمته الأساسية هي تربيتهم علـــى الخـير والتقى والفضيلة ، ومن هذا المنطلق كانوا رحمهم الله يحرصون على تربية تلاميذهم علـى القيام ويبثون هذه الشعيرة في نفوسهم :

* قال"أبو عصمة بن عصام البيهقي" :" بتُّ ذات ليلة عند الإمام أحمد، فلما كان وقــت النوم جاء لي بماء في إناء فوضعه عندي ثم انصرف، فلما أصبح الصباح جــاء ليوقظـني للفجر فنظر إلى الإناء فرأى الماء على حاله فعرف أني لم اقم البارحة لصلاة الليل، فقــال: سبحان الله!! رجل يطلب العلم لا يكون له وردٌ من الليل؟!! " [راجع كتاب" منــاقب الإمــام أحمد" لابن الجوزي].

* قال"الجنيد": كان"السري السقطي" رحمه الله يقول لنا ونحن حوله:" أنا لكم عبرة!! يــا معشر الشباب اعملوا فإنما العمل في الشبوبية (أي فترة الشباب) " [نقلا عن كتاب"الحلية" لأبي نعيــم (١٠/١٢٦)].

*قال"عبد الصمد بن أبي مطر" :"بتُّ ذات ليلة عند الإمام "أحمد بن حنبل" رحمـــه الله، فلما كان وقت النوم وضع عندي ماء، ثم تركني وانصرف، فلما جاء ليوقظني للفجــــر وجدني لم أستعمل الماء، فقال لي مستنكرا: صاحب حديث لا يكون له وردٌ في الليــل؟!! فقلت: أنا مسافر، فقالَ: وإنْ كنتَ مسافرا !! حجَّ "مسروق بن الأجدع" رحمه الله فمــا نام إلا ساجدا!! (أي أنه لم يترك قيام الليل حتى وهو مسافر لدرجة أنه من شدة تعبه من السفر نام وهو ســـاجد في صلاته!!) " [نقلا عن نفس المصدر السابق].

*وقد تقدمت معنا وصية"أبي سليمان الداراني" لتلميذه"أحمد بن أبي الحوارى" بقيام الليــل وتربيته له على ذلك.

١٠٧ إدراك أن القيام سبب للتوفيق والفتوحات والفهم

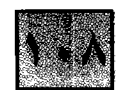
وهبة رحمانية وعطية ربانية ، يتفضل بها الولى جل جلاله على من يقوم الليل ، ألا وهي أن الله تعالى يفتح عليه ما استشكل ، وييسر له ما تعسر ، ويرزقه فهم ما لم يكن يفهم ، ويُعينه على حفظ ما تعسر حفظه ، وبالجملة فالقيام سبب لكل فتح وتوفيق وحفظ وفهم وإلهام .

*عن"ابن عمر" رضي الله عنهما أن النبيﷺ قال:" إذا قام صاحب القرآن فقرأه بالليل والنهار ذكره، وإنْ لم يقم به نسيَهُ" [رواه "المروزي" في كتابه" قيام الليل" وصححه الألباني" في" السلسلة الصحيحة" برقم (٥٩٧)].

* نقل الحافظ"ابن حجر " في"الفتح" عن"مجاهد بن جبر" رحمه الله أنه قال في تأويل قوله تعالى:{وأقوم قيلا} قال: أي أبلغ في الحفظ" [نقلا عن" فتح الباري" لابن حجر ، ج ٣].

* قال الشيخ"عطية محمد سالم" حاكياً عن شيخه"الشنقيطي":" وقد سمعت الشيخ (يعني الشنقيطي) يقول: لا يُثبت القرآن في الصدر، ولا يُسهِّل حفظه ويُيسر فهمه إلا القيام به في جوف الليل، وقد كان رحمه الله لا يترك ورده من الليل صيفا أو شتاء، وقد أفاد هذا المعنى قوله تعالى:{ واستعينوا بالصبر والصلاة}، فكان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة" [نقلا عن كتاب" تتمة أضواء البيان" لعطية سالم ، ص ٦١٣].

*قال"السري السقطي"رحمه الله:" رأيت الفوائد تَردُ في ظلام الليل" [نقلا عن كتاب" رهبان الليل" للعفاني (٥٢٦/١)].



قضاء التهجد بالنهار إذا فاته لعذر

من الأمور التي دلت السنة المطهرة على مشروعيتها : قضاء التهجد بالنهار لمن كان من عادته القيام ثم غلبته عينه ذات ليلة فنام عن القيام ، أو أصابه مرض عجز معه عن القيام ، تعويدا للنفس على المواظبة على الطاعة ، وإرغاماً للشيطان :

* عن"عائشة" رضي الله عنها قالت:"كان رسول اللهﷺ إذا عمل عملاً أثبته، وكان إذا نام من الليل أو مرض صلى من النهار ثنتي عشرة ركعة" [رواه مسلم في صحيحه].

*عن"عمر بن الخطاب" رضي الله عنه قال: قال الرسولﷺ ":"من نام عن حِزبه (أي ورده من قيام الليل) أو عن شيء منه فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كُتب له كأنما قرأهُ من الليل" [رواه مسلم في صحيحه].

* قال"النووي" تعقيبا على الحديث :" فيه استحباب المحافظة على الأوراد، وأنها إذا فاتت تُقضَى" [نقلا عن" شرح مسلم" للنووي].

*قال"القرطبي" تعليقا على هذا الحديث:" قوله"كُتب له": هذا الفضل من الله تعالى، وهذه الفضيلة إنما تحصل لمن غلبه نوم أو عذر منعه من القيام مع أن نيته القيام" [نقلا عن كتاب" عون المعبود شرح سنن أبي داود " للعظيم آبادي].

*عن"عائشة" رضي الله عنها قالت:"كان النبيﷺ إذا لم يُصلِّ من الليل ـ منعه من ذلك النوم أو غلبته عيناه ـ صلى من النهار ثنتي عشرة ركعة" [رواه الترمذي وقال:حديث حسن صحيح].

*قال"المباركفوري"رحمه الله تعليقا على الحديث:" قولها" صلى من النهار" أي فيما بين صلاة الفجر والظهر، وفيه دليل على استحباب المحافظة على الصلاة (أي قيام الليل) وحث أمته على ذلك" [نقلا عن كتاب" تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي" للمباركفوري].

*أخي: قم ليلك ، وصم نهارك، واهجر في جوف الليل فراشك، فإن الفُرُشَ غدا أمامك:

اهجر فراشكَ جوف الليل وارمِ به ... ففي القبور إذا وافيتها فُرُشُ
ما شئتَ!! إنْ شئتها فُرُشاً مرقَّشةً ... أو رمضةً فوقها السمومة الرُقُشُ
هذا عليه قرير العين نائمها ... وذا عليه سخين العين ينتهشُ
شتان بينهما وبين حالهما ... هل يستوي الرِّي في الأحشاء والعطشُ
كم فاز دونك باللذات من رجلٍ ... وافى به دُلج الأسحار والغبشُ
قاموا ونمنا !! وكلٌّ في تقلبه ... لنفسه جاهداً يسعى ويجتوش

زكّـوا نفـوسـهـم بكـل صالـحة ... وطيّـبوها فـلا عيـبٌ ولا وقَـشُ
أولئـكَ النـاس إنْ عُدَّ الكـرام فـهمْ ... وإنْ تُرد دبـَشاً فنـحـن ذا دبشُ

[نقلا عن كتاب"الصلاة والتهجد" لابن الخراط].

١٠٩ السـلف يُـحافظون على القيام حتى وهم في السفر

إنما سُمي السفر سفرا لأنه يُسفر عن أخلاق الرجال،ويكشف معـادنهم ، فهل يُعقل أن يترك الرجال الصادقون والعبَّاد المتقون ، التهجد والقيام في سـفرهم ، وبه تبني غرف الجنان ، وبه ينالون رضا الملك الديان ،كلا وألف كلا !! بـل هـم في سفرهم أحوج إلى التهجد ومناجاة الله منهم في حال الاقامة ، لأن السفر قطعـة مـن العذاب ، ومظنة الغفلة وقسوة القلب:

*كان العبد الصالح"إبراهيم بن أدهم" رحمه الله يشترط على أصحابه في السفر: الخدمـة والأذان، فسافر مرة مع رفقة له، فآواهم الليل إلى مسجد مهجور ليس له باب فـنزلوا ليناموا فيه وكانت الليلة شديدة البرودة ، فانتظر حتى نام إخوانه ثم قـام يصلـي إلى الفجر حتى يسدَّ الباب عنهم بجسمه!!(أي لئلا يصيبهم البرد القارس) " [نقلا عن كتاب" رهبـان الليـل" للعفاني (٢/١٨)].

*عن"موسى بن بشار" قال:" سافرت مع "محمد بن واسع الأزدي" رحمه الله من مكـة إلى البصرة ، فكان يُصلي الليل أجمع في المحمل(وهو مثل الهودج للمرأة) جالسـا يؤمـيء برأسـه إيماء،وكان يأمر الحادي يكون خلفه، ويرفع صوته حتى لا يُفطَن له،وكان ربما عرَّس مـن الليل فينزل فيصلي، فإذا أصبح أيقظ أصحابه رجلا رجلا، فيجيء إليه فيقول: الصـلاة الصلاة !! " [نقلا عن كتاب" حلية الأولياء" لأبي نعيم (٢/٣٤٦)].

*حبس الأسد الناس ليلة في طريق الحج، فدقّ الناس بعضهم بعضا ، فـلما كان السحر ذهب عنهم، فنزل الناس يمينا وشمالا فألقوا انفسهم على الآرض فناموا ، وقام"طاووس" يُصلي لربه، فقال رجل لطاووس:نم فإنك قد نصبتَ منذ الليل ، فقال طاووس مستغربا :

ومن ينام في السحر؟!! " [نقلا عن كتاب"الزهد" للإمام أحمد].

*كان"المغيرة بن حكيم الصنعاني" رحمه الله يحجُّ من اليمن ماشيا، وكان له ورد بالليل يقرأ فيه كل ليلة ثلث القرآن فيقف فيصلي حتى يفرغ من ورده ، ثم يلحق بالركب متى لحق، فربما لم يلحقهم إلا في آخر النهار!! " [نقلا عن كتاب"لطائف المعارف" لابن رجب].

* وحجَّ الإمام"الأوزاعي" رحمه الله ذات عام، فما نام على الراحلة، إنما هو طوال ليله في صلاة، فإذانعس استند إلى القتب" [نقلا عن كتاب" البداية والنهاية" لابن كثير (١١٧/١٠)].

* قال"علي بن الحسن" :" لم أرَ أحدا من الناس اقرأ من"ابن المبارك" ولا أحسن قراءة ، ولا أكثر صلاة منه، وكان يصلي الليل كله في السفر وفي غيره!! " [نقلا عن كتاب" الجرح والتعديل" لابن أبي حاتم (٢٦٦/١)].

*قال"عاصم بن العباس الأسدي":"كان" سعيد بن المسيب" رحمه الله يُذكّر ويخوِّف، وسمعته يقرأ في الليل على راحلته (أي وهو مسافر) فيُكثر !! وسمعته يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم" [نقلا عن كتاب" سير أعلام النبلاء" للذهبي (٢٤٠/٤)].

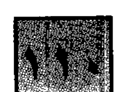
*قال"سلمة بن سلاّم":" نزل الأوزاعي" رحمه الله ضيفاً على أبي، ففرشنا له فراشا (أي لينام عليه بالليل) ، فأصبح (أي الفراش) على حاله!! (أي أن الأوزاعي لم ينم عليه طوال الليل بل بات لربه ساجدا وقائما وهو مسافر ومتعب) " [نقلا عن كتاب" سير أعلام النبلاء" للذهبي (١١/٧)].

*عن"كثير" أنه سافر مع "وهب بن منبه" رحمه الله ــ وكان عالما متبحرا ــ فباتوا ليلتهم عند رجل بصَعْدة (وهي مدينة معروفة باليمن) ، فلما كان في ظلام الليل قام"وهب " وصفَّ قدميه يصلي لله، فخرجت بنت صاحب الدار فرأت مصباحا، فأخبرت أباها، فاطلع صاحب الدار في الغرفة فرأى "وهب " صافّاً قدميه يصلي لله في ضياء كأنه بياض الشمس!! فلما أصبح الصباح قال الرجل لوهب:رأيتك البارحة في هيئة ، ووصف له ما رأى، فقال له وهب: اكتم ما رأيت!! " [نقلا عن كتاب"سير أعلام النبلاء" للذهبي (٥٤٤/٤)].

*قال"محمد بن حمدون": صحبتُ "أبا بكر أحمد بن إسحاق النيسابوري" رحمه الله سنين ، فما رأيته ترك قيام الللیل لا في سفر ولا في حضر" [نقلا عن كتاب"سير أعلام النبلاء" للذهبي (٤٨٥/١٥)].

*قال"الحسن بن أحمد" :" كان "أبو عمران الجويني" رحمه الله ــ الحافظ المحــــدث ــ في دارنا (أي نزل علينا ضيفا)، وكان يقوم الليل ويصلي ويبكي طويلا !! " [نقلا عن كتـــاب" تذكـــرة الحفاظ" للذهبي (٨١٨/٣)].

*عن"عمار البجلي" قال: خرجنا مع"محمد بن النضر الحارثي"رحمه الله إلى مكة ، فما كنـا نستيقظ إلا رأيناه على محمله قاعدا يُصلي، فإذا نزل بالنهار كان في خدمة أصحابه" [نقـلا عن كتاب"الصلاة والتهجد" لابن الخراط].





ونومة القيلولة ــ سواء كانت في منتصف النهار أو قبل الظـــهر أو قبل العصر ــ سنَّةٌ حث عليها النبيﷺ ، علاوة على أنها عون للمرء على مواجهة بقية يومه بنشاط وحيوية ،وكذلك عونٌ على القيام والتهجد :

* عن"أنس" رضي الله عنه أن النبيﷺ قال:" قِـــيلوا ، فإنَّ الشياطين لا تقيل" [رواه"أبـــو نعيم" في كتاب"الطب"، والطبراني في"الأوسط"، والحديث ضعفه الحافظ"ابن حجر" ، وحســـنه"الألبـــاني" في" السلســـلة الصحيحة" برقم (٢٦٤٧)].

* عن"مجاهد" أن "ابن عمر" رضي الله عنهما بلغه أن عاملا له لا يقيل بالنهار، فكتب إليه : أما بعد فقِلْ ، فإن الشيطان لا يقيل" [نقلا عن كتاب" مختصر قيام الليل" للمقريزي].

* قال"إسحاق بن عبدالله"رحمه الله:"القائلة (أي نوم القائلة) من عمل أهل الخير، وهي مجمَّـــة للفؤاد (أي مريحة له)، مقواةٌ(أي معينة) على قيام الليل" [نقلا عن نفس المصدر السابق].

* مرَّ "الحسن البصري" رحمه الله بقومٍ في السوق في وســـط النـــهار فـــرأى صخبـــهم وضجيجهم، فقال: أما يقيل هؤلاء؟!! فقيل له: لا ، فقال:إني لأرى ليلهم ليل سوء!! (أي إنهم إذا تركوا القيلولة فاتهم قيام الليل) " [نقلا عن نفس المصدر السابق].

١١١ إدراك فضل صلاة الليل على صلاة النهار

وصلاة الليل لها طعم مميز ، ومذاق آخر ، يختلف عن صلاة النهار ، وإذا كان الليل له شأن عند أهل افسق والفجور ، فإن لصلاة الليل شأنا عجيبا عند المؤمنين الصادقين:

* قال الله تعالى: { إنَّ ناشئة الليل هي أشد وطئاً وأقوم قيلاً } [سورة المزمل الآية (٦)].

* قال"ابن جرير الطبري":" {هي أشد وطئا}:ناشئة الليل (أي صلاة الليل) أشد ثباتا من النهار وأثبت في القلب، وذلك أن العمل بالليل أثبت منه بالنهار،....، وقال"ابن عباس":"أدنى من أن تفقهوا القرآن"،وقال"ابن زيد":"{هي أشد وطئا وأقوم قيلا}: طمأنينة وأفرغ له قلبا، وذلك أنه لا يعرض له حوائج ولا شيء، وأقومُ قراءةً لفراغه من الدنيا " [نقلا عن"تفسير الطبري" لابن جرير الطبري ، ج ٢٩].

*وقال"القرطبي" في تفسيره:" {أشدُّ وطئاً}: فالمعنى أشد موافقة بين القلب والبصر والسمع واللسان لانقطاع الأصوات والحركات، قاله مجاهد وابن أبي مليكة وغيرهما،....، وقوله: { وأقوم قيلاً }أي القراءة بالليل أقوم منها بالنهار، أي أشد استقامة واستمرارا على الصواب لأن الأصوات هادئة والدنيا ساكنة، فلا يضطرب على المصلي ما يقرؤه،.... وقال عكرمة:عبادة الليل أشد نشاطا ، وأتمُّ إخلاصا، وأكثر بركة" [نقلا عن"تفسير القرطبي ، ج ١٠].

* قال الإمام"أبو السعود" في تفسير قوله تعالى:{ إنَّ لك في النَّهار سبحاً طويلاً } :" أي تقلبا وتصرفاً في مهماتك واشتغالا بشواغلك ، فلا تستطيع أن تتفرغ للعبادة فعليك بها في الليل،... وهذا بيان للداعي الخارجي إلى قيام الليل" [نقلا عن"تفسير أبي السعود" (٥/٢٠٥)].

*قال الأُستاذ"سيد قطب" تعليقا على هذه الآية:" إنَّ مغالبة هواتف النوم وجاذبية الفراش بعد كدِّ النهار، أشد وطئا وأجهد للبدن، ولكنه إعلان لسيطرة الروح ،واستجابة لدعوة الله ، وإيثار للأنس به، ومن ثَمَّ فإنها أقوم قيلا لأنَّ للذكر فيها حلاوته،

وللصلاة فيها خشوعها، وللمناجاة فيها شفافيتها، وإنها لتسكب في القلب أنسا وراحة وشفافية ونوراً، قد لا يجدها في صلاة النهار وذكره، والله الذي خلق القلب يعلم مداخله وأوتاره ويعلم ما يتسرب إليه،...،وأيُّ الأوقات فيها أكثر تفتحا واستعدادا وتهيؤا" [نقلا عن كتاب" في ظلال القرآن" لسيد قطب ، ج ٦].

*عن"أبي هريرة" رضي الله عنه أن النبيﷺ قال:"أفضل الصلاة بعد الصلاة المكتوبة الصلاة في جوف الليل، وأفضل الصيام بعد شهر رمضان صيام شهر الله المحرم" [رواه مسلم].

* قال"النووي" تعليقا على الحديث:" وفيه دليل لما اتفق العلماء عليه من أن تطوع الليل أفضل من تطوع النهار، وفيه"حجة"لأبي إسحاق المروزي" من أصحابنا ومن وافقه: أن صلاة الليل أفضل من السنن الراتبة" [نقلا عن كتاب"شرح مسلم" للنووي].

* قال النووي" :"ينبغي للمرء أن يكون اعتناؤه بقراءة القرآن في الليل أكثر، وفي صلاة الليل أكثر، والأحاديث والآثار في هذا كثيرة،...، وإنما رجحت صلاة الليل وقراءته (أي على صلاة النهار) لكونها أجمع للقلب وأبعد عن الشاغلات والملهيات، والتصرف في الحاجات، وأصون عن الرياء وغيره من المحبطات، مع ما جاء به الشرع من إيجاد الخيرات في الليل، فإنَّ الإسراء بالرسولﷺ كان ليلا،..." [نقلا عن كتاب" التبيان في آداب حملة القرآن" للنووي].

- أخي: إنما فُضلت صلاة الليل على صلاة النهار لأمور منها:

* صلاة الليل أبلغ في الإسرار وأقرب إلى الإخلاص.

* صلاة الليل أشق على النفوس من صلاة النهار لأن الليل محل للنوم والراحة والدعة بخلاف النهار فهو وقت للعمل واليقظة والنشاط.

* القرءاة في صلاة الليل أقرب إلى التدبر والخشوع والفهم من القراءة في صلاة النهار، لأنه في الليل تنقطع الشواغل ويحضر القلب ويتواطأ مع اللسان على الفهم.

*قال الشخ "شاه ولي الله الدهلوي" رحمه الله مبينا سبب كون صــلاة الليــل أقــرب للخشوع من صلاة النهار:" اعلم أنه لما كان آخر الليل وقت صفاء الخاطر عن الأشغال المشوشة وجمع القلب، وهدوء الصوت ، ونوم الناس وأبعد عن الرياء والسمعة، وأفضل أوقات الطاعَة ما كان فيه الفراغ وإقبال الخاطر، وأيضاً فذلك الوقت وقــت الــنزول الإلهي" [نقلا عن كتاب"حجة الله البالغة" للدهلوي (٢/١٦)].

تمّ الكتاب بحمد الله تعالى .

قائمة بأهم المراجع

١ ــ القرآن الكريم .

٢ ــ صحيح البخاري وصحيح مسلم ، وسنن أبي داود وسنن الترمذي وسنن النسائي وسنن ابن ماجه ، ومسند الإمام أحمد ، وغيرها من كتب السنّة .

٣ ــ فتح الباري شرح صحيح البخاري، للحافظ ابن حجر العسقلاني .

٤ ــ صحيح الجامع الصغير ، للألباني .

٥ ــ فيض القدير شرح الجامع الصغير ، لعبد الرؤوف المناوي .

٦ ــ تفسير "الطبري" لمحمد بن جرير الطبري .

٧ ــ تفسير "القرطبي" لأبي عبدالله محمد بن أحمد القرطبي .

٨ ــ في ظلال القرآن ، للاستاذ : سيد قطب .

٩ ــ كتاب " قيام الليل" لمحمد بن نصر المروزي .

١٠ ــ كتاب "مختصر قيام الليل " للمقريزي .

١١ ــ كتاب" سير أعلام النبلاء" للذهبي .

١٢ ــ كتاب " البداية والنهاية " لابن كثير الدمشقي .

١٣ ــ كتاب "حلية الأولياء " لأبي نعيم الأصفهاني .

١٤ ــ كتاب " صفة الصفوة " لابن الجوزي .

١٥ ــ كتاب " الصلاة والتهجد " لابن الخراط .

١٦ ــ كتاب " لطائف المعارف " لابن رجب الحنبلي .

١٧ ــ كتاب " التبصرة " لابن الجوزي .

١٨ ــ كتاب " الفوائد " لابن قيم الجوزية .

١٩ ــ كتاب " الزهد " للإمام أحمد .

٢٠ ــ كتاب " الإصابة في تمييز الصحابة " لابن حجر العسقلاني .

٢١ ـ كتاب " حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح " لابن قيم الجوزية .

٢٢ ـ كتاب " تنبيه المغترين " للشعراني .

٢٣ ـ كتاب " اختيار الأولى شرح حديث اختصام الملأ الأعلى" لابن رجب الحنبلي .

٢٤ ـ كتاب " بستان الواعظين " لابن الجوزي .

٢٥ ـ كتاب " إحياء علوم الدين " للغزالي .

٢٦ ـ كتاب " طرح التثريب في شرح التقريب " لابن العراقي .

٢٧ ـ كتاب " عقود اللؤلؤ والمرجان " لابراهيم بن عبيد .

٢٨ ـ كتاب " مناقب الامام أحمد " لابن الجوزي .

٢٩ ـ كتاب " مختصر قيام الليل" للسرقندي .

٣٠ ـ كتاب " تذكرة الحفاظ " للذهبي .

٣١ ـ كتاب " مجموع الفتاوى " لابن تيمية .

٣٢ ـ كتاب " الجامع لأخلاق الاوي وآداب السامع " للخطيب البغدادي " .

٣٣ ـ كتاب " الجرح والتعديل" لابن ابي حاتم الرازي .

٣٤ ـ كتاب " الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع " للسخاوي .

٣٥ ـ كتاب " تاريخ بغداد " للخطيب البغدادي .

٣٦ ـ كتاب " إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان " لابن قيم الجوزيه .

٣٧ ـ كتاب " استنشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس" لابن رجب الحنبلي.

٣٨ ـ كتاب " ديوان عبدالله بن المبارك" ، تحقيق: مجاهد بهجت .

٣٩ ـ كتاب " رهبان الليل " لسيد بن حسين العفّاني .

٤٠ ـ كتاب " الرقائق " لمحمد أحمد الراشد .

وغير ذلك من المراجع والمصادر المذكورة في ثنايا الكتاب .

فهرس موضوعات الكتاب

الـــمـــوضـــوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة